

محمود علي

حياة عائشة

«أم المؤمنين»
رضي الله عنها

دار الحديث
بيروت - لبنان

حَيَاة عَائِشَةَ

محمَّد سَلي

حَيَاة عَائِشَةَ
«أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ»
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَالِدُ الْجَيْشِ
بَيرُوت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الاهداء

اللهم ... منك.. وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله... الذي لا إله إلا هو... وأصلي... وأسلم... على البشير
النذير... الذي لا نبي بعده...
وبعد...

هذه «حياة عائشة»... رضي الله تعالى عنها...
أفضل نساء النبي... ﷺ... بعد وفاة خديجة... رضي الله عنها...
وأحبهن إليه... ﷺ... اجتمع لها الشرف من أطرافه... فهي أفضل من قال
الله فيهن... ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ... لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ...﴾...
وهي أحب نسائه إليه... وهذا شرف عظيم...
«يا رسول الله... من أحب الناس إليك؟»...
«قال: عائشة...»!!!

وهي أعظم نسائه نفعا للأمة كلها... في أمور دينها... وهذا شرف
كبير... «وإنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ... كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ
الطَّعَامِ»!!!

والمراد نفعه للجميع... وتيسر تناوله...
«ما أشكّل علينا أصحاب رسول الله... صلى الله عليه وسلم... حديث
قط... فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما»!!!
ولو لم يكن لها من الشرف إلا أن قال لها رسول الله... ﷺ:
«يا عائش...»
«هذا جبريل...»

«يقرأُ عليك السلام»...
لكن حسبها... فكيف وفضائلها لا يعلمها إلا الله؟!!

محمود شلبي

القاهرة ١٤١١هـ - ١٩٩١م

هذه...

أم المؤمنين...

عائشة...

رضي الله عنها...؟

رَجِمَ اللَّهُ أبا بَكْرٍ... زَوَّجَنِي ابْنَتُهُ؟

«عَنْ عَلِيٍّ قَالَ:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«رَجِمَ اللَّهُ أبا بَكْرٍ... زَوَّجَنِي ابْنَتُهُ... وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِ الْهَجْرَةِ... وَأَغْتَقَ بِلَالًا مِنْ مَالِهِ...»

«رَجِمَ اللَّهُ عُقْمَرُ... يَقُولُ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرَأً... تَرَكَهُ الْحَقُّ وَمَا لَهُ صَدِيقٌ...»

«رَجِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ... تَسْتَحْيِيهِ الْمَلَائِكَةُ...»

«رَجِمَ اللَّهُ عَلِيًّا... اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقُّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ».

[أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ]

فضل أييها... رضي الله عنهما؟

«عَنْ عَائِشَةَ...»

«عَنْ عُقْمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ... قَالَ:

«أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا...»

وَعُثَيْرُنَا...»

«وَأَحْبَبَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ».

[أخرجه الترمذي]

وَيَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ... وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا؟

«عَنْ أَنَسٍ...

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... كَانَ يَخْرُجُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ... وَهُمْ جُلُوسٌ...
«فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ...
«فَلَا يَرْفَعُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَصْرَةً...
«إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ...
«فَالْتَهُمَا كَانَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ... وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا...
«وَيَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ...
«وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا».

[أخرجه الترمذي]

أي سعادة... كان فيها الشيخان ... أبو بكر وعمر... رضي الله تعالى
عنهما 119

ها هو المشهد المقدس:

كانا ينظران إليه... وينظر إليهما 111

ويتبسمان إليه... ويتبسم إليهما 111

ابتسامة من 119

ابتسامة... خير خلق الله كلهم... صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه

وسلم 111

يتبسم لمن 119

لصاحبيه... للشيخين الجليلين... رضي الله تعالى عنهما 111

ثم ماذا؟ 119

ويتبسمان إليه؟!!!

مشهد؟!!!

اللحظة فيه... خير من الدنيا وما فيها!!!

إنه رسول الله... يتبسم إليهما!!!

والهما صاحباه... يتبسمان إليه!!!

عائشة... بنت... هذا العظيم؟!

«سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ:

«أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... أَنْ نَتَّصِدَّقَ...

«فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَا...

«فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَشْبِقُ أَبَا بَكْرٍ... إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا...

«قَالَ: فَجِئْتُ بِنُصْفِ مَالِي...

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟...

«قُلْتُ: مِثْلَهُ...

«وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ...

«فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ... مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟...

«قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...

«قُلْتُ: وَاللَّهِ.. لَا أَشْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا».

[أخرجه الترمذي]

يا عائشة... تعالي... فانظري؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... جَالِسًا...

«فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صَبَّيَانِ...

«فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تُزْفَنُ وَالصَّبَّيَانُ حَوْلَهَا...

«فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ... تَعَالَنِي... فَانْظُرِي...
 «فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لِحْيَتِي عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
 «فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا.. مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ...
 «فَقَالَ لِي: أَمَا شَبِعْتَ... أَمَا شَبِعْتَ؟...
 «قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ: لَا... لِأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ...
 «إِذْ طَلَعَ غَمَرٌ...
 «قَالَ: فَارْفَضُ النَّاسُ عَنْهَا...
 «قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ قَرُّوا مِنْ
 غَمَرٍ...
 قَالَتْ: فَزَجَعْتُ.»

[أخرجه الترمذي]

هذه لحظة من حياة عائشة!!!
 يا عائشة... تعالني... فانظري!!!
 كيف كان شعورها... ورسول الله... ﷺ يقول لها:
 أَمَا شَبِعْتَ؟
 أَمَا شَبِعْتَ؟

* * *

يَا أُمِّ سَلَمَةَ... لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؟
 «عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:
 «كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ...
 «قَالَتْ: فَاجْتَمَعَ صَوَاجِبَاتِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ... فَقُلْنَ: يَا أُمِّ سَلَمَةَ إِنَّ النَّاسَ
 يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ... وَإِنَّا لُرِيدُ الْخَيْرِ كَمَا تُرِيدُ عَائِشَةُ... فَقُولِي
 لِرَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... يَا أُمْرَ النَّاسِ يُهْدُونَ إِلَيْهِ أَيْتِمَا كَانَ...
 «فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمِّ سَلَمَةَ...»

«فَأَعْرَضَ عَنْهَا...
 «ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا...
 «فَأَعَادَتِ الْكَلَامَ...
 «فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... إِنَّ صَوَاحِبَاتِي قَدْ ذَكَرْنَ أَنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ
 بِهِدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ... فَأَمُرُ النَّاسَ يُهْدُونَ أَيْنَمَا كُنْتُ...
 «فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةَ... قَالَتْ ذَلِكَ...
 «قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ...
 «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ...
 «فَإِنَّهُ مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ الْوَحْيِ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرَهَا...»
 [أخرجه الترمذي]

جبريلُ جاء بصورتها؟!

«عَنْ عَائِشَةَ...
 «أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا... فِي خِزْفَةٍ حَرِيرٍ خَضَاءَ...
 «إِلَى النَّبِيِّ... ﷺ...
 «فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...»
 [أخرجه الترمذي]

يا عَائِشَةُ... هَذَا جِبْرِيلُ... وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:
 «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:
 «يَا عَائِشَةُ... هَذَا جِبْرِيلُ... وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...
 «قَالَتْ: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ... تَرَى مَا لَا تَرَى...»
 [أخرجه الترمذي]

يرجعون إليها؟

«عَنِ أَبِي مُوسَى... قَالَ:
«مَا أَشْكَلُ عَلَيْنَا... أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... حَدِيثٌ قَطُّ...
«فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ...
«إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا».

[أخرجه الترمذي]

ما رأيْتُ أحدًا... أفصحُ مِنْ عَائِشَةَ؟

«عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ... قَالَ:
«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا...
«أَفْصَحُ مِنْ عَائِشَةَ».

[أخرجه الترمذي]

أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

«عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ...
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... اسْتَعْمَلَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ...
«قَالَ: فَأَتَيْتُهُ... فَقُلْتُ:
«يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟...
«قَالَ: عَائِشَةُ...
«قَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟...
«قَالَ: أَبُوهَا».

[أخرجه الترمذي]

فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ؟

«عَنْ أَنَسٍ...

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... قَالَ:

«فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ... كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

[أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ]

أَتُوذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟

«عَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ...

«أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ... عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ...

«فَقَالَ: اغْرُثْ... مَقْبُوحًا... مَقْبُوحًا...

«أَتُوذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ...» ١٩

[أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ]

هِيَ زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْأَسَدِيِّ... قَالَ:

«سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَقُولُ:

«هِيَ زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...

«يَعْنِي عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا».

[أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ]

قَالَ: عَائِشَةُ؟

«عَنْ أَنَسٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... قَالَ:

«قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ؟...

«قَالَ: عَائِشَةُ...»

«قِيلَ: مِنْ الرِّجَالِ؟...»
«قَالَ: أَبُوهَا.»

[أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ]

* * *

فضائل أم المؤمنين...
عائشة رضي الله تعالى عنها...
من صحيح الإمام مسلم...!؟

كَفَضْلِ الثَّرِيدِ!؟

«عَنْ أَبِي مُوسَى... قَالَ:
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ: كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ... وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ
النِّسَاءِ... غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ... وَأَسِيَّةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ...
«وَأَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ... كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».
[أخرجه مسلم]

«كفضل الثريد على سائر الطعام» قال العلماء:
معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق... فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا
ثريد... وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه...
والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه... وسهولة مساغته... والالتذاذ به... وتيسر
تناوله... وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك... فهو أفضل من
المرق كله ومن سائر الأطعمة.
وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من
الأطعمة...

وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية...
لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة.

مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ... مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ... مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ...»

«وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ...»

«لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا...»

«وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُشَرَّهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ...»

«وَأِنْ كَانَ لَيُذْبَحُ الشَّاةُ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا.»

[أَخْرَجَهُ مُسْلِم]

«يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا» أَي صَدَائِقُهَا... جَمْعُ خَلِيلَةٍ وَهِيَ الصَّدِيقَةُ.

وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ... مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ... أَخْبَتْ خَدِيجَةَ... عَلَى رَسُولِ اللَّهِ...»

«فَعَرَفَ اسْتِثْنَاءَ خَدِيجَةَ...»

فَارْتَاخَ لِذَلِكَ... فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ...

«فَغِرْتُ...»

«فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ... حَمَرَاءِ الشُّدَقِيِّينَ...»

هَلَكْتُ فِي الدَّهْرِ... فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا.»

[أَخْرَجَهُ مُسْلِم]

«فَارْتَاخَ لِذَلِكَ» أَي هَشَّ لِمَجِيئِهَا وَسَرَّ بِهَا... لِتَذْكُرَ بِهَا خَدِيجَةَ وَأَيَّامَهَا...

وَفِي هَذَا كُلِّهِ دَلِيلٌ لِحَسَنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوَدِّ وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي

حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ... وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ...

«عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشُّدَقِيِّينَ» مَعْنَاهُ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا... حَتَّى

سَقَطَتْ أَسْنَانُهَا مِنَ الْكِبَرِ... وَلَمْ يَبْقَ لَشَدَقِهَا بَيَاضُ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْنَانِ... إِنَّمَا بَقِيَ

فيه حمرة لثاتها...

قال القاضي: قال المصري وغيره من العلماء:
الغيرة مسامح للنساء فيها... لا عقوبة عليهن فيها... لما جبلن عليه من ذلك...
ولهذا لم تزجر عائشة عنها...
قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها... وأول شبيبته...

أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ... ثَلَاثَ لَيَالٍ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... أَنَّهَا قَالَتْ:
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ: أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ... ثَلَاثَ لَيَالٍ...
«جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ...
«فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ...
«فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ... فَإِذَا أَنْتِ هِيَ...
«فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ.»

[أخرجه مسلم]

«في سَرَقَةٍ من حرير» هي الشقق البيض من الحرير.

حُبُّ عَائِشَةَ... لِرَسُولِ اللَّهِ... ﷺ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:
«قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:
«إِنِّي لَا غَلَمَ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً... وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي...
«قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟...
«قَالَ: أَمَا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ... وَإِذَا كُنْتُ
غَضَبِي قُلْتُ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ...
«قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ... مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.»

[أخرجه مسلم]

قال القاضي: مغاضبة عائشة للنبي... ﷺ... هي مما سبق من الغيرة... التي عفي عنها للنساء في كثير من الأحكام... لعدم انفكاكهن منها... حتى قال مالك... وغيره من علماء المدينة: يسقط عنها الحد إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة... قال: واحتج بما روى عن النبي... ﷺ... أنه قال: ما تدري الغبراء أعلى الوادي من أسفله... ولولا ذلك لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه... لأن الغضب على النبي... ﷺ... وهجره... كبيرة عظيمة... ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسمك... فدل على أن قلبها... وحبها... كما كان... وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة...

عائشة حديثه السنن ١٩

«عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ...
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
«قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَكُنَّ يَنْقِمْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
«قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ».

[أخرجه مسلم]

... وفي حديث جرير:
«كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فِي بَيْتِهِ وَهُنَّ اللَّعْبُ».
«فيه جواز اللعب بهن^(١)... ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن...
«ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن...
«فَكُنَّ يَنْقِمْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... فَكَانَ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ» معنى ينقمعن يتغيبن حياء منه وهيبة... وقد يدخلن في بيت ونحوه وهو قريب من الأول... ويُسَرِّبُهُنَّ أي

(١) أي العرائس التي يلعب بها الأطفال.

يرسلهن وهذا من لطفه... ﷺ ... وحسن معاشرته..».

إِنَّ أَرْوَاجَكَ ... يَسْأَلُكَ الْعَدْلَ ... فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ؟!

«أَنْ عَائِشَةَ ... زَوْجَ النَّبِيِّ ... ﷺ ... قَالَتْ:

«أَرْسَلَ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ ... ﷺ ... فَاطِمَةَ ... بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ... ﷺ ... إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ... ﷺ ...

«فَاسْتَأْذَنْتَ عَلَيْهِ ... وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي ... فَأَذِنَ لَهَا ...

«فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ... إِنَّ أَرْوَاجَكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْكَ ... يَسْأَلُكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ...

«وَأَنَا سَاكِتَةٌ ...

«قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ... ﷺ: أَيُّ بَنِيَّةٍ ... أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟ ... «فَقَالَتْ: بَلَى ...

«قَالَ: فَأَحْبِبِّي هَذِهِ ...

«قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ... ﷺ ...

«فَرَجَعَتْ إِلَى أَرْوَاجِ النَّبِيِّ ... ﷺ ... فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ ... وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ... ﷺ ...

«فَقُلْنَ لَهَا: مَا تُرَاكِ أُغْنِيَتْ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ ... فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ... ﷺ ... فَقُولِي لَهُ ... إِنَّ أَرْوَاجَكَ يَسْأَلُكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ... «فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَةَ فِيهَا أَبَدًا ...

«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ ... ﷺ ... زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ... زَوْجَ النَّبِيِّ ... ﷺ ...

«وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ... ﷺ ... «وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ...

«وَأَتَّقَى لِلَّهِ ...

«وَأَصْدَقَ حَدِيثًا ...

«وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ...
«وَأَعْظَمَ صَدَقَةً...
«وَأَشَدَّ ابْتِدَاءً لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقْرُبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ
تعالى...»

«ما عَدَا سَوْرَةَ مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا... تُشْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ...
«قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
«وَرَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا... عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ
فَاطِمَةُ عَلَيْهَا... وَهُوَ بِهَا...
«فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...
«فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... إِنَّ أَرْوَاجَكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْكَ... يَسْأَلُكَ الْعَدْلُ فِي
ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ...
«قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعْتُ بِي... فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ...
«وَأَنَا أَزُقُّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... وَأَزُقُّ طَرْفَهُ... هَلْ يَأْذُنُ لِي فِيهَا؟...
«قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ... حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... لَا يَكْرَهُ
أَنْ أُنْصِرَ...
«قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا... لَمْ أَلْشَبْهَا حَتَّى أُنْحِثُ عَلَيْهَا...
«قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... وَتَبَسَّمَ...
«إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ».

[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]

«يَسْأَلُكَ الْعَدْلُ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ» مَعْنَاهُ يَسْأَلُكَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُنَّ فِي مَحَبَّةِ
الْقَلْبِ...

وَكَانَ ﷺ يَسْوِي بَيْنَهُنَّ فِي الْأَفْعَالِ وَالْمَبِيتِ وَنَحْوِهِ...
وَأَمَّا مَحَبَّةُ الْقَلْبِ فَكَانَ يُحِبُّ عَائِشَةَ أَكْثَرَ مِنْهُنَّ...
وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مُحَبَّتَهُنَّ لَا تَكْلِفُ فِيهَا...
وَلَا يُلْزِمُهُ التَّسْوِيَةُ فِيهَا...

«لأنه لا قدرة لأحد عليها الا الله سبحانه وتعالى...

وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال...

وقد اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء في أنه ﷺ... هل كان يلزمه القسم بينهن في الدوام والمساواة في ذلك كما يلزم غيره أم لا يلزمه... بل يفعل ما يشاء من إثارة وحرمان؟...

فالمراد بالحديث طلب المساواة في محبة القلب لا العدل في الأفعال... فإنه كان حاصلاً قطعاً...

ولهذا كان يطاف به ﷺ في مرضه عليهن حتى ضعف... فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة... فأذن له... «يناشدك» أي يسألك...

«هي التي تسأمني» أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة... مأخوذ من السمو وهو الارتفاع...

«ما عدا سورة من حجة كانت فيها... تسرع منها الفية» السورة: «الثوران وعجلة الغضب... وأما الحجة فهي شدة الخلق وثورانه... ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب... تسرع منها الفية... وهي الرجوع... أي إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه...

«فلما وقعت بها لم أنشئها حين أنحيث عليها» أنحيث: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة... ومعنى لم أنشئها لم أمهلها... وقولها أولاً ثم وقعت بي أي استطالت عليّ ونالت مني بالوقعة في...

اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ... أذن لعائشة... ولا أشار بعينه ولا غيرها... بل لا يحل اعتقاد ذلك... فإنه ﷺ... تحرم عليه خائنة الأعين...

وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها... فلم ينهها...

وأما قوله... ﷺ... إنها ابنة أبي بكر...

فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها... وحسن نظرها... والله أعلم...

كانوا.. يَتَحَرَّوْنَ بهداياهم يومَ عائشة؟!

«عَنْ عَائِشَةَ...»

«أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهِدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ...»

«يَتَتَفَعَّلُونَ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...».

[أخرجه مسلم]

قَبْضَةُ اللَّهِ... بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«إِنَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... لَيَتَفَقَّدُ...»

«يَقُولُ أَينَ أَنَا الْيَوْمَ... أَينَ أَنَا غَدًا...»

«اسْتَيْطَاءَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ...»

«قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي... قَبْضَةُ اللَّهِ بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي..».

[أخرجه مسلم]

«قَبْضَةُ اللَّهِ بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي» السَّخَر... هي الرثة وما تعلق بها...

«فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبْضَةُ اللَّهِ» أي يومها الأصيل بحساب الدور والقسم... وإلا

فقد كان صار جميع الأيام في بيتها.

أَضَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ...؟!

«عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ...»

«عَنْ عَائِشَةَ... أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ...»

«أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ...»

«وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا...»

«وَأَضَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ...»

[أخرجه مسلم]

وفي رواية «الرفيق الأعلى»

الصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى الأنبياء... الساكنون أعلى

عليين...

ولفظه رفيق تطلق على الواحد وعلى الجمع...

قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾...

وقيل هو الله تعالى... يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرفقة...

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ

عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...

قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ... ﷺ... فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ...

وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ...

«يَقُولُ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا...

قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خَيْرَ جَنَّتِيذٍ».

[أخرجه مسلم]

«وأخذته بُحَّة» هي غلظ في الصوت...

اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى ۚ

أَنَّ عَائِشَةَ... زَوْجَ النَّبِيِّ... ﷺ... قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... يَقُولُ... وَهُوَ صَحِيحٌ...

إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ... حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ... ثُمَّ يُخَيَّرُ...

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...

«وَرَأَسُهُ عَلَى فَخِذِي...»

«عُشِي عَلَيْهِ سَاعَةٌ...»

«ثُمَّ أَفَاقَ...»

«فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ...»

«ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ:

إِذَا لَا يَخْتَارُنَا...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ... فِي

قَوْلِهِ إِنَّهُ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ...»

«اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى..»

[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ]

«فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ» أَي رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَلَمْ يَطْرَفْ.

غِيْرَةُ عَائِشَةَ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... إِذَا خَرَجَ أَفْرَعُ بَيْنَ يَسَائِهِ...»

«فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى عَائِشَةَ وَخَفْصَةَ...»

«فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعًا...»

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ... إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ... يَتَحَدَّثُ

مَعَهَا...»

«فَقَالَتْ خَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلَا تَرَكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي... وَأَرْكَبُ بَعِيرَكَ...»

فَتَنْظُرِينَ وَالنَّظْرُ...»

«قَالَتْ: بَلَى...»

«فَرَكِبَتْ عَائِشَةُ عَلَى بَعِيرِ خَفْصَةَ... وَرَكِبَتْ خَفْصَةُ عَلَى بَعِيرِ عَائِشَةَ...»

«فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... إِلَى جَمَلٍ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ... فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا... حَتَّى نَزَلُوا...
«فَأْتَقَدَّتْهُ عَائِشَةُ...
«فَفَارَتْ...»

«فَلَمَّا نَزَلُوا... جَعَلَتْ تَجْعَلُ رَجُلَهَا بَيْنَ الْإِذْخِرِ وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي... رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا.»
[أُخْرِجَهُ مُسْلِمًا]

«فطارت القرعة على عائشة وحفصة» أي خرجت القرعة لهما...
ففيه صحة الاقراع في القسم بين الزوجات... وفي الأموال... وفي العتق...
ونحو ذلك... مما هو مقرر في كتب الفقه مما في معنى هذا...
وبإثبات القرعة في هذه الأشياء قال الشافعي وجماهير العلماء...
وفيه أن من أراد سفرًا ببعض نسائه أقرع بينهم كذلك...
وهذا الاقراع عندنا - أي الشافعية - واجب في حق غير النبي ﷺ...
وأما النبي ﷺ... ففي وجوب القسم في حقه خلاف...
فمن قال بوجوب القسم يجعل إقراعه واجبًا...
ومن لم يوجبه يقول إقراعه ﷺ... من حسن عشرته ومكارم أخلاقه...
إن حفصة قالت لعائشة ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك... قال القاضي:
قال المهلب: هذا دليل على أن القسم لم يكن واجبًا عليه ﷺ...
فلهذا تحيلت حفصة على عائشة بما فعلت...
ولو كان واجبًا لحرم ذلك على حفصة...
وهذا الذي ادعاه ليس بلازم... فإن القائل بأن القسم واجب عليه لا يمنع
حديث الأخرى في غير وقت عماد القسم...
قال أصحابنا (أي الشافعية): يجوز أن يدخل في غير وقت عماد القسم إلى غير
صاحبة التوبة فيأخذ المتاع أو يضعه أو نحوه من الحاجات... وله أن يقبلها
ويلمسها من غير إطالة...

وعِمَادُ الْقِسْمِ فِي حَقِّ الْمَسَافِرِ هُوَ وَقْتُ التَّزْوِلِ...
فَحَالَةُ السَّيْرِ لَيْسَتْ مِنْهُ سِوَاءَ كَانِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا...
جَعَلَتْ رِجْلَهَا بَيْنَ الْإِذْخِرِ وَتَقُولُ... إِلَى آخِرِهِ... هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ وَقَالَتْهُ...
حَمَلَهَا عَلَيْهِ فَرَطَ الْغِيْرَةِ... عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ أَمْرَ الْغِيْرَةِ
مَعْفُورٌ عَنْهُ.

يَا عَائِشُ... هَذَا جِبْرِيلُ... يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ؟!

«عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ... قَالَ:
«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ... يَقُولُ:
«فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ...
«كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

[أخرجه مسلم]

«عَنِ الشَّعْبِيِّ...
«عَنْ أَبِي سَلَمَةَ...
«عَنْ عَائِشَةَ... أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ...
«أَنَّ النَّبِيَّ... قَالَ لَهَا:
«إِنَّ جِبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...
«قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ».

[أخرجه مسلم]

«حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ...
«أَنَّ عَائِشَةَ... زَوْجَ النَّبِيِّ... قَالَتْ:
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ...
«يَا عَائِشُ...
«هَذَا جِبْرِيلُ...
«يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...»

«قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.
«قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى».

[أخبره مسلم]

«إن جبريل يقرأ عليك السلام» فيه فضيلة ظاهرة لعائشة... رضي الله عنها...
وفيه استحباب بعث السلام...
ويجب على الرسول تبليغه...
وفيه بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة... إذا لم يخف ترتب مفسدة...
وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه...
قال أصحابنا (أي الشافعية): وهذا الرد واجب على الفور...
وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور
إذا قرأه...

وفيه أنه يستحب في الرد أن يقول وعليك أو وعليكم السلام... بالواو...
فلو قال عليكم السلام... أو عليكم...
أجزأه على الصحيح... وكان تاركاً للأفضل...
ومعنى يقرأ عليك السلام... يسلم عليك...
«يا عائش» دليل لجواز الترخيم.

فضل عائشة...

رضي الله تعالى عنها...

من صحيح...

الإمام البخاري...؟

باب... فضل عائشة... رضي الله عنها

أي هذا باب في بيان فضل عائشة... رضي الله تعالى عنها...

هي الصديقة... بنت الصديق... رضي الله تعالى عنهما...

وأما أم رومان... بنت عامر... بن عويمر... بن عبد شمس...

تزوجها رسول الله... ﷺ... بمكة... قبل الهجرة بستين... وبني بها
بالمدينة... بعد منصرفه من وقعة بدر... في شوال سنة اثنتين من
الهجرة...

ثم مات النبي... ﷺ... وعاشت بعده قريباً من خمسين سنة...

رُبْع الأحكام منقولة عنها؟

وأكثر الناس الأخذ عنها...

ونقلوا عنها من الأحكام والآداب... شيئاً كثيراً...

حتى قيل إن رُبْع الأحكام الشرعية منقولة عنها...

رُويَ لها... ألف حديث وعشرة أحاديث؟

رُويَ لها... عن رسول الله... ﷺ... ألف حديث وعشرة

أحاديث (١) ...

ولم تلد للنبي... ﷺ ...
وسألته أن تكتني...
فقال: اكنني بابن أختك...
قالت: أم عبد الله.

تَرَى مَا لَا أَرَى؟

«قَالَ أَبُو سَلَمَةَ...
«إِنَّ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... يَوْمًا:
«يَا عَائِشُ... هَذَا جَبْرِيلُ... يُقْرِئُكَ السَّلَامَ...
«فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ... تَرَى مَا لَا أَرَى...
«تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ».

[أخرجه البخاري]

سلام جبريل عليها... يدل على أنَّ لها فضلًا عظيمًا...
واستدل به بعضهم... لفضل خديجة على عائشة... لأن الذي ورد في حق
خديجة... أن النبي ﷺ قال لها: «إن جبريل يقرئك السلام من ربك»... وهنا
السلام من جبريل خاصة...
«يا عائشُ» يجوز في الشين الضم والفتح...
«تَرَى» خطاب لرسول الله... ﷺ ... وأوضحه بقوله... تريد رسول الله ﷺ.

فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ؟

«عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... قَالَ:

(١) جاء في كتاب «الصديقة بنت الصديق» للأستاذ عباس العقاد «روت للنبي عليه السلام أكثر من
ألفي حديث في مختلف المسائل...».

«قال رسول الله... ﷺ:
«كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ...
«وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ... إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ... وَأَيُّسَةُ ابْنَةُ إِزْعُونَ...
«وَفَضَّلُ عَائِشَةُ عَلَى النَّسَاءِ... كَفَضَّلُ الثَّرِيدَ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ...»
[أخرجه البخاري]

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ...
«أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... يَقُولُ:
«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ يَقُولُ:
«فَضَّلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ... كَفَضَّلُ الثَّرِيدَ عَلَى الطَّعَامِ...»
[أخرجه البخاري]
«الثريد» في الأصل: الخبز المكسور... يقال ثردت الخبز ثردًا... أي: كسرتة:
فهو ثريد ومثروود، والاسم الثردة...
قال ابن الأثير: لم يرد عين الثريد... وإنما أراد الطعام المتخذ من اللحم والثريد
معًا... لأن الثريد غالبًا لا يكون إلا من لحم... والعرب قلما تجد طبيخًا ولا سيما
بلحم...
قلت: علم من هذا أن الثريد طعام متخذ من اللحم يكون فيه خبز مكسور... فلا
يسمى اللحم المطبوخ وحده بدون الخبز المكسور ثريدًا... ولا الخبز المكسور
وحده بدون اللحم ثريدًا...
والظاهر أن فضل الثريد على سائر الطعام... إنما كان في زمانهم... لأنهم قلما
كانوا يجدون الطبيخ... ولا سيما إذا كان باللحم...
وأما في هذا الزمان فأطعمة معمولة من أشياء كثيرة متنوعة... فيها من أنواع
اللحوم... ومعها أنواع الخبز الحواري... فلا يقال إن مجرد اللحم مع الخبز
المكسور أفضل من هذه الأطعمة المختلفة الأجناس والأنواع... وهذا ظاهر لا
يخفى.

أقول... هذا الذي ذهب إليه الشارح^(١) من تفضيل الأطعمة المكونة من أصناف شتى على الثريد... ليس صحيحًا على إطلاقه... بل يبقى الثريد دائمًا أفضل من سائر أنواع الأطعمة... لأنه سهل الهضم... بينما هذه الأطعمة التي تبهر الشارح قد تؤدي إلى عُسر الهضم!!!

ابن عباس... يُيسَّر... عائشة؟!

«عن القاسم بن محمد...
«أَنَّ عَائِشَةَ اشْتَكَتْ...
«فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ:
«يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ... تَقْدَمِينَ عَلَى قَرْطِ صِدْقٍ... عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
وعلى أَبِي بَكْرٍ».

[أخرجه البخاري]

مطابقته للترجمة... من حيث أن ابن عباس قطع لعائشة بدخول الجنة... إذ لا يقال ذلك إلا بتوقيف... وهذه فضيلة عظيمة... «اشتكت» أي ضعفت... «على قَرْطٍ» وهو المتقدم من كل شيء... ويقال: القَرْطُ الفارط: أي السابق إلى الماء والمنزل... «صِدْقٍ» أي صادق... وهو عبارة عن الحُسن... قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾...

«على رسول الله ﷺ» حاصل المعنى...
أَنَّ النَّبِيَّ... وَأَبَا بَكْرٍ... قَدْ سَبَقَا... وَأَنْتَ تَلْحَقُ بِهِمَا... وَهُمَا قَدْ هَيَّأَا لَكَ الْمَنْزِلَ فِي الْجَنَّةِ... فَلَا تَحْمِلِي الْهَمَّ... وافرحي بذلك...

(١) هو الإمام العيني - شارح صحيح البخاري.

إني لأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟

«... لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ... عَمَّارًا وَالْحَسَنَ... إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ... خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ:

«إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...
وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ... تَتَّبِعُونَهُ أَوْ إِيَّاهَا؟»

[أخرجه البخاري]

مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله... أنها أي أن عائشة زوجته... أي زوجة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا والآخرة... وفي هذا فضل عظيم لها...

«بعث عليٌّ» أي علي بن أبي طالب... وكان علي رضي الله تعالى عنه... بعث عمار بن ياسر والحسن ابنه إلى الكوفة لأجل نصرته في مقاتلة كانت بينه وبين عائشة بالبصرة... ويسمى يوم الجمل... «ليستنفرهم» أي ليستنجدهم ويستنصرهم... من الاستنفار وهو الاستنجاد والاستنصار... «أنها» أي أن عائشة... زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم... في الدنيا والآخرة.

وروى ابن حبان... من طريق سعيد بن كثير...
«عن عائشة...

«أن النبي... قال لها:

«أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة.»

«تتبعونه» أي تتبعون عليًا... أو تتبعون إياها... أي عائشة...

فإن قُلْتُ: مخاطب الله تعالى أزواج النبي... بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ولهذا قالت أم سلمة:

لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى الله تعالى...

قُلْتُ: كانت عائشة رضي الله تعالى عنها متأولة هي وطلحة والزبير... وكان

مرادهم إيقاع الصلح بين الناس... وأخذ القصاص من قتلة عثمان... رضي الله تعالى عنه...

عندما ضاعت القلادة من عائشة؟

«عَنْ عَائِشَةَ... رضي الله عنها...
«أَلْهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ... قِلَادَةً فَهَلَكَتْ...
«فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا...
«فَأَذَرَكْتَهُمُ الصَّلَاةَ... فَصَلُّوا بِغَيْرِ وُضُوءٍ...
«فَلَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ... ﷺ... شَكَّوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ...
«فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيْمُمِ...
«فَقَالَ أَسِيدُ بْنُ خُضَيْرٍ:
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا... فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ قَطُّ... إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُ
مَخْرَجًا... وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً.»

[أخرجه البخاري]

«من أسماء» هي أخت عائشة.. والقلادة والعقد واحد وهو كل ما يعلق ويعقد في العنق...
«فهلكت» أي ضاعت...
«أُسَيْدُ» الأنصاري الصحابي...
«فَصَلُّوا بِغَيْرِ وُضُوءٍ» قال النووي: فيه دليل على أن من عدم الماء والتراب يصلي على حاله...
فلَمَّا كَانَ يَوْمِي... سَكَنَ؟

فلَمَّا كَانَ يَوْمِي... سَكَنَ؟

«عَنْ هِشَامٍ.. عَنْ أَبِيهِ...
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... لَمَّا كَانَ فِي مَرَضِهِ...
«جَعَلَ يَذُورُ فِي نِسَائِهِ... وَيَقُولُ:

أَيْنَ أَنَا غَدًا... أَيْنَ أَنَا غَدًا...
«جُرُصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ...
«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي سَكَنَ».

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«فِي مَرَضِهِ» أَي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ...
«فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي سَكَنَ» أَي مَاتَ... أَوْ سَكَتَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ...

مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافٍ

امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ... غَيْرَهَا؟

«حَدَّثَنَا هِشَامٌ... عَنْ أَبِيهِ... قَالَ:
«كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ...
«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ...
«فَقُلْنَا: يَا أُمُّ سَلَمَةَ... وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ... وَإِنَّا
نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا نُرِيدُهُ عَائِشَةُ... فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ... أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ
يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ... أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ...
«قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمِّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ...
«قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي...
«فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ...
«فَأَعْرَضَ عَنِّي...
«فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ...
«فَقَالَ: يَا أُمُّ سَلَمَةَ... لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ... فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ
وَأَنَا فِي لِحَافٍ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا».

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«يَتَحَرَّوْنَ» أَي يَقْصِدُونَ وَيَجْتَهِدُونَ...

«وانا نريد الخير» بنون المتكلم مع الغير...
«فمُري» أي قولي... وبه يستدل على أن العلو والاستعلاء لا يشترط في الأمر...
«في لحاف» اسم لما يغطي به...

الخطوط العريضة...

من حياة أم المؤمنين...

عائشة...؟

باختصار شديد...

من كتاب «أسد الغابة... في معرفة الصحابة»...

عائشة... بنت أبي بكر الصديق؟!

«عائشة... بنت أبي بكر الصديق...»

«الصديقة بنت الصديق...»

«أم المؤمنين...»

«زوج النبي... ﷺ...»

«وأشهر نسائه...»

«وأما أم زومان... ابنة عامر... بن عويمر... بن عبد شمس... بن

عتاب... بن أذينة... بن شبيب... بن دهمان... بن الحارث... بن غنم... بن

مالك... بن كنانة الكنانية...»

تزوجها وهي بكر؟!

«تزوجها رسول الله... ﷺ... قبل الهجرة بستين...»

«وهي بكر...»

«وكان جبريلُ قد عَرَضَ على رسول الله... ﷺ... صورتها في سَرَقَةٍ

(قطعة من جيد الحرير) حرير في المنام... لما توفيت خديجة...»

«وكنّاها رسول الله... ﷺ... أم عبد الله... بابن أختها عبد الله بن

الزبير...».

هذه زوجتك؟!

«عن عائشة:

«أن جبريلَ جاء بصورتها في خِزْفَةٍ حرير خضراء إلى النبي... ﷺ...
فقال:

«هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.».

الصديقة بنت الصديق؟!

«وكان مسروق إذا رَوَى عنها يقول: حَدَّثَتِي الصُّدِيقَةُ بنت الصُّدِّيق...
البريئة المبرأة...».

كانت من أفقه الناس؟!

«وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض...
«وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة... من أفقه الناس... وأحسن
الناس رأياً في العامة...».

نزل فيها من القرآن... ما يُتلى إلى يوم القيامة؟!

«وقال عُزُوة:

«ما رأيت أحداً أعلم بفقهه... ولا بطب... ولا بشيغره... من عائشة...
«ولم لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك... لكفى بها فضلاً...
وَعُلُوَّ مجد...».

«فإنها نزل فيها من القرآن ما يُتلى إلى يوم القيامة...
«ولولا خوف التطويل لذكرنا قصة الإفك بتمامها... وهي أشهر من أن
تخفى...».

روت عن النبي... ﷺ ... كثيرًا؟!

«وروت عن النبي... ﷺ ... كثيرًا...
«روى عنها عمر بن الخطاب... وكثير من الصحابة...
«ومن التابعين ما لا يحصى...».

توفيت سنة سبع وخمسين؟!

«وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين...
«وقيل: سنة ثمان وخمسين...
«ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان...».

ودُفنت بالبقيع؟!

«وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً...
«دفنت وصلى عليها أبو هريرة...
«ولزل في قبرها خمسة:
«عبد الله وعروة... ابنا الزبير...
«والقاسم بن محمد بن أبي بكر...
«وعبد الله بن محمد بن أبي بكر...
«وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر...».

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ...
صلى الله عليه وسلم...
عائشة...

رضي الله عنها...؟!

كيف تم الاختيار؟!

«عن عائشة قالت (١):
«لما توفيت خديجة... قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص - امرأة عثمان
ابن مظعون - وذلك بمكة:
«أني رسول الله... ألا تزوج؟...
«قال: ومن؟
«قلت: إن شئت بكراً... وإن شئت ثيباً...
«قال: فمن البكر؟...
«قلت: ابنة أحب خلق الله إليك... عائشة بنت أبي بكر...
«قال: ومن الثيب؟...
«قلت: سودة بنت زَمْعَةَ بن قيس... آمنت بك واتبعك على ما أنت
عليه...»

«قال: فاذهبي... فاذكريهما علي...
«فجاءت فدخلت بيت أبي بكر...
«فوجدت أم رومان... أم عائشة... فقالت:

(١) الرواية التي وردت بأشد الغاية في معرفة الصحابة.

«أي... أمّ رومان... ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة!...
«قالت: وما ذاك؟...
«قالت: أرسلني رسول الله... ﷺ... أخطب عليه عائشة...
«قالت: ودَدْتُ... انتظري أبا بكر... فإنه آت...
«فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر...
ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة!...
«قال: وما ذاك؟...
«قالت: أرسلني رسول الله... ﷺ... أخطب عليه عائشة...
«قال: وهل تصلح له؟... إنما هي بنت أخيه...
«فرجعت إلى رسول الله... ﷺ... فذكرت ذلك له...
«فقال: أرجعي وقول له: أنت أخي في الإسلام... وابتنك تصلح لي...
فأتت أبا بكر...
«فقال: ادعي لي رسول الله... ﷺ...
«فجاء... فَأَلْكَحَهُ^(١)...
«وقال رسول الله... ﷺ: ومن الشيب؟...
«قالت: سودة بنت زَمْعَةَ... قد آمنت بك واتبعتك...
«قال: اذهبي... فاذكريها علي...
«قالت: فخرجت... فدخلت على سودة فقلت: يا سودة... ما أدخل الله
عليكم من الخير والبركة!...
«قالت: وما ذاك؟...
«قالت: أرسلني رسول الله... ﷺ... أخطبك عليه...
«قالت: ودَدْتُ... ادخلي على أبي فاذكري ذلك له...
«قالت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج...
«فدخلت عليه فقلت: إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة..

(١) أي فزّجه.

«قال: كُفَّءٌ كريم... فماذا تقول صاحبك؟...»
«قالت: تحب ذلك...»
«قال: ادعيها...»
«فدعتها...»
«فقال: إن محمد بن عبدالله أرسل يخطبك وهو كُفَّءٌ كريم... أفتحيين أن أزوجك؟...»
«قالت: نعم...»
«قال: فادعيه لي...»
«فدعته...»
«فجاء... فزوجه...»
«وجاء أخوها... عبد بن زمعة... من الحج... فجعل يحشو التراب على رأسه...»
«وقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحشو التراب على رأسي أن تزوج رسول الله... ﷺ... سؤدة...»
وجاء في روايات أخرى... مختصراً:

خطبة عائشة

توفيت خديجة رضي الله عنها قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنين... فلبث ستين، وتزوج عائشة.
وكان دخوله بها في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة.
وقصة ذلك: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟
قال: من؟
قالت: إن شئت بكراً. وإن شئت ثيباً.
قال: فمن البكر؟

قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة ابنة أبي بكر.
قال: ومن الثيب؟
قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك.
قال: فاذهبي... فاذكريهما علي.
فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟.

قالت: وما ذاك؟
قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.
قالت: أنظري أبا بكر حتى يأتي.
فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟.
قال: وما ذلك؟
قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.
قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه؟
فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: «ارجعي إليه فقول له أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي».
فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري... وخرج.
قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعدًا قط فأخلفه.

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي، وعنده امرأته أم الصبي، فقالت يا بن أبي قحافة، لعلك مصبي صاحبنا تدخلك في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟.

فقال أبو بكر لمطعم بن عدي: إنها تقول ذلك؟.
فخرج من عنده، وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده.
فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ.
فدعته... فزوجها إياه...

زواج سودة

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وددت، أدخلني إلى أبي فاذكري ذلك له.

فدخلت عليه، فحييته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟

قالت: خولة بنت حكيم.

قال: فما شأنك؟

قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة.

فقال: كُفَّ كَريم.

قالت: ماذا تقول صاحبك؟

قال: تحب ذلك... ادعيها إلي.

فدعتها، قال: أي بنية: إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كُفَّ كَريم؛ أتحيين أن أزوجك به؟

قالت: نعم.

قال: ادعيه لي.

فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

زفاف عائشة

قالت عائشة تروي قصة زفافها: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فجاء رسول الله ﷺ، فدخل بيتنا، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءتني أمي وأنا لفي أرجوحة بين علقين، يرجح بي، فأنزلتني من الأرجوحة، ولي جميمة ففرقتها، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي

عند الباب، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجره ثم قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء فخرجوا، ودخل بي رسول الله ﷺ في بيتنا.

لماذا تزوج سودة؟

وها هو ابن عباس يروي لنا أسباب زواجه ﷺ من سودة فيقول: إن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصيبة، كان لها خمس صبية - أو ست - من بعلها مات، فقال رسول الله ﷺ: «ما يمنعك مني؟» قالت: والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي، ولكن أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال: فهل منعك مني غير ذلك؟ قالت: لا والله. قال لها رسول الله ﷺ: يرحمك الله، إن خير نساء ركن عجائز الإبل، صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل بذات يده. وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة.

وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكة، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية.

روايات الإمام البخاري في صحيحه؟!

[باب تزويج النبي ﷺ ... عائشة ... وقُدُومها المدينة وبنائه بها؟!]
أي هذا باب في بيان تزويج النبي ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم ... عائشة رضي الله تعالى عنها...
قوله (وقدومها) أي وفي بيان قدوم عائشة المدينة...

وكان قدوم عائشة مع أمها وأختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى المدينة... بعد أبي بكر... لأن أبا بكر هاجر مع النبي...
وبعد أن استقر ركاب النبي وأبو بكر بالمدينة بعد الهجرة...
بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولى رسول الله... ليأتيا بأهاليهم من مكة...

وبعثا معهما بجمالين وخمسمائة درهم ليشتريا بها إبلًا من قديد...
فذهبا فجاءا ببنتي النبي... فاطمة وأم كلثوم... وزوجته سودة...
وعائشة... وأمها أم رومان...
فقدمن ونزلن بالشَّح... ثم دخل رسول الله... بعائشة...
بالشَّح... في منزل أبي بكر^(١)...
واختلفوا في أي شهر دخل بها...
والأصح أنه في شوال...
لما روى مسلم... وأحمد... والترمذي... والنسائي... وابن ماجه عن عائشة:

«قالت: تزوجني رسول الله... في شوال... وبني بي في شوال»...

قوله (وبنائها بها) أي وفي بيان بناء النبي... بعائشة...
والأصل في هذا أن الداخل على أهله يضرب عليه قبة ليلة الدخول... ثم قيل لكل داخل بأهله بان...

على الخير والبركة ١٢

«عن عائشة... رضي الله عنها:

«تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ... فَأَتَيْتَنِي أُمِّي... فَأَدْخَلَنِي الدَّارَ...»

(١) ذهب العقاد إلى أنها كانت قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها أو قاربها يوم دخل بها الرسول عليه السلام - أنظر التفاصيل في آخر الكتاب - باب «ماذا قال العقاد»؟.

«فإذا بسوة من الأنصار في البيت... فقلن: على الخير والبركة... وعلى خير طائر».

[أخرجه البخاري]

«وعلى خير طائر» كناية عن الفأل... وطائر الإنسان عمله الذي قلده...
وقال ابن الأثير: طائر الإنسان ما حصل له في علم الله عز وجل مما قدر له...
وقيل: الطائر... الحظ...

دخوله عليها كان وقت الضحى؟

«عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:
«تزوجني النبي... ﷺ...
«فأتتني أمي... فأدخلتني الدار...
«فلَمْ يرغني إلا رسول الله... ﷺ... ضحى».

[أخرجه البخاري]

«فلَمْ يرغني» فلم يفجأني...
«ضحى» أي وقت الضحى...
أرادت أن دخوله عليها كان وقت الضحى...

هل كانت في الرابعة عشرة؟

لثبت ما ذهب إليه الاستاذ عباس العقاد في كتابه «الصديقة بنت الصديق» قال:
«ولا يعرف على التحقيق في أي سنة ولدت السيدة عائشة رضي الله عنها.
ولكن أقرب الأقوال إلى الصدق وأحراها بالقبول أنها ولدت في السنة
الحادية عشرة أو الثانية عشرة قبل الهجرة، فتكون قد بلغت الرابعة عشرة من
عمرها أو قاربها يوم بنى بها الرسول عليه السلام^(١)»...

(١) أثبتنا التفاصيل في آخر الكتاب... في باب «ماذا قال العقاد؟»

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ... لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ...

مَنْ النِّسَاءِ...؟!

عندما صارت... عائشة... رضي الله عنها... زوجة للنبي... ﷺ...
صارت... أمًا للمؤمنين والمؤمنات... إلى يوم القيامة...
فانتقلت بذلك إلى مقام... أم المؤمنين... وزوج النبي... ﷺ...
وظهر للعالم أجمع... الحكمة من زواجها صغيرة... وبقائها بعد وفاة
النبي... ﷺ... نحو خمسين عامًا...
لتكون مصدر إشعاع للأمة كلها... مرجعًا للعلماء والفقهاء...
تروي لهم من شؤون دينهم ما لم يكونوا يعلمون...
طيلة نحو خمسين عامًا... بعد انتقال رسول الله... ﷺ... إلى الرفيق الأعلى...
وأتاها الله... من الفضائل العليا... ما أعانها على أداء تلك الرسالة...
قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ... إِنِ اتَّقَيْتُنَّ... فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ... وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى... وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَاتِينَ الزَّكَاةَ... وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا
خَبِيرًا﴾.

[الأحزاب ٣٢ - ٣٤]

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾...

ذهب جمع من الرجال إلى أن المعنى ليس كل واحدة منكن... كشخص واحد من النساء... أي من نساء عصركن...

أي أن كل واحدة منكن... أفضل من كل واحدة منهن... لما امتازت بشرف الزوجية... لرسول الله... وأمومة المؤمنين... وقيل: المعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء... أي إذا تقصيت أمة النساء... جماعة جماعة... لم يوجد منهن جماعة واحدة... تساويكن في الفضل والسابقة...

وقيل: المعنى على تفضيل نساء النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... على نساء غيره... لا النظر إلى تفضيل واحدة على واحدة من آحاد النساء... وتفضيل كل واحدة من نسائه... صلى الله تعالى عليه وسلم... على كل واحدة واحدة من سائر النساء لا يلزم أن يكون لهذه الآية... بل هو لدليل آخر... إما عقلي أو نصي... مثل قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾...

وقيل: يجوز أن يكون ذلك لها... فإنها تفيد بحسب عرف الاستعمال تفضيل كل منهن على سائر النساء... لأن فضل الجماعة على الجماعة يكون غالبًا لفضل كل منها...

﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾ شرط لنفي المثلية... وفضلهن على النساء... أي أن اتقين مخالفة حكم الله تعالى... ورضا رسوله... صلى الله تعالى عليه وسلم...

والمراد إن دمتن على اتقاء ذلك... أو المراد به التهيج... يجعل طلب الدنيا... والميل إلى ما تميل إليه النساء... لبعده من مقامهن... بمنزلة الخروج من التقوى... ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ بمعنى الاستقبال... أي أن استقبلتن أحدًا فلا تخضعن...

ومعنى لا تخضعن بالقول: لا تُجبن بقولكن خاضعًا... أي ليثًا خنثًا... على سنن كلام المريات...

وحاصله: لا تَلَرَّ الكلام ولا تَرْقُقه...
وهذا - على ما قيل - في غير مخاطبة الزوج ونحوه... كمخاطبة الأجانب...
وإن كُنَّ محرمات عليهم على التأييد...
روي عن بعض أمهات المؤمنين أنها كانت تضع يدها على فمها إذا
كلمت أجنبيًا... تغير صوتها بذلك... خوفًا من أن يسمع رخيما لينا...
وعُدَّ إغلاظ القول لغير الزوج من جملة محاسن خصال النساء... جاهلية
وإسلامًا...
وما وقع من مدح العشيقة برخامة الصوت... وحسن الحديث... ولين
الكلام... فمن باب السَّفه... كما لا يخفى...
﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي فجور وزنا...
والمراد: نية أو شهوة فجور وزنا...
وعن قتادة: تفسيره بالنفاق...
وقرىء: فَيَطْمَعُ...
أي الخضوع الذي في قلبه مرض...
﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ حَسَنًا... بعيدًا عن الرية... غير مطمع لأحد...
وقال الكلبي: أي صحيحًا... بلا هجر ولا تمرىض...
وقال الضحاك: عنيًا...
وقيل: أي قولًا أذن لكم فيه...
وقيل: ذكر الله تعالى... وما يحتاج إليه من الكلام...
﴿وَقَزْنَ فِي يُيُوتِكُنَّ﴾ المراد أمرهن... رضي الله تعالى عنهن... بملازمة
اليوت...
وهو أمر مطلوب من سائر النساء...
أخرج البزار... عن أنس... قال: جئن النساء إلى رسول الله... فقلن:
يا رسول الله: ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى... فهل لنا عمل
ندرك به فضل المجاهدين في سبيل الله تعالى؟... فقال عليه الصلاة والسلام:

«من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى»...

وقد يحرم عليهن الخروج... بل قد يكون كبيرة كخروجهن لزيارة القبور إذا عظمت مفسدته... وخروجهن ولو إلى المسجد وقد استعطرن وتزينن إذا تحققت الفتنة...

وما يجوز من الخروج كالخروج للحجّ وزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الأموات من الأقارب ونحو ذلك... فإنما يجوز بشروط مذكورة في محلها... وظاهر إضافة البيوت إلى ضمير النساء المطهرات أنها كانت يملكنهن... وقد صرح بذلك الحافظ غلام محمد الأسلمي... وذكر أنه عليه الصلاة والسلام بنى كل حجرة لمن سكن فيها من الأزواج... وكانت كل واحدة منهن تتصرف بالحجرة الساكنة هي فيها تصرف المالك في ملكه... بحضوره صلى الله تعالى عليه وسلم...

وقد ذكر الفقهاء أن من بنى بيتاً لزوجته وأقبضه إياها... كان كمن وهب زوجته بيتاً وسلمه إليها... فيكون البيت ملكاً لها...

ويشهد لدعوى أن الحجرة التي كانت تسكنها عائشة... رضي الله تعالى عنها... كانت ملكاً لها... غير الإضافة في (يُيَوِّكُنَّ) الداخل فيه حجرتها... استئذان عمر... رضي الله تعالى عنه... لدفنه فيها... منها... بمحضر من الصحابة... وعدم إنكار أحد منهم... حتى علي... كرم الله تعالى وجهه... ويجوز أن تكون إضافة البيوت إلى ضمير النساء المطهرات باعتبار أنهن ساكنات فيها... قائمات بمصالحها... قيمات عليها...

﴿وَلَا تَبْرُجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ التبرج على ما روي عن مجاهد... وقتادة... وابن أبي نجيح: المشي بتبختر وتكسر وتغنج... وعن مقاتل: أن تلقي المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها... ويدو ذلك كله منها... وقال المبرد: أن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره...

قال الليث: ويقال تبرجت المرأة: إذا أبدت محاسنها من وجهها وجسدها... ويرى مع ذلك من عينها حسن نظر^(١)...

وقال أبو عبيدة: أن تخرج من محاسنها ما تستدعي به شهوة الرجال... وأصله من البرج... وهو سعة العين وحسنها...

أي لا تبرجن مثل تبرج الجاهلية الأولى...

وقيل: هو البرج بمعنى القصر...

ومعنى تبرجت المرأة: ظهرت من برجها أي قصرها...

والمراد بالجاهلية الأولى...

قيل: كانت الجاهلية الأولى زمن إبراهيم عليه السلام... والثانية زمن محمد... صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث...

وقال أبو العالية: كانت الأولى زمن داود وسليمان عليهما السلام... وكان للمرأة قميص من الدرّ غير مخيط الجانبين... يظهر منه الأعكان والسوأتان...

وقال الشعبي: ما بين عيسى ومحمد... عليهما الصلاة والسلام...

قال الزجاج: وهو الأشبه لأنهم هم الجاهلية المعروفة... كانوا يتخذون البغايا...

وروي عن ابن عباس ما هو نص في أن الأولى هنا مقابل الأخرى...

وقال الزمخشري: يجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام...

والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام...

فكأن المعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام... تشبهن بها بأهل جاهلية الكفر...

وفسرهما ابن الأثير بالحالة التي عليها العرب قبل الإسلام... من الجهل بالله تعالى... ورسوله عليه الصلاة والسلام... وشرائع الدين... والمفاخرة بالأنساب... والكبر والتجبر وغير ذلك... والله تعالى أعلم.

(١) أقول: ماذا يقول الشارح لو رأى ما عليه كثير من نساء اليوم؟

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ أمرن بهما لأنافتهما على غيرهما... وكونهما
أساس العبادات البدنية والمالية...

﴿وَأَطِئْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في كل ما تأتين وتذرن... لاسيما فيما أمرتن به
ونهيتهن عنه...

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
الرجس في الأصل: الشيء القذر.. وأريد به هنا - عند كثير - الذنب مجازًا...

وقال السدي: الإثم...

وقال الزجاج: الفسق..

وقال ابن زيد: الشيطان...

وقال الحسن: الشرك...

وقيل: الشك...

وقيل: البخل والطمع...

وقيل: الأهواء والبدع...

وقيل: إنَّ الرجس يقع على الإثم... وعلى العذاب... وعلى النجاسة... وعلى
النقائص...

والمراد به هنا ما يعم كل ذلك...

والمراد بالتطهير... قيل: التحلية بالتقوى...

والمعنى - على ما قيل - إنما يريد الله ليذهب عنكم الذنوب
والمعاصي... فيما نهاكم... ويحليكم بالتحلى بليغة فيما أمركم...

وجوز أن يراد به الصون... والمعنى: إنما يريد سبحانه ليذهب عنكم
الرجس ويصولكم من المعاصي صوتًا بليغًا فيما أمر ونهى جل شأنه...

والمراد بأهل البيت: نساؤه... ﷺ... المطهرات... للقرائن الدالة على
ذلك من الآيات السابقة واللاحقة... مع أنه عليه الصلاة والسلام ليس له بيت
يسكنه سوى سكانه...

وروى ذلك غير واحد...

أخرج ابن أبي حاتم... وابن عساكر... من طريق عكرمة... عن ابن عباس... رضي الله تعالى عنهما: نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الخ في نساء النبي ﷺ... خاصة...

وروى ابن جرير أيضًا أن عكرمة كان ينادي في السوق: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نزل في نساء النبي عليه الصلاة والسلام...

وأخرج ابن سعد عن عروة ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: يعني أزواج النبي... ﷺ... وتوحيد البيت لأن بيوت الأزواج المطهرات باعتبار الإضافة إلى النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... بيت واحد... وجمعه فيما سبق ولحق باعتبار الإضافة إلى الأزواج المطهرات اللاتي كن متعددات... وجمعه في قوله سبحانه الاتي إن شاء الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ دفعًا لتوهم إرادة بيت زينب... لو أفرد من حيث أن سبب النزول أمر وقع فيه...

هل المراد بالبيت... بيت النسب؟

وقيل: المراد بالبيت بيت النسب...

ولذا أفرد ولم يجمع... كما في السابق واللاحق...

«عن ابن عباس... رضي الله تعالى عنهما... قال:

«قال رسول الله... ﷺ...:

«إن الله تعالى قسم الخلق قسمين... فجعلني في خيرهما قسمًا... فلذلك

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ «وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ»... فأنا من أصحاب

اليمين... وأنا خير أصحاب اليمين...

«ثم جعل القسمين أثنائًا... فجعلني في خيرها ثلثًا... فلذلك قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»...

فأنا من السابقين... وأنا خير السابقين...

«ثم جعل الأثلاث قبائل... فجعلني في خيرها قبيلة... وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾... وأنا أتقى ولد آدم... وأكرمهم على الله تعالى... ولا فخر...

«ثم جعل القبائل بيوتًا... فجعلني في خيرها بيتًا... فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾... أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب».

فإن المتبادر من البيت الذي هو قسم من القبيلة... البيت التُسبِّي.. واختلف في المراد بأهله...

فذهب الثعلبي إلى أن المراد بهم جميع بني هاشم... ذكورهم وإناثهم... والظاهر أنه أراد مؤمني بني هاشم... وهذا هو المراد بالآل عند الحنفية... وقال بعض الشافعية:

المراد بهم آل صلى الله تعالى عليه وسلم... الذي هم مؤمنو بني هاشم... والمطلب...

وذكر الراغب أن أهل البيت معروف في أسرة النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... مطلقًا...

وأسرة الرجل: رهطه... أو قومه وقبيلته الأدنون... وقال في موضع آخر: صار أهل البيت متعارفًا في آل عليه الصلاة والسلام... وصح عن زيد بن أرقم... في حديث أخرجه مسلم أنه قيل له: من أهل بيته نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم؟...

«فقال: لا أيم الله... إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها...»

«أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده صلى الله تعالى عليه وسلم».

وفي آخر أخرجه هو أيضًا مبين هؤلاء الذين حرموا الصدقة أنه قال: هم آل علي...

وآل عقيل...

وآل جعفر...

وآل عباس..

أخرج الترمذي... والحاكم وصححه...

وابن جرير... وابن المنذر... وابن مردويه... والبيهقي... في سننه... من طرق
عن أم سلمة... رضي الله تعالى عنها... قالت:

«في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾...

«وفي البيت فاطمة وعليّ والحسن والحسين...

«فجللهم رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم... بكساء كان عليه...

ثم قال:

«هؤلاء أهل بيتي... فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

وجاء في بعض الروايات:

أنه عليه الصلاة والسلام أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء وقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي... فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا...
ثلاث مرات.

وفي بعض آخر:

أنه عليه الصلاة والسلام ألقى عليهم كساء فدكيا... ثم وضع يده عليهم

ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي...

وفي لفظ: آل محمد...

فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد... كما جعلتها على آل

إبراهيم... إنك حميد مجيد.

وجاء في رواية أخرجه الطبراني...

عن أم سلمة أنها قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم...

«فجذبه ﷺ من يدي... وقال: إنك على خير.

وفي أخرى رواها ابن مردويه عنها أنها قالت: ألسنت من أهل البيت؟...

«فقال ﷺ: إنك إلى خير... إنك من أزواج النبي... ﷺ...
وأخبار إدخاله صلى الله تعالى عليه وسلم... عليًا وفاطمة وابنيهما رضي الله
تعالى عنهم... تحت الكساء... وقوله عليه الصلاة والسلام... اللهم هؤلاء
أهل بيتي... ودعائه لهم... وعدم إدخال أم سلمة... أكثر من أن تحصى...

رأي الإمام الألوسي... من هم أهل البيت؟

«لا يخلو جميع ما ذكر عن بحث... والذي يظهر لي:
أن المراد بأهل البيت من لهم مزيد علاقة به... ﷺ...
ونسبة قوية قريبة إليه... عليه الصلاة والسلام...
بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه... ﷺ... في بيت واحد...
ويدخل في ذلك أزواجه...
والأربعة أهل الكساء...
وعلي... كرم الله تعالى وجهه...
مع ما له من القرابة من رسول الله... ﷺ... قد نشأ في بيته وحجروه...
عليه الصلاة والسلام... فلم يفارقه...
وعامله كولد صغير... وصاهره وآخاه كبيراً...
والإرادة على معناها الحقيقي المستتبع للفعل...
والآية لا تقوم دليلاً على عصمة أهل بيته... صلى الله تعالى عليه وعليهم
وسلم... الموجودين حين نزولها... وغيرهم...
ولا على حفظهم من الذنوب... على ما يقوله أهل السنة...
لا لاحتمال أن يكون المراد توجيه الأمر والنهي أو نحوه لإذهاب الرجس
والتنظيف بأن يجعل المفعول به (ليريد) محذوفاً، ويجعل (ليذهب) ويظهر في
موضع المفعول له وإن لم يكن فيه بأس... بل لأن المعنى حسبما ينساق إليه
الذهن ويقتضيه وقوع الجملة موقع التعليل للنهي والأمر... نهاكم الله تعالى
وأمركم لأنه عز وجل يريد بنهيكم وأمركم إذهاب الرجس عنكم

وتطهيركم... وفي ذلك غاية المصلحة لكم... ولا يريد بذلك امتحانكم
وتكليفكم... بلا منفعة تعود عليكم...

والمراد بالرجس الذنب... وبإذهابه إزالة مبادئه... بتهذيب النفس...
وجعل قواها كالقوة الشهوانية والقوة الغضبية بحيث لا ينشأ عنها ما ينشأ من
الذنوب كالزنا وقتل النفس التي حرم الله تعالى وغيرهما... لا إزالة نفس
الذنب بعد تحققه في الخارج وصدوره من الشخص...

وكان مآل الإذهاب التخلية... ومآل التطهير التحلية...
والآية متضمنة الوعد منه عز وجل لأهل بيت نبيه... صلى الله تعالى عليه
وسلم...

بأنهم أن يتتهوا عما ينهى عنه ويأثموا بما يأمرهم به... يذهب عنهم لا
محالة مبادي ما يستهجن... ويحليهم أجل تحلية بما يستحسن...
وفيه إيماء إلى قبول أعمالهم... وترتب الآثار الجميلة عليها قطعاً...
ويكون هذا خصوصية لهم... ومزية على من عداهم...
من حيث أن أولئك الأخيار إذا انتهوا واثمروا لا يقطع لهم بحصول
ذلك...

ولذا نجد غُيَّاد أهل البيت أتمَّ حالاً من سائر العباد المشاركين لهم في
العبادة الظاهرة...

وأحسن أخلاقاً... وأزكى نفساً... وإليهم تنتهي سلاسل الطرائق التي مبناها
كما لا يخفى على سالكيها التخلية والتحلية... اللتان هما جناحان للطيران
إلى حظائر القدس... والوقوف على أوكار الأنس...

حتى ذهب قوم إلى أن القُطْب في كل عصر لا يكون إلا منهم...
خلافًا للأستاذ أبي العباس المرسى... حيث ذهب... كما نقل عنه تلميذه
التاج بن عطاء الله... إلى أنه قد يكون من غيرهم...
هذا ما عندي في الكلام على الآية الكريمة المتضمنة فضيلة لأهل البيت
عظيمة...

عُودَ إِلَى تَفْسِيرِ الْآيَاتِ؟!

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير...
وقيل: أي تذكرن ولا تنسين ما يتلى في بيوتكن...
﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي القرآن...
﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ هي السُّنَّة...
وفشرت بنصائح... صلى الله تعالى عليه وسلم...
وعدم تعيين التالي... لتعم تلاوة جبريل... وتلاوة النبي... عليهما الصلاة
والسلام... وتلاوتهن... وتلاوة غيرهن تعليمًا وتعلمًا...
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾. يعلم ويدبر ما يصلح في الدين...
ولذلك فعل ما فعل من الأمر والنهي...
أو: يعلم من يصلح للنبوة... ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته...
وقيل: يعلم الحكمة حيث أنزل كتابه جامعًا بين الوصفين...
وجوز بعضهم... أن يكون اللطيف ناظرًا للآيات لدقة إعجازها... والخبير
للحكمة لمناسبتها للخبرة.

* * *

وأخيرًا... بعد هذا السرد المستفيض في تفسير الآيات الكريمة... ماذا أريد أن أقول؟!

أريد أن أقول... إن هذه الآيات التي تحدثت عن فضل نساء النبي... ﷺ...
هي في نفس الوقت... تتحدث عن فضل عائشة... رضي الله تعالى عنها...
لأنها إحدى أولئك المطهرات... رضي الله تعالى عنهن...
بل أشهرهن...
بل أحبهن إليه... صلى الله تعالى عليه وسلم!!!.

وَأَزْوَاجُهُ...

أُمَّهَاتُهُمْ...!؟

في الفصل السابق... ظهر للجميع... فضل عائشة... رضي الله عنها... باعتبارها إحدى نساء النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم...
اللاتي قال الله فيهن: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾...!!!
وفي هذا الفصل يظهر لنا... إن شاء الله... فضل عائشة... رضي الله عنها... باعتبارها إحدى أمهات المؤمنين... المطهرات... رضي الله عنهن...
قال تعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا...﴾.
﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

[الأحزاب ٦]

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أحق وأقرب إليهم...

﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أو... أشد ولاية ونصرة لهم منها...

فإنه عليه الصلاة والسلام... لا يأمرهم... ولا يرضى منهم... إلا بما فيه
صلاحهم ونجاحهم...

بخلاف النفس... فإنها إما أمارة بالسوء... وحالها ظاهر أو لا...

«فقد تجهل بعض المصالح... وتخفى عليها بعض المنافع...».

وأطلقت الأولوية ليفيد الكلام أولويته... عليه الصلاة والسلام... في جميع
الأمر...

ويعلم من كونه... صلى الله تعالى عليه وسلم... أولى بهم من أنفسهم...
كونه عليه الصلاة والسلام... أولى بهم من كل من الناس...
وقد أخرج البخاري... وغيره... عن أبي هريرة.. عنه عليه السلام... أنه قال:
«ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة...
اقرأ إن شئتم... النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...
فأَيُّما مؤمن ترك مالا... فليبرته عصبته... من كانوا...
فإن ترك ديننا أو ضياعا... فليأتني فأنا مولاة...
وإذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم... بهذه المثابة في حق المؤمنين...
يجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم...
وحكمه... عليه الصلاة والسلام... عليهم أنفذ من حكمها...
وحقه أثر لديهم من حقوقها... وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها...
وسبب نزول الآية - على ما قيل - ما روي من أنه عليه الصلاة والسلام
أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج... فقال أناس منهم:
نستأذن آبائنا وأمهاتنا...
فنزلت...
ووجه دلالتها على السبب... أنه صلى الله تعالى عليه وسلم... إذا كان
أولى من أنفسهم... فهو أولى من الأبوين...
﴿وَأَرْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾...
أي منزلات منزلة أمهاتهم...
في تحريم النكاح...
واستحقاق التعظيم...
وأما فيما عدا ذلك من النظر إليهن... والخلوة بهن... وإرثهن ونحو
ذلك... فهن كالأجنبيات...
ولكون وجه الشبه مجموع ما ذكر... قالت عائشة... رضي الله تعالى
عنها... لامرأة قالت لها يا أمه:

«أنا أمّ رجالكم... لا أمّ نسائكم»...
أخرجه ابن سعد... وابن المنذر... والبيهقي في سننه عنها...
ولا ينافي هذا استحقاق التعظيم منهن أيضًا...
وأخرج ابن سعد... عن أم سلمة... رضي الله تعالى عنها... أنها قالت:
أنا أمّ الرجال منكم... والنساء...
وعليه يكون ما ذكر وجه الشبه بالنسبة إلى الرجال...
وأما بالنسبة إلى النساء فهو استحقاق التعظيم...
والظاهر أن المراد من أزواجه... كل من أطلق عليها أنها زوجة له... صلى
الله تعالى عليه وسلم... من طلقها... ومن لم يطلقها...
وروى ذلك ابن أبي حاتم... عن مقاتل...
فيثبت الحكم لكلهن...
وهو الذي نص عليه الإمام الشافعي... وصححه في الروضة...
وقيل: لا يثبت الحكم لمن فارقتها عليه الصلاة والسلام في الحياة...
كالمستعيدة والتي رأى بكشحها يابضًا...
وصحح إمام الحرمين... والرافعي... في الصغير... تحريم المدخول بها
فقط... لما روي أن الأشعث بن قيس نكح المستعيدة في زمن عمر... رضي
الله تعالى عنه... فهم عمر برجمه... فأخبره أنها لم تكن مدخولاً بها...
فكف...
وفي رواية أنه رضي الله تعالى عنه هم برجمها فقالت له: ولم هذا؟... وما
ضرب عليّ حجاب... ولا سميت للمسلمين أمّا؟... فكف عنها...
وعن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿النبيّ أزلى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ وهو أب
لهم وأزواجه أمهاتهم...
وإطلاق الأب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم... لأنه سبب الحياة
الأبدية... كما أن الأب سبب للحياة أيضًا...
بل هو عليه الصلاة والسلام... أحق بالأبوة منه...

وعن مجاهد: كل نبي أب لأمة... ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ أي ذوو القربات
الشاملون للعصبات لا ما يقابلهم... ﴿بَغْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَغْضِ﴾ في النفع بميراث
وغيره من النفع المالي... أو في التوارث...

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي فيما كتبه في اللوح... أو: فيما أنزله... وهي آية
الموارث... أو: هذه الآية... أو: فيما كتبه سبحانه وفرضه وقضاه...
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: أولو الأرحام بحق القرابة... أولى في
كل نفع... أو: بالميراث... من المؤمنين بحق الدين... ومن المهاجرين بحق
الهجرة...

وكان في المدينة توارث بالهجرة وبالموالة في الدين... فنسخ ذلك بآية
آخر الأنفال... أو: بهذه الآية...

﴿إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ كأنه قيل: القريب أولى من الأجنبي
من المؤمنين والمهاجرين في كل نفع من ميراث وصدقة وهدية ونحو ذلك...
إلا في الوصية... فإنها المرادة بالمعروف... فالأجنبي أحق بها من القريب
الوارث... فإنها لا تصح لوارث...

«كان ذلك» أي ما ذكر في الآيتين... أعني ادعواهم لأبائهم... والنبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم...

وجوز أن يكون إشارة إلى ما سبق من أول السورة إلى هنا...
﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي في اللوح... أو القرآن...
﴿مَشْطُورًا﴾ أي مشبثًا.

* * *

والآن: ماذا في هذه الآية الكريمة من إشارة إلى فضل عائشة... رضي الله
تعالى عنها؟

تأمل قوله سبحانه:

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وفكر فيها مليًا!!!

إن الآية تحرم كل زوجة للنبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... تحريمًا

أبدئاً...
وأزواجه أمهاتهم ۱۱۹
وعائشة... رضي الله عنها... إحدى هؤلاء المطهرات... هن أمهات
المؤمنين ۱۱۱
وهي أم المؤمنين ۱۱۱
لها منزلة الأم ۱۱۱
واستحقاق التعظيم ۱۱۱.

ماذا قالت...

أم المؤمنين عائشة...

عندما خيّر لها...

رسول الله...

صلى الله عليه وسلم؟!

فلما نصر الله تعالى... رسوله... ﷺ... في غزوة الأحزاب... وفتح عليه
النضير... وقريظة...

ظن أزواجه... عليه الصلاة والسلام أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم...
فقعدن حوله وقلن:

يا رسول الله... بنات كسرى... وقيصر... في الحلى والحلل... والإماء
والخول...

ونحن على ما تراه من الفاقة والضيقة!!!

وآلمن قلبه الشريف... عليه الصلاة والسلام... بمطالبتهن له بتوسعة
الحال...

وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك... وأبناء الدنيا أزواجهم...

فأمره الله تعالى بأن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن...

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ
أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرُخِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ
فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن

يَقْنُثُ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا».

[الأحزاب ٢٨ - ٣١]

«يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجُكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أي السعة والتعم فيها...

«وَزِينْتَهَا» أي زخرفها...

«فَتَعَالَيْنِ» أي أقبلن بإرادتك واختياركن لإحدى الخصلتين...

«أَمْتَنَّاكَ» أي أعطكن متعة الطلاق...

«وَأَسْرَخْنَا» أي وأطلقكن... والتسريح في الأصل مطلق الإرسال ثم كنى به عن الطلاق...

«سَرَاخًا» أي طلاقًا...

«جَمِيلًا» أي ذا حسن كثير... بأن يكون مُنِيًّا لا ضرار فيه... وفي مجمع البيان: تفسير السراح الجميل بالطلاق الخالي عن الخصومة والمشاجرة... وأخرج أحمد... ومسلم... والنسائي... وابن مردويه... من طريق ابن الزبير... عن جابر... قال:

«أقبل أبو بكر... رضي الله تعالى عنه... والناس ببابه جلوس...

«والنبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... جالس... فلم يؤذن له...

«ثم أذن لأبي بكر وعمر... رضي الله تعالى عنهما... فدخلوا...

«والنبي... ﷺ... جالس... وحوله نساؤه... وهو ساكت...

«فقال عمر: لأكلمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم... لعله يضحك...

«فقال: يا رسول الله... لو رأيت ابنة زيد... يعني امرأته رضي الله تعالى

عنه... سألتني النفقة آنفًا... فوجأت عنقها...

«فضحك النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... حتى بدا لاجذده...

وقال: هُنَّ حولي سألتني النفقة...

«فقام أبو بكر... رضي الله تعالى عنه... إلى عائشة... ليضربها...
«وقام عمر... رضي الله تعالى عنه... إلى حفصة...
«كلاهما يقولان: تسألان النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... ما ليس
عنده...»

«فنهاهما رسول الله... ﷺ...
«فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله... ﷺ... بعد هذا المجلس ما
ليس عنده...»

«وأنزل الله تعالى الخيار...
«فبدأ بعائشة... فقال... عليه الصلاة والسلام: إني ذاك لك أمراً ما أحب
أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبوك...
«قالت: وما هو؟...»

«فتلا عليها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ الآية...
«قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي؟...
«بل أختار الله تعالى ورسوله... صلى الله تعالى عليه وسلم...
«وأسألك أن لا تذكره لامرأة من نسائك ما اخترت...
«فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى لم يعشي متعتاً... ولكن بعشي
معلماً مبشراً... لا تسألني امرأة منهن عما أخبرتني إلا أخبرتها...
وفي خبر رواه ابن جرير... وابن أبي حاتم... عن قتادة... والحسن:
«أنه لما نزلت آية التخيير... كان تحته... عليه الصلاة والسلام... تسع
نسوة...»

«خمس من قریش: عائشة... وحفصة... وأم حبيبة بنت أبي سفيان...
وسودة بنت زمعة... وأم سلمة بنت أبي أمية...
«وكان تحته صفية بنت حيي الخيرية... وميمونة بنت الحرث الهلالية...
وزينب بنت جحش الأسدية... وجويرية بنت الحرث من بني
المصطلق...»

«وبدأ بعائشة...

«فلما اختارت الله تعالى ورسوله... صلى الله تعالى عليه وسلم... والدار الآخرة... رؤي الفرح في وجه رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم... فتتابعن كلهن على ذلك...

«فلما خيَّرن واخترن الله عز وجل ورسوله... عليه الصلاة والسلام... والدار الآخرة...

«شكرهن الله جلَّ شأنه على ذلك... إذ قال سبحانه: ﴿لَا يَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْنَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾... «فقصره الله تعالى عليهن... وهن التسع اللاتي اخترن الله عز وجل... ورسوله... صلى الله تعالى عليه وسلم....

وأخرج ابن سعد... عن عمرو بن سعيد... عن أبيه... عن جده... أنه صلى الله تعالى عليه وسلم... خيَّر نساءه... فاخترن جميعاً الله تعالى ورسوله... عليه الصلاة والسلام... غير العامرية... اختارت قومها... فكانت بعد تقول: أنا الشقية... وكانت تلقط البعر وتبيعه... وتستأذن على أزواج النبي... فتقول: أنا الشقية.

وكان هذا التخيير... كما روي عن عائشة... وأبي جعفر... بعد أن هجرهن... عليه الصلاة والسلام... شهراً... تسعة وعشرين يوماً... ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كتن تردن رسول الله... وإنما ذكر الله عز وجل... للإيدان بجلالة محله... عليه الصلاة والسلام... عنده تعالى...

«والدار الآخرة» أي نعيمها الباقي الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها...

«فإن الله أعدَّ» أي هيأ ويُسّر...

«للمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ» بمقابلة إحسانهن...

«أَجْرًا» لا تحصى كثرته.

«عظيماً» لا تستقصى عظيمته...

«يا نساء النبي» لإظهار الاعتناء بنصحهن... ونداؤهن ها هنا وفيما بعد

بالإضافة إليه... عليه الصلاة والسلام... لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام...

﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ﴾ بكبيرة... ﴿مُتَبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة القبح...

عن مقاتل: أنها العصيان للنبي... ﷺ

وقيل: ذلك... وطلبهن ما يشقّ عليه... عليه الصلاة والسلام... أو ما يضيق به ذرعه... ويغتم... ﷺ... لأجله...

وينبغي أن تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته...

﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾ يوم القيامة... وفي الدنيا...

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن... أي مثليه...

وسبب تضعيف العذاب... أن الذنب منهن أقبح... فإن زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه... ولذلك عوتب الأنبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الأمم... وكذا حال العالم بالنسبة إلى الجاهل... فليس من يعلم كمن لا يعلم...

﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي تضعيف العذاب عليهن...

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي سهلاً لا يمنعه جلّ شأنه عنه... كونهن نساء النبي...

ﷺ... بل هو سبب له...

﴿وَمَنْ يَفْثُ مِنْكُمْ﴾ أي ومن تخشع وتخضع...

﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ﴾ عملاً...

﴿صَالِحًا﴾ كصلاة وصوم وحج وإيتاء زكاة...

﴿تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا﴾ الذي تستحقه على ذلك فضلاً وكرماً...

﴿مَرْتَيْنِ﴾ فيكون أجرها مضاعفاً... وهذا في مقابلة يضاعف لها العذاب

ضعفين...

أخرج ابن أبي حاتم... عن الربيع بن أنس... أنه قال في حاصل معنى الآيتين:

«إِنَّهُ مَنْ عَصَى مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ الْعَذَابُ عَلَيْهَا الضَّعْفُ مِنْهُ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ

الْمُؤْمِنِينَ...

وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّ الْأَجْرَ لَهَا الضَّعْفُ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ».

ويستدعي هذا أنه إذا أثيب نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها... أثبن
هُنَّ على الحسنة بعشرين مثلاً لها... وإن زيد للنساء على العشر شيء زيد لهن
ضعفه...

ثم إن تضعيف أجرهن لمزيد كرامتهن... رضي الله تعالى عنهن... على الله عزّ
وجلّ... مما مرّ به عليهن من النسبة إلى خير البرية... عليه من الله تعالى أفضل
الصلاة وأكمل التحية...

والظاهر أن ذلك ليس بالنسبة إلى أعمالهن الصالحة التي عملنها في حياته...
صلى الله تعالى عليه وسلم... فقط... بل يضاعف أجرهن عليها وعلى الأعمال
الصالحة التي يعملنها بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

وقيل: إنّ هاتين المرتين... إحداهما على الطاعة...
والأخرى على طلبهن رضا النبي ﷺ... بالقناعة وحسن المعاشرة...
﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ في الجنة زيادة على أجرها المضاعف...
﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ عظيم القدر... رفيع الخطر... مرضيًا لصاحبه...

ماذا قال الإمام البخاري؟

[باب... ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجُكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّخُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾].

أي هذا باب في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ إلى آخر الآية... في رواية
الأكثرين...

قال المفسرون:

كان نساء النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... يسألنه من عروض الدنيا...
والزيادة في النفقة... ويتأذى بغيرة بعضهن على بعض...
فهجرهن... وآلى منهن شهرًا... ولم يخرج إلى أصحابه...
فنزلت آية التخيير...

قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي السعة في الدنيا... وكثرة الأموال وزينتها...

﴿فَتَعَالَى﴾ أي أقبلن بإرادتك واختياركن...

﴿أَمْ تَفْكَرُ﴾ متعة الطلاق...

﴿وَأَسْرُوحُكُمْ﴾ يعني الطلاق...

﴿سَرَاخًا جَمِيلًا﴾ من غير إضرار...

واختلفوا في تخيره؟!

واختلفوا في تخيره... ﴿وَاللَّهُ﴾... فقل إنه خيرهن بين اختيارهن الدنيا فيفارقهن... واختيار الآخرة فيمسكنهن... ولم يخرهن في الطلاق... قاله الحسن... وقتادة...

وقيل: بل بين الطلاق... والمقام معه...

قالت عائشة... ومجاهد... والشعبي... ومقاتل...

وكان تحته يومئذ تسع نساء...

واختلفوا في سبب التخيير؟!

فقل: لأن الله تعالى خيره بين فلك الدنيا ونعيم الآخرة... فأمر أن يختار بين نسائه... ليكن على مثل حاله...

وقيل: لأنهن تغايرن عليه... فآلى منهن شهرًا...

وقيل: لأنهن اجتمعن يومًا فقلن: نريد ما تريد النساء من الحلي... حتى

قال بعضهن: لو كنا عند غير النبي... ﴿وَاللَّهُ﴾... لكان لنا شأن... وثياب... وحلي...

وقيل: لأن كل واحدة طلبت منه شيئًا... فكان غير مستطيع...

فطلبت أم سلمة معلمًا...

وميمونة حلة يمانية...

وزينب ثوبًا مخططًا وهو البرد اليماني...
وأم حبيبة ثوبًا سحوليًا...
وحفصة ثوبًا من ثياب مصر...
وجويرة معجزًا...
وسودة قطيفة خيرية...

إلا عائشة؟!

إلا عائشة... رضي الله تعالى عنها... فلم تطلب شيئًا!!!.

موقف رائع لعائشة؟!

«عن الزُّهْرِيِّ... قَالَ:
«أخبرني أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ... أَنَّ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عنها... زَوَّجَ النَّبِيَّ ﷺ... أَخْبَرْتُهُ...
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... جَاءَهَا...
«حِينَ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُخَيَّرَ أَزْوَاجُهُ...
«فَبَدَأَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... فَقَالَ:
«إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا... فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْجِلِي... حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ...
«وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيْ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ...
«قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ... إِلَى ثَمَامِ الْآيَتَيْنِ...
«فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيْ؟...
«فَأَنَّنِي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ».

[أخرجه البخاري]

«فلا عليك» أي لا بأس عليك في عدم الاستعجال...
«حتى تستأمر» حتى تشاوري...

«ففي أيّ هذا؟» و يروى: ففي أي شيء...»

ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...
مِثْلَ مَا فَعَلْتُ؟!

[باب... قوله تعالى... «وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا»].

أي: هذا باب في قوله عز وجل وإن كنتم... الآية...

[وقال قتادة: وأذكركم ما يتلى في يُؤتيكم من آيات الله والحكمة... القرآن والشئ...].

«أخبرني أبو سلمة... بن عبد الرحمن...

«أن عائشة... زوج النبي... قالت:

«لما أمر رسول الله... بتخيير أزواجه... بدأ بي...

«فقال: إني ذاك لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبوك...»

«قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه...

«قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم

تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا... إلى... أجرا عظيما...

«قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي... فإني أريد الله ورسوله والدار

الآخرة؟...

«قالت: ثم فعل أزواج النبي... مثل ما فعلت.»

[أخرجه البخاري]

أقول... الجديد المخطير في هذه الرواية هو قول عائشة... رضي الله تعالى عنها

«ثم فعل أزواج النبي... ﷺ ... مثل ما فعلت» ١١١.
 إن عائشة دائماً في المقدمة...
 بدأ بها... رسول الله... ﷺ ... في التخيير...
 فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة...
 فعل أزواج النبي... ﷺ ... مثل ما فعلت؟ ١١٢.
 فما معنى هذا؟ ١٢١.
 معناه أنها دائماً في المقدمة... أنها مؤهلة للقيادة ١١١.

عائشة... وماذا قالت؟ ١٢

«عن أنس... رضي الله عنه... قال:
 «آلى رسول الله... ﷺ ... من نسائه شهراً...
 وقعد في مشربة له...
 فنزل لتسع وعشرين...
 فقيل: يا رسول الله... إنك آليت على شهر؟...
 قال: إن الشهر تسع وعشرون.»

[أخرجه البخاري]

«آلى» أي حلف... من الإيلاء...
 وهجرهن... ﷺ ... شهراً... وقعد في مشربة له... وهي الغرفة...
 «فنزل» من الغرفة...
 «لتسع» أي عند تسع وعشرين ليلة...
 «فقيل» القائل هو عائشة...
 وقيل سأله عمر وغيره عن ذلك...
 أقول... القائل هنا هو عائشة... وكان قولها: يا رسول الله... إنك آليت على
 شهر؟ ١٢٢.
 إنك حلفت على شهر؟ ١٢٣.

إنها دائماً تستفسر عن أي شيء لا تفهمه ١٩.
إنَّ الله يؤهلها... لتتعلم من رسول الله... ﷺ...
لأنها سوف تُعَلِّم الأمة... بعد وفاته... ﷺ...
على مدى نحو خمسين عاماً ١١١.

* * *

والآن لنطرح السؤال الذي جعلناه عنواناً لهذا الفصل:
ماذا قالت أم المؤمنين عائشة... عندما خيرها رسول الله ﷺ ١٩
الجواب... قالت قولاً سديداً رشيداً... غاية في الحكمة... وغاية في
الحب ١١١.

قالت: «ففي أيِّ هذا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيْ ١١٩.
«فإني أريدُ الله... ورسولَهُ... والدَّارَ الآخِرَةَ» ١١١.
ولا يتصور أعلى... ولا أغلى... ولا أحكم... من قولها ذلك ١١١.
لم تستشر أبويها ١١١.
لم تتردد لحظة ١١١.
وهتفت هتاف الصدق والحبِّ والوفاء والإيمان والتضحية...
فإني أريدُ الله ١١١.
ورسولَهُ ١١١
والدَّارَ الآخِرَةَ ١١١.
هنيئاً... ثم هنيئاً... ما اخترت... يا حبيبة رسول الله... صلى
الله تعالى عليه وسلم ١١١.
ثم ماذا؟ ١١٩.
ثم ما هو أعجب وأعجب...
أنَّ جميع أمهات المؤمنين... فَعَلْنَ مِثْلَ ما فَعَلْتُ ١١١.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...
وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ...
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾...!؟

قال جل ثناؤه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءَهُ... وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا... فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا... وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ... إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ... وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ... ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ... وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا... إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

[الأحزاب ٥٣]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

شروع في بيان بعض الحقوق على الناس... المتعلقة به... ﷺ... وهو عند نسائه...

والحقوق المتعلقة بهن رضي الله تعالى عنهن... والآية عند الأكثرين نزلت يوم تزوج... عليه الصلاة والسلام... زينب بنت جحش...
أخرج الإمام أحمد... وعبد بن حميد... والبخاري... ومسلم... والنسائي... وابن جرير... وابن المنذر... وابن أبي حاتم... وابن مردويه... والبيهقي في سننه...

من طرق... عن أنس... قال:

«لما تزوج رسول الله... ﷺ... زينب بنت جحش...
«دعا القوم... فطعموا... ثم جلسوا يتحدثون...»

«وإذا هو كأنه يتهياً للقيام... فلم يقوموا...
 «فلما رأى ذلك قام...
 «فلما قام قام من قام... وقعد ثلاثة نفر...
 «فجاء النبي... ﷺ... ليدخل... فإذا القوم جلوس...
 «ثم إنهم قاموا...
 «فانطلق فبحث فأنجرت النبي... ﷺ... أنهم قد انطلقوا...
 «فجاء حتى دخل...
 «فذهبت أدخل... فألقى الحجاب بيني وبينه...
 «فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية...
 والنهي للتحريم... وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ﴾ أي لا تدخلوها في حال من
 الأحوال إلا حال كونكم مصحوبين بالإذن... أو: لا تدخلوها بسبب من
 الأسباب إلا بسبب الإذن...
 أو: لا تدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم...
 ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على طعام بغير دعوة...
 ﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً﴾ غير منتظرين نضجه وبلوغه...
 ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن...
 وفيه دلالة على أن المراد بالإذن إلى الطعام الدعوة إليه...
 ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي فإذا أكلتم الطعام ففرقوا ولا تلبثوا...
 والآية - على ما ذهب إليه الجل من المفسرين - خطاب لقوم كانوا يتحينون
 طعام النبي... ﷺ... فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه... مخصوصة بهم
 وبأمثالهم ممن يفعل مثل أفعالهم في المستقبل...
 فالنهي مخصوص بمن دخل بغير دعوة... وجلس منتظراً للطعام من غير
 حاجة... فلا تفيد النهي عن الدخول بإذن لغير طعام... ولا عن الجلوس واللبث
 بعد الطعام لمهم آخر...
 وعن سليمان بن أرقم قال: نزلت في الثقلاء... ومن هنا قيل إنها آية

الثقلاء...

﴿وَلَا تُشْتَأِلِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي لحديث بعضكم بعضاً... أو لحديث أهل البيت بالتسمع...

﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ أي اللبث الدال عليه الكلام... أو الاستئناس...
﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ لأنه يكون مانعاً له... عليه الصلاة والسلام... عن قضاء بعض أوطاره... مع ما فيه من تضيق المنزل عليه... صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أهله...

﴿فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ﴾ أي من إخراجكم بأن يقول لكم اخرجوا... أو: من منعكم عما يؤذيه...

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَخِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وحاصل الكلام أنه تعالى لم يترك الحق... وأمركم بالخروج...

والظاهر حرمة اللبث على المدعو إلى طعام بعد أن يطعم... إذا كان في ذلك أذى لرب البيت... وليس ما ذكر مختصاً بما إذا كان اللبث في بيت النبي... عليه الصلاة والسلام...

ومن هنا كان الثقل مذبذباً عند الناس... قبيح الفعل عند الأكياس... وعن ابن عباس... وعائشة... رضي الله تعالى عنهما: حسبك في الثقلاء أن الله عز وجل لم يحتملهم...

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الضمير لنساء النبي... المدلول عليهن بذكر بيوته... عليه الصلاة والسلام... أي وإذا طلبتم منهن...

﴿مَتَاعًا﴾ أي شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره...
﴿فَأَسْأَلُوهُنَّ﴾ فاطلبوا منهن ذلك...

﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي ستر...
أخرج البخاري... وابن جرير... وابن مردويه... عن أنس... رضي الله تعالى عنه... قال:

«قال عمر بن الخطاب... رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله... يدخل

عليك البر والفاجر... فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب...؟
«فأنزل الله تعالى آية الحجاب...».

وكان رضي الله تعالى عنه حريصاً على حجابهن... وما ذاك إلا حُبّاً
لرسول الله... ﷺ.

أخرج ابن جرير... عن عائشة...

أن أزواج النبي... عليه الصلاة والسلام... كنَّ يخرجن بالليل إذ برزن إلى
المناصع وهو صعيد أفيح... وكان عمر بن الخطاب... رضي الله تعالى
عنه... يقول للنبي... ﷺ: احجب نساءك... فلم يكن رسول الله... صلى
الله تعالى عليه وسلم... يفعل... فخرجت سودة بنت زمعة... رضي الله تعالى
عنها... ليلة من الليالي عشاء... وكانت امرأة طويلة... فناداها عمر... رضي
الله تعالى عنه... بصوته الأعلى... قد عرفناك يا سودة... حرصاً على أن ينزل
الحجاب... فأنزل الله تعالى الحجاب...

وذلك أحد موافقات عمر... رضي الله تعالى عنه... وهي مشهورة..

وأخرج البخاري في الأدب... والنسائي... من حديث عائشة...

أنها كانت تأكل معه... عليه الصلاة والسلام... وكان يأكل معهما بعض
أصحابه...

فأصاب يد رجل يدها...

فكرة النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... ذلك... فنزلت...

ولا يبعد أن يكون مجموع ما ذكر سبباً للنزول...

ونزل الحجاب - على ما أخرج ابن سعد - عن أنس... سنة خمس من
الهجرة...

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى السؤال من وراء حجاب...

وقيل: هو إشارة إلى ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن... وعدم الاستئناس

للحديث بعد الدخول... وسؤال المتاع من وراء حجاب...

﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي أكثر تطهراً من الخواطر الشيطانية التي

تخطر للرجال في أمر النساء... وللنساء في أمر الرجال... فإن الرؤية سبب
التعلق والفتنة...

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي ما صح وما استقام لكم...
﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي تفعلوا في حياته فعلاً يكرهه ويتأذى به...
كاللبث والاستئناس بالحديث الذي كنتم تفعلونه وغير ذلك...
والتعبير عنه... عليه الصلاة والسلام... بعنوان الرسالة لتقبيح ذلك الفعل...
والإشارة إلى أنه بمراحل عما يقتضيه شأنه... صلى الله تعالى عليه وسلم... إذ في
الرسالة من نفعهم المقتضي للمقابلة بالمثل دون الإيذاء ما فيها...
﴿وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ من بعد وفاته أو فراقه...
نزلت في رجل كان يقول لئن توفي رسول الله... ﷺ... لأتزوجن
عائشة...

وحرمة نكاح أزواجه... عليه الصلاة والسلام... من بعده... من
خصوصياته... صلى الله تعالى عليه وسلم...
﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من إيذائه... عليه الصلاة والسلام... ونكاح
أزواجه من بعده...

وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الشر والفساد...
﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكمه عز وجل...
﴿عَظِيمًا﴾ أي أمرًا عظيمًا... وخطبًا هائلًا لا يقادر قدره...
وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله... صلى الله تعالى عليه وسلم... وإيجاب
حرمته حيًا وميتًا ما لا يخفى.

عائشة...

وحديث...

الأفك...؟!

نحن الآن في سنة ست من الهجرة، وهي السنة التي كان في أوائلها...

غزوة بني لحيان

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة... وخرج على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان.

وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غيرة.

فخرج من المدينة، واستعمل عليها ابن أم مكتوم... فوجدهم قد حذروا، وتمنعوا في رؤوس الجبال.

فلما نزلها رسول الله ﷺ، وأخطأه من غرتهم ما أراد قال: «لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة؟».

فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُزَاعَ الغميم... ثم كُزَا.

وراح رسول الله ﷺ قافلاً.

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة ابن حصن في خيل من غطفان على إبل لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في الإبل.

وبلغ رسول الله ﷺ... فصرخ بالمدينة الفرع... الفرع. فترامت الخيول إلى

رسول الله ﷺ.
 فلما اجتمعوا إليه أمر عليهم سعد بن زيد، ثم قال: «اخرج في طلب القوم حتى
 ألحقك في الناس».
 وكان أول فارس لحق بالقوم مُخِرُّ بن نُضْلَةَ وحمل عليه رجل منهم فقتله.
 وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.
 فقتلوا من لحقوا به من الأعداء، واستنقذوا بعض الإبل.
 وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد، وتلاحق به الناس، وأقام
 عليه يوماً وليلة.
 ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة.
 وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ حتى قدمت عليه فأخبرته
 الخبر.

غزوة بني المصطلق

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني
 المصطلق في شعبان سنة ست من الهجرة.
 واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري.
 بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، فلما سمع بهم خرج إليهم،
 حتى لقيهم على ماء لهم يقال له «المرئسيغ».
 فتزاحف الناس، واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم.
 وغنم رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم.

ليخرجن الأعز منها الأذل

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير
 له من بني غفار يقال له جَهْجَاهُ يقود فرسه.
 فازدحم جهجاء وسانن بن وبرة الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء.

فاقتتلا، فصرخ الجهنني: يا معشر الأنصار.

وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث، فقال: أَوْقَدْ فعلوها؟ قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أَعُدُّنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول «سَمْنٌ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ» أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعز منها الأذل.

فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب فقال: مَرُّ به عُبَاد بن بشر فليقتله.

فقال له رسول الله ﷺ، فكَيْفَ يا عمر إذا تحدث الناسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؟ لا، ولكن أَدْنُ بِالرَّحِيلِ.

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها.
فارتحل الناس...

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ - حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه - فحلف بالله ما قلت ما قال، ولا تكلمت به، وكان في قومه شريكاً عظيماً..

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً.

وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث، عبد الله بن أبي.

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين.

وأتى عبد الله - ابن عبد الله بن أبي - رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه يلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمُرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده

مني، وإني أخشى أن يأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونُحسِنُ صحبته ما بقي معنا». وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث، كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه يعنفونه.

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب - حين بلغه ذلك من شأنهم - «كيف ترى يا عُمَرُ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له ألف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته».

قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. هذا وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق «يا منصور أمث أمث». وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبباً كثيراً. فوزعه رسول الله ﷺ في المسلمين.

زواجه جويرة بن الحرث

وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار، زوج رسول الله ﷺ.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته. فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق.

ثم أتى النبي ﷺ، وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي وهذا فداؤها. فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا؟».

فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله!.

فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه.

وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها.

فخطبها النبي ﷺ إلى أبيها: فزوجه إياها، وأصدقها أربعمئة درهم. وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، حتى إذا كان قريباً من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

حديث الإفك

قالت عائشة: كان رسول الله إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأَيُّهُنَّ خرج سهمها خرج بها معه.

فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه.

فخرج بي رسول الله ﷺ، وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن الغُلَقَ^(١)، لم يُهَيِّجَهُنَّ^(٢) اللحم فيثقلن، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلًا. حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل. ثم أذن في الناس بالرحيل.

فارتحل الناس.

وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عِقْدٌ لي فيه جُرْعٌ ظَفَارٍ^(٣)، فلما فرغت انسلت من عنقي ولا أدري.

فلما رجعت إلى الرحل، ذهبت ألتسمه في عنقي فلم أجده.

(١) العلق: طعامهن كان قليلاً.

(٢) التهيج: انتفاخ الجسم.

(٣) الجرْع: الخرز، وظفار: اسم المدينة.

وقد أخذ الناس في الرحيل.
فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته.
وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا
الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم
يشكروا أنني فيه.
ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به.
فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس.
فتلففت بجلبابي ثم اضبطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع لي.
فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المَعَطَّل السلمي، وقد كان تخلف عن
العسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس.
فرأى سوادي^(١)، فأقبل حتى وقف علي، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا
الحجاب.
فلما رأي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، طعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم^{١٩}.
وأنا متلففة في ثيابي.
قال: ما خلفك يرحمك الله؟
فما كلمته.. ثم قرب البعير فقال: اركبي، واستأخر عني.
فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس.
فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس.
فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني، فقال أهل الإفك ما قالوا: فارتعج^(٢) العسكر،
ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.
وقالت: ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من
ذلك شيء.
وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبيي، لا يذكرون لي منه قليلاً

(١) شخصي.

(٢) فارتعج: تحرك واضطرب.

ولا كثيرًا، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي.
كنت إذا اشتكيت رحماني ولطف بي: فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك
فأنكرت ذلك منه. كان إذا دخل علي وعندي أُمي تمرضني قال: كيف تيكُم؟ لا
يزيد علي ذلك.

حتى وجدتُ في نفسي، فقلت: يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائه
لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أُمي فمرضتني؟
قال: «لا عَلَيْكَ».

فانتقلت إلى أُمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضعة
وعشرين ليلة.

وكنا قَوْمًا غَرَبًا، ولا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنف التي تتخذها الأعاجم نعافها
ونكرها، إنما كنا نذهب في فصح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في
حوائجهن.

فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعِي أُمُّ مِسْطَح... وكانت أُمها خالة أبي بكر
الصدِّيق رضي الله عنه.

فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرتُ في مِرْطَها^(١) فقالت: تعس مسطح.

قلت: بعس لعمرُ الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا؟!

قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟!

قلت: وما الخبر؟

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك.

قلت: أوقد كان هذا؟!

قالت: نعم والله لقد كان!

فوالله ما قدرتُ على أن أقضي حاجتي ورجعت!

فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدِّغ كبدي.

وقلت لأُمِّي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من

(١) مِرْطَها: كسائها.

ذلك شيئاً؟

قالت: أي بنية خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها.

وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق؟. والله ما علمت منهم إلا خيراً» ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي».

وكان كبر ذلك عند عبدالله بن أبي بن سلول، في رجال من الخزرج، مع الذي قال مسطح، وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها فشقيت بذلك.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم.

فقام سعد بن عباد - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال: كذبت، لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا؟.

فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.

وتتأور الناس، حتى كاد يكون بين هذه الحيتين من الأوس والخزرج شر. ونزل رسول الله ﷺ فدخل علي، فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وأسامة بن زيد فاستشارهما.

فأما أسامة فأثنى علي خيراً وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا تعلم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل.

وأما علي فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر علي أن تستخلف

وسلي الجارية فإنها لتصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ بُرَيْزَةَ لِيَسْأَلَهَا.

فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً، ويقول: أصدقي رسول الله ﷺ فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

ثم دخل علي رسول الله ﷺ وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار... وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة... إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله فإن كنتِ قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبني إلى الله فإن الله يقبل التوبة من عباده».

فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص^(١) دمعي حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلما!

وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأنًا من أن ينزل الله في قرآنًا يُقرأ به في المساجد ويصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي، أو يخبر خبيراً، فأما قرآن ينزل في فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك.

فلما لم أرَ أبوي يتكلمان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟

فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه!

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام. فلما أن استعجما علي استعبرث فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله إنني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني.

ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره!

قلت: ولكن سأقول كما قال يوسف «فصبر جميل» والله المستعان على ما تصفون».

(١) قلص الدمع: ارتفع.

فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجى بثوبه، ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه. فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت ولا باكيت، قد عرفت أنني منه بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي. وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما شري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

أبشري يا عائشة

ثم شري عن رسول الله ﷺ، فجلس، وإنه ليتحدث منه مثل الجمان في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: «أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك».

قلت: بحمد الله.

ثم خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك. ثم أمر بمسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحفنة بنت جحش - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حدهم.

هذه رواية ابن هشام... في سيرته... باختصار...
فماذا قال الإمام البخاري... في قصة الإفك؟

رواية...

الإمام البخاري...

في حديث الإفك...!؟

«عن ابن شهاب الزُّهري^(١)...

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ...

وسعيد بن المسيَّب...

وعَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ...

وعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ..

عَنْ عَائِشَةَ... رضي الله عنها... زوج النبي... ﷺ...

«حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا...

«فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ»...

«قال الزُّهري... وكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا... وبعضُهُمْ أَوْعَى مِنْ

بَعْضٍ... وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا... وَقَدْ وَغَيْثَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي

حَدَّثَنِي...

«عَنْ عَائِشَةَ... وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا...

«رَعَمُوا أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ:

عائشة تروي القصة^(٢) ١٩

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...

(١) روى البخاري في صحيحه قصة الإفك في أكثر من موضع وهذه إحدى الروايات.

(٢) العناوين ليست واردة بحديث البخاري وإنما وضعناها تيسيرًا للقارئ، ليستطيع متابعة الموضوع بدون ملالة.

إذا أراد أن يخرج سفراً أفرغ بين أزواجه... فأيتتهنَّ خرجَ سهمها خرجَ بها معه...
 «فأفرغَ بيننا في غزاة غزاها...
 «فخرجَ سهمي... فخرجتُ معه... بعدما أُلزِلَ الحجابُ...
 «فأنا أحمَلُ في هودج... وأنزلُ فيه...
 «فيسرنا حتى إذا فرغَ رسولُ الله... ﷺ... من غزويهِ تلك... وقفل...
 ودنونا من المدينة...

«أذنَ ليلةً بالرحيل...
 «فقمْتُ حينَ أذنوا بالرحيل... فمَشَيْتُ حتى جاوزتُ الجيشَ...
 «فلما قَضَيْتُ شأني... أَقْبَلْتُ إلى الرَّحْلِ... فلمَسْتُ صَدْرِي...
 «فإذا عَقْدٌ لي من جَزَعِ أَطْفَارٍ قد انْقَطَعَ...
 «فَرَجَعْتُ... فالتَّمَسْتُ عِقْدِي...
 «فحبَسني ابتغاؤه...
 «فأقبلَ الذينَ يَزْحَلُونَ لي... فاحتَمَلُوا هودجي... فرَحَلُوهُ على بعيري الذي
 كُنْتُ أَزْكُبُ... وهُم يَحْسَبُونَ أَنِّي فيه!...

وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السَّنِّ ١٩

«وكانَ السَّاءُ إذْ ذاكَ خِفَافاً... لَمْ يَثْقُلَنَّ... وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ... وإنما
 يَأْكُلْنَ العُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ...
 «فَلَمْ يَسْتَنْكَرِ القَوْمُ حينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الهُودَجِ... فاحتَمَلُوهُ...
 «وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السَّنِّ...
 «فَبَعَثُوا الْجَمَلَ... وساروا.»

غَلَبَنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ ١٩

«فَوَجَدْتُ عِقْدِي... بعدما اسْتَمَرَّ الجيشُ...
 «فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ...»

«فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ...
«فَطَنَنْتُ أَلْهَمَ سَيِّفِقُدُونِي... فِرْجَعُونَ إِلَيَّ...
«فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ... غَلَبْتَنِي عَيْنَايَ... فَبِمَنْتُ...

صَفْوَانُ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؟!

«وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السَّلَمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ...
«فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي...
«فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ...
«فَأَتَانِي... وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ...
«فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِزْجَاعِهِ حِينَ أَنَا حَ رَاجِلَتُهُ...
«فَوَطِئْتُ يَدَهَا... فَزَكَّيْتُهَا...
«فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ...
«حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ...
«بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرَّسِينَ... فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ...
«فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ...

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ يَتَوَلَّى الْإِفْكَ؟!

«وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ...
«فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ...
«فَاسْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا...
«وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ...
«وَيَرِيئِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ... ﷺ... اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ
أَرَى مِنْهُ... حِينَ أَمْرَضُ...
«إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلُمُ...
«ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَبْكُمُ؟...

«لا أشعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ... حَتَّى تَقْهَتْ...
 «فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمِّي مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرِّزَيْنَا... لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى
 لَيْل...
 «وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذَ الْكُتُفَ... قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا... وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ
 الْأَوَّلِ... فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي الشَّوْرِ...»

أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟

«فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمِّي مِسْطَحٍ بَشْتُ أَبِي زُهَيْمٍ... نَمْشِي فَعَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا...
 «فَقَالَتْ: تَعَسَى مِسْطَحُ!...
 «فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ!...
 أَتَسْبِيْنِ رَجُلًا شَهِدَ بَذْرًا؟...
 «فَقَالَتْ: يَا هَيْثَا... أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟...
 «فَأَخْبَرْتَنِي... بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ!...
 «فَارْذَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي...»

كَيْفَ تِيكُمُ؟

«فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي...
 «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... فَسَلَّمَ...
 «فَقَالَ: كَيْفَ تِيكُمُ؟...
 «فَقُلْتُ: إِثْدَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ...
 «قَالَتْ: وَأَنَا حِينِيذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا...
 «فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...
 «فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ...»

أَصْبَحْتُ لَا يَزُقًا لِي دَمْعٌ؟

«فَقُلْتُ لِأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ...
«فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ... هَوْنِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ... فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ
وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا... وَلَهَا صَرَائِرُ... إِلَّا أَكْثَرَنَ عَلَيْهَا...
«فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ!... وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِذَا...
«قَالَتْ: فَبِئْسَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ حَتَّى أَصْبَحْتُ... لَا يَزُقًا لِي دَمْعٌ... وَلَا أَكْتَحِلُ
بَنَوْمٍ...»

رسول الله... ﷺ ... يستشير؟

«ثُمَّ أَصْبَحْتُ... فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ... وَأَسَامَةَ
ابْنَ زَيْدٍ... حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ... يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ...
«فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ...
«فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ... وَلَا تَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا...
«وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ...
وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ... وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَضُدُّكَ...
«فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... بَرِيرَةَ...
«فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ... هَلْ رَأَيْتَ فِيهَا شَيْئًا يَرِيكَ؟...
«فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ... إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أُغِمِّصُهُ
عَلَيْهَا... أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ... تَنَامُ عَنِ الْعَجِينَ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ
فَتَأْكُلُهُ...»

ما عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا؟

«فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... مِنْ يَوْمِهِ...
«فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سُلُوكِ...»

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... مَنْ يَغْدِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟...
فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا... وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا
خَيْرًا... وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ...»

وَاللَّهِ لَتَقُتِلَنَّهُ ١٢

«فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ^(١)... قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَنَا وَاللَّهِ أَغْدِرُكَ مِنْهُ...
إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبًا غَنَقَهُ...
وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ...
«فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ... وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ... وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا
صَالِحًا... وَلَكِنْ اخْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ... لَا تَقُتِلُهُ... وَلَا تَقْدُرُ
عَلَى ذَلِكَ...»

«فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ... وَاللَّهِ لَتَقُتِلَنَّهُ... فَإِنَّكَ
مُتَنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ...
«فَنَارَ الْحَيَّانِ... الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ... حَتَّى هَمُّوا...
«وَرَسُولُ اللَّهِ... عَلَى الْمِثْبَرِ...
«فَنَزَلَ... فَخَفَضَهُمْ... حَتَّى سَكَنُوا... وَسَكَتَ...»

بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا ١٣

«وَبَكَيْتُ يَوْمِي... لَا يَزِقُّ لِي دَمْعٌ... وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ...
«فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ...
«قَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا... حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبَكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي...
«قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي...
«إِذْ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ... فَأَذِنْتُ لَهَا...
«فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِيَ...»

(١) ذكر ابن اسحاق أن المتكلم أولاً وآخرًا أسيد بن حضير... وهو الصحيح.

مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ؟

«فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ... إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ...
فَجَلَسَ...»

«وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا...
«وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ...
«قَالَتْ: فَتَشْهَدُ... ثُمَّ قَالَ:

«يَا عَائِشَةُ...»

«فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذَا...»

«فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ...»

«وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ... فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ
ثُمَّ تَابَ... تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ...»

الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ... تَدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا؟

«فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ... مَقَالَتهُ...»

«فَلَصَّ دَمْعِي... حَتَّى مَا أَحْسَسْتُ مِنْهُ قَطْرَةً...»

«وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ...»

«قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي... مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ...»

«فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ...»

«قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ...»

«قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ... لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ...»

«فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَخَدُّثُ بِهِ النَّاسُ... وَوَقَرَ فِي
أَنْفُسِكُمْ... وَصَدَّقْتُمْ بِهِ...»

«وَلَيْنَ قُلْتُ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهِ يَغْلُمُ أَلْيَ بَرِيئَةٍ... لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ... وَلَيْنَ
اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ... وَاللَّهِ يَغْلُمُ أَلْيَ بَرِيئَةٍ لَتُصَدِّقَنِي...»

«والله ما أجِدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: فصَبِرْ جَمِيلٌ واللَّهِ
المُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُونَ...»

ما ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَخِيًّا؟!

«ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي...
«وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُرَوِّئَنِي اللَّهُ...
«وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَخِيًّا...
«وَلَأَنَا أَخْشَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي...
«وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُرَوِّئَنِي
اللَّهُ...»

يا عائشة... احمدي الله... فَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهُ؟!

«فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ...
«وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ...
«حَتَّى أُنْزَلَ عَلَيْهِ...
«فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبَرَحَاءِ... حَتَّى أَنَّهُ لَيَسْخَرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ
الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَابَ...
«فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ... وَهُوَ يَضْحَكُ...
«فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي:
«يَا عَائِشَةُ...
«اَحْمَدِي اللَّهَ...
«فَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهُ...
«فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ...
«فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ... لَا أَقُومُ إِلَيْهِ... وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ...»

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ۚ

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)

الآيات...

﴿فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي...﴾

﴿قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه... وكان يُتَّفَقُ على مِنطَحِ بنِ أُمِّ ثَعْلَبَةَ...
لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِنطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا... بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ...
﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَفْوٌ
رَحِيمٌ﴾...﴾

﴿فقال أبو بكر الصديق: بَلَى وَاللَّهِ إِلَيَّ لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي...
﴿فَرَجَعَ إِلَى مِنطَحِ الَّذِي كَانَ يَجِدِي عَلَيْهِ...﴾

مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا ۚ

﴿وكان رسول الله... ﷺ... يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي...
﴿فقال: يَا زَيْنَبُ... مَا عَلِمْتُ؟... مَا رَأَيْتِ؟...﴾

﴿فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَخْبِي سَمْعِي وَبَصَرِي... وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا
إِلَّا خَيْرًا...﴾

﴿قالت: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي... فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ...﴾

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

روائع شرح الحديث ۚ

«أهل الإفك»:

قال السهيلي في قوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾...
هم عبدالله بن أبي...
وحمنة بنت جحش...

وعبدالله أبو أحمد أخوها...

ومسطح... وحسان...

وقال النسفي: في هذه الآية... أهل الإفك هم عبدالله بن أبي رأس المنافقين... ويزيد بن رفاع... وحسان بن ثابت... ومسطح بن أثاث... وحمنة بنت جحش... ومن ساعدتهم...

وفي صحيح مسلم: وكان الذين تكلموا مسطح وحمنة وحسان... وأما المنافق عبدالله بن أبي... فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه... وهو الذي تولى كبره وحمنة.

قوله يستوشيه أي يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا يدعه يخمد...

وقال النسفي: في قوله تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبدالله بن أبي... أي الذي تولى عظمه... وبدأ به... ومعظم الشر كان منه... قال الله تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لإمعانه في عداوة رسول الله... ﷺ... وانتهازه الفرص... وطلبه سبيلاً إلى الغميرة...

وأما الإفك: فقال النسفي: الإفك أبلغ ما يكون من الافتراء والكذب... وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك...

«زعموا» أي قالوا... والزعم قد يراد به القول المحقق الصريح...

«كان رسول الله... ﷺ... إذا أراد أن يخرج سفراً» وفي رواية مسلم... ذكروا أن عائشة قالت: كان رسول الله... ﷺ... إذا أراد أن يخرج سفراً... «أقرع بين أزواجه» أي ساهم بينهن... تطييناً لقلوبهن...

وكيفية القرعة بالمخواتيم... يؤخذ خاتم هذا وخاتم هذا ويدفعان إلى رجل فيخرج منهما واحداً.

وعن الشافعي: يجعل رقاعاً صغاراً... يكتب في كل واحد اسم ذي السهم... ثم يجعل بنادق طين ويغطي عليها ثوب... ثم يدخل رجل يده فيخرج بندقة... وينظر من صاحبها؟... فيدفعها إليه...

وقال أبو عبيد بن سلام: عمل بالقرعة ثلاثة من الأنبياء... عليهم الصلاة
 والسلام... نبينا ويونس وزكريا... عليهم الصلاة والسلام...
 «فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه» في رواية النسفي أخرج بها معه...
 والصواب هو الأول...
 «في غزاة غزاها» هي غزوة بني المصطلق... وكانت سنة ست...
 «في هودج» وهو مركب من مراكب العرب أعد للنساء...
 «قفل» رجع...
 «آذن ليلة» أي أعلم...
 «شأني» ما يتعلق بقضاء الحاجة... وهو ما يكنى عنه استقباحا لذكره...
 «فإذا عقد» قلادة...
 «من جزع أظفار» خرز يمان... وهو أصناف... وأظفار... مدينة باليمن...
 وقال ابن التين: في بعض الروايات: العقد الملتمس مقدار ثمنه اثني عشر
 درهما...
 «ولم يغشهن اللحم» أي لم يركب عليهن اللحم... يعني: لم يكرّ
 سمينات...
 «ولما يأكلن الغلقة» ما فيه بلغة من الطعام... وقيل: ما يمسك به المرء نفسه
 من الأكل...
 «وكان صفوان بن المعطل السلمي» وكان على الساقة... يلتقط ما يسقط
 من متاع الجيش ليرده إليهم... وكان شجاعا خيرا شاعرا...
 وعن ابن اسحاق: قتل في غزوة أرمنية شهيدا... سنة تسع عشرة...
 «فرأى سواد إنسان» أي شخصه...
 «وكان يراني قبل الحجاب» أي قبل حجاب البيوت...
 وآية الحجاب نزلت في زينب... رضي الله تعالى عنها...
 «واستيقظت من لومي» أي تنهت من لومي...
 «باسترجاعه» أي بقوله «إنا لله وإنا إليه راجعون»...

وفي رواية مسلم: فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني... فخمرت وجهي
بجلبابي... والله ما يكلمني كلمة... ولا سمعت منه كلمة... غير استرجاعه
حتى أناخ راحته... فوطيء على يدها فركبتها...
«فوطيء يدها» فوطيء صفوان يد الراحلة ليسهل الركوب عليها... فلا يكون
احتياج إلى مساعدة...

«حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُعَرَّسِينَ» أي حال كونهم معرسين من
التعريس وهو النزول...

«في نحر الظهيرة» وهو وقت القائلة وشدة الحر...

«وهلك من هلك» أي هلك الذين اشتغلوا بالإفك...

«وكان الذي تولَّى الإفك» أي تصدر وتصدى...

«فاشتكيت» أي مرضت...

«بها» أي بالمدينة...

«شهرًا» أي مدة شهر.

«فيفيضون» من الافاضة وهو التكثير والتوسعة... يقال أفاض القوم في

الحديث إذا اندفعوا فيه يخوضون...

وقال ابن عرفة: حديث مفاض ومستفاض ومستفيض في الناس: أي جار فيهم

وفي كلامهم...

«ويريني» يقال رايتي الأمر يريني: إذا توهمته وشككت فيه...

«اللُّطْف» وهو البرّ والرفق...

«تِيكُمْ» إشارة إلى المؤنث... نحو ذاكم إلى المذكر...

«حتى لَقِيت» من نَقِه فهو نَاقِه... وهو الذي برىء من المرض... وهو قريب

عهد به... لم يتراجع إليه كمال صحته...

«قَبْلَ الْمَنَاصِعِ» أي جهة المناصب... وهي مواضع خارج المدينة كانوا

يتبرزون فيها...

«مُتَبَرِّزُونَ» هو الموضع الذي يتبرزون فيه... أي يقضون حاجتهم فيه...

«الكُثْف» الكنيف: السائر مطلقاً... وسمي به موضع الغائط لأنهم يستترون به...

«وأمرنا أمر العرب الأول» يعني في التبرز خارج المدينة...
«أو في التنزه» في طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء...
«وأم مسطح بنت أبي رُهم» وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف...
وأما ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق... وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد ابن المطلب...

قال النووي: ومسطح لقب... واسمه عامر...
توفي سنة سبع وثلاثين...
وقال الواقدي: شهد مع علي... رضي الله تعالى عنه... صفين... ومات في سنة سبع وثلاثين... عن ست وخمسين سنة...

«فعثرت في مِرْطِها» أي زلقت... والمِرْط: كساء من صوف...
«تعس مسطح» أي هلك... أو لرمه الشر... وقيل: بُغِد...
«فقال: يا هَتَاه» أي يا هذه... وقيل: يا امرأة...
«ألم تسمعي» وفي رواية مسلم: أولم تسمعي?...
«أئذن لي إلى أبي» أي ائذن لي أن آتي أبي... وفي رواية مسلم: أئذن لي أن آتي أبي?...
«من قتلها» أي من جهتها...

«لَقَلَّمَا كانت امرأة قط وضيئة»... أي جميلة... حسنة... من الوضاعة... وهو الحُشن...

«ولها ضرائر» جمع ضرة... وزوجات الرجل ضرائر... لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى... بالغيرة والقسم...
«إلا أكثرن عليها» أي أكثرن عليها القول... في عيبها ونقصها...
«لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ» لا ينقطع... من رقا الدمع إذا انقطع...
«ولا أكتحل بنوم» أي لا أنام...

«حين استلبث الوحي» أي حين أبطأ ولبث ولم ينزل...
«أهلك» روي بالنصب أي الزم أهلك... وروي بالرفع أي هي أهلك... لا
تسمع فيها شيئاً..

«وأما علي بن أبي طالب» إلى آخره... إنما قال علي ذلك... مصلحة
ونصيحة لرسول الله... صلى الله تعالى عليه وآله وسلم... في اعتقاده...
لأنه رأى انزعاج رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم... بهذا الأمر...
وقلقه... فأراد راحة خاطره... ﷺ...

لا لعداوة لعائشة... رضي الله تعالى عنها...
«أغضبته عليها» أي أعيبتها به... وأطعن عليها...
«فتأتي الداجن» وهي الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى...
وقيل: هو دجاجة أو حمام أو طير يألف البيت...
وكل معتاد موضعاً هو به يقيم فهو كذلك داجن...
«فاستعذر من عبد الله بن أبي» أي طلب من يعذره منه... أي من ينصفه
منه... أو: من يقوم بعذري أن عاقبته على سوء فعله؟...
وقال النووي: معناه: من يقوم بعذري إن كافأته على قبح فعله ولا يلومني
على ذلك؟...

«رجلاً» هو صفوان...

«فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا أعذرک منه» إنما قال ذلك لأن
الأوس من قومه وهم بنو النجار... ومن آذى رسول الله... ﷺ... وجب
قتله...

ثم إن الموجود في الأصول سعد بن معاذ ووقع في موضع آخر سعد بن
عبادة...

وقال ابن حزم: هذا عندنا وهم... لأن سعد بن معاذ مات إثر غزوة بني
قريظة بلا شك... وبنو قريظة كان في آخر ذي القعدة من سنة أربع... فبين
الغزوتين نحو من سنتين... والوهم لم يعر منه أحد من البشر...

وقال ابن العربي: ذكر سعد بن معاذ هنا وهم اتفق فيه الرواة...
ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير وإنما قال: إن المتكلم أولاً وآخرًا
أسيد بن حضير...

«وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا» يعني لم يكن قبل ذلك يحمي لمنافق...
«ولكن احتملته الحمية» أي أغضبته...

«فثار الحيتان الأوس والخزرج» أي تناهضوا للنزاع والعصية...
«حتى هموا» أي حتى قصدوا المحاربة وتناهضوا للنزاع...
«فخفّضهم» يعني تلطف بهم حتى سكتوا...

«وقد بكيت ليلتين ويومًا» وفي رواية ليلتي ويومًا...
«فالق» من فلق إذا شق...

«وقد مكث شهرًا لا يوحى إليه» وذلك ليعلم رسول الله... المتكلم
من غيره...

«في شأني» أي في أمري وحالي...

«ألممت» وفي رواية بذنب... وهو من الإلمام وهو النزول النادر غير
المتكرر...

وقال الكرمانى: أي فعلت ذنبًا مع أنه ليس من عادتك...
«فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه».

... دعاها إلى الاعتراف ولم يأمرها بالستر كغيرها لأنه لا ينبغي عند الشارع
امرأة أصابت ذنبًا...

«قلص دمعي» أي ارتفع وانقبض...

قال القرطبي: يعني أن الحزن والوجدة قد انتهت نهايتهما... وبلغت غايتهما...
ومهما انتهى الأمر إلى ذلك قلص الدمع لفرط حرارة المصيبة...

«ما أحس» من الإحساس... قال تعالى ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾...

«قال والله ما أدري ما أقول» معناه أن الأمر الذي سألتها رسول الله...
ﷺ لا نقف منه على أمر زائد على ما عند رسول الله... ﷺ قبل نزول

الوحي... من حسن الظن...

«إلا أبا يوسف» إلا مثل يعقوب عليه الصلاة والسلام... وهو الصبر...
وكانها من شدة حزنها لم تتذكر اسم يعقوب... وإنما قالت أبا يوسف لأنه لما
جاء أخوة يوسف أباهم يعقوب ومعهم قميص يوسف بدم كذب قال يعقوب
«بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا
تَصِفُونَ»...

«إذ قال» حين قال...

«فوالله ما رام مجلسه» أي ما برح المجلس ولا قام عنه...
«من البرحاء» شدة الكرب... مأخوذ من قولك برحت بالرجل إذا بلغت به
غاية الأذى والمشقة...

«ليتحدر» أي ينزل ويقطر...

«مثل الجمان» وهو الدر... وقيل هو اللؤلؤ الصغير...

«فلما سُري» لما كشف وأزيل عنه...

قال ابن دحية: ونزل عذرها بعد سبع وثلاثين ليلة...

«والله لا أقوم إليه» قالت ذلك إدلالاً عليهم وعتاباً...

لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائفها... وجميل أحوالها...
وتنزهاها عن هذا الباطل... الذي افتراه الظلمة لا حجة لهم... ولا شبهة
فيه...

«لقرابته» وذلك أن أم مسطح سلمى هي بنت خالة أبي بكر الصديق...

«ولا يأتل» أي ولا يحلف... والالية اليمين...

«أولو الفضل منكم» الفضل هنا المال...

«والسعة» في العيش والرزق... والمراد هنا أبو بكر وغيره من المسلمين...

«إلى قوله غفور رحيم» وفي رواية مسلم إلى قوله «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَكُمْ»...

قال ابن حيان بن موسى: قال عبدالله بن المبارك:

هذه أرجى آية في كتاب الله... فقال أبو بكر: بلى والله إنني لأحب أن يغفر الله لي... فرجع إلى مشطح النفقة التي كان ينفق عليه... وقال: لا أنزعها منه أبداً...

«الذي كان يجدي عليه» أي يعطي... من الجداء وهو العطية...
«أحمى» أصون سمعي من أن أقول سمعت ولم أسمع... وبصري من أن أقول أبصرت ولم أبصر... أي لا أكذب حماية لهما...
«تساميني» أي تضاهيني بكمالها ومكانها عند رسول الله... ﷺ...

ما يستفاد من الحديث؟!

فيه صحة القرعة بين النساء...
وبه استدلال مالك... والشافعي... وأحمد... وجماهير العلماء في العمل بالقرعة... في القسم بين الزوجات... وفي العتق... والوصايا... والقسمة ونحو ذلك....

وقال ابن المنذر: استعمالها كالإجماع...
وفيه جواز سفر الرجل بزوجه...
وفيه جواز الغزو بهن...
وفيه جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر...
وفيه إغالة الملهوف... وعون المنقطع... وإنقاذ الضائع... وإكرام ذوي الأقدار... كما فعل صفهوان بهذا كله...
وفيه حسن الأدب مع الأجنبية لاسيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها...
وفيه أنه إذا أركب أجنبية ينبغي أن يمشي قدامها ولا يمشي بجانبها ولا وراءها...

وفيه استحباب الاسترجاع عند المصائب... سواء كانت في الدين أو في الدنيا... وسواء كانت في نفسه أو من يعزّ عليه...

وفيه تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحًا أو غيره...
وفيه أنه يستحب أن يُسرَّ عن الإنسان ما يقال فيه... إذا لم يكن في ذكره
فائدة... كما كتموا عن عائشة رضي الله تعالى عنها هذا الأمر شهرًا ولم
تسمعه بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح تعس مسطح...
وفيه استحباب ملاطفة الرجل زوجته ويحسن معاشرتها...
وفيه أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئًا أو نحو ذلك يقلل من
اللفظ ونحوه لتفطن أن ذلك لعارض فتسأل عن سببه فتزيله...
وفيه استحباب السؤال عن المريض...
وفيه أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن يكون معها رفيقة لها
لتأنس بها ولا يتعرض لها...
وفيه كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك
من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه...
وفيه أن المرأة لا تذهب لبيت أبيها إلا بإذن زوجها...
وفيه جواز التعجب بلفظ التسبيح...
وفيه استحباب مشاورة الرجل بطائته وأهله وأصدقائه فيما ينوبه من الأمور...
وفيه جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة لمن له بها تعلق... وأما
غيره فممنهي عنه... وهو تجسس وفضول...
وفيه فضائل ظاهرة لصفوان... بشهادة النبي ﷺ... بما شهد وبفعاله
الجميلة...
وفيه استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة... أو اندفعت
عنه بلية بارزة.

وفيه براءة عائشة؟!

وفيه براءة عائشة... رضي الله عنها... من الإفك...
وهي براءة قطعية...

بنص القرآن...

فلو تشكك فيها إنسان صار كافراً... مرتداً... بإجماع المسلمين...

وفيه؟...

وفيه تجديد شكر الله تعالى... عند تجديد النعمة...

وفيه فضائل لأبي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾...

وفيه استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين...

وفيه استحباب العفو والصفح عن المسيء...

وفيه استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات...

وفيه استحباب لمن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي بالذي هو خير فيكفر عن يمينه...

وفيه فضيلة زينب أم المؤمنين رضي الله عنها...

وفيه غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك...

وفيه جواز سب المتعصب لمبطل... كما سب أسيد بن حضير... سعد بن

عبادة لتعصبه للمنافق وقال إنك منافق تجادل عن المنافقين... وقد ذكرنا أنه

لم يرد به النفاق الحقيقي...

وفيه أن من آذى رسول الله... ﷺ... في أهله وعرضه... فإنه يقتل...

لقول أسيد بن حضير... إن كان من الأوس قتلناه... ولم يرد عليه النبي...

ﷺ... شيئاً...

قال ابن بطال: وكذا من سب عائشة رضي الله عنها بما برأها الله تعالى

منه... أنه يقتل لتكذيبه الله ورسوله... ﷺ...

وفيه.. وجوب تعظيم أهل بدر والذب عنهم...

وفيه أن الصبر الجميل فيه الغبطة والعزة في الدارين...

وفيه ترك الحد لما يخشى من تفريق الكلمة... كما ترك رسول الله...

... حَدَّثَ ابْنُ سَلُولٍ...

وفيه أن الوحي ما كان يأتيه متى أراد لبقائه شهراً لم يوح إليه...
وفيه حرمة التشكيك في تبرئة عائشة من الإفك!!!.

* * *

أقول... هذا حديث الإفك... فماذا نزل من الآيات... في هذا الأمر العظيم!!!.

الآيات...

التي نزلت...

في براءة...

عائشة...؟!

في هذه الآيات...

من الدلالة على فضل الصديقة ما فيها ولو قلبت القرآن كله...

وفتشت عما أوعده به العصاة...

لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في الإفك...

وهو دال على فضلها أيضًا...

وكانت رضي الله تعالى عنها تتحدث بنعمة الله تعالى عليها... بنزول ذلك

في شأنها...

عائشة تتحدث عن نفسها!؟

فقد أخرج ابن أبي شيبة عنها... أنها قالت:

«خلال في... لم تكن في أحد من الناس...

«إلا ما أتى الله تعالى مريم ابنة عمران...

«والله ما أقول هذا... أني أفخر على صواحباتي...

«قيل: وما هن؟...»

«قالت: نزل الملك بصورتي...

«وتزوجني بكرًا... لم يشركه في أحد من الناس...

«وأناه الوحي وأنا وإياه في لحاف واحد...

«وكننت من أحب الناس إليه...
«ونزل في آيات من القرآن... كادت الأمة تهلك فيهن...
«ورأيت جبريل عليه السلام... ولم يره أحد من لسانه غيري...
«وقبض في بيتي... لم يله أحد غير الملك وأنا».
وأخرج ابن مردويه... عنها أنها قالت:
«لقد نزل عذري من السماء...
«ولقد خلقت طيبة... عند طيب...
«ولقد وعدت مغفرة وأجرًا عظيمًا».

* * *

والآيات المنزلة في ذلك... على ما روي عن عائشة... رضي الله تعالى
عنها... عشرة...

وها هي الآيات... من سورة النور... قال جل ثناؤه:
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾.

[سورة النور ١١]

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء...
وكثيرًا ما يفسر بالكذب مطلقًا...

وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك...
والمراد به ما أفك به الصديقة... أم المؤمنين... رضي الله تعالى عنها...
وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن
يكون له أصل...

وتفصيل القصة ما أخرجه البخاري... وغيره... عن عروة... عن عائشة...
رضي الله تعالى عنها...

(وقد مرَّ الحديث في الفصل السابق)...

إلى أن قالت: وأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكَ﴾ العشر الآيات كلها...
﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ أصل العصبه الفرقة المتعصبة... قلت أو كثرت...
وقد صح أن عائشة... رضي الله تعالى عنها... عدت المنافق عبد الله بن أبي
ابن سلول... وحمنة بنت جحش، أخت أم المؤمنين زينب رضي الله تعالى عنها...
وزوجة طلحة بن عبيد الله... ومسطح ابن أثالة... وحسان بن ثابت...
ومعنى ﴿مِنْكُمْ﴾ من أهل ملتكم... وممن ينتمي إلى الإسلام... سواء كان
كذلك في نفس الأمر أم لا...
فيشمل ابن أبي لأنه ممن ينتمي إلى الإسلام ظاهراً... وإن كان كافراً في نفس
الأمر...

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ والفائدة في الإخبار قيل: التسلية بأن الجائين بذلك
الإفك فرقة متعصبة متعاونة وذلك من أمارات كونه إفكاً لا أصل له...
وقيل: الأولى أن تكون التسلية بأن ذلك مما لم يجمع عليه... بل جاء به شذمة
منكم...

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ هو خير عظيم لكم... لئيلكم بالصبر عليه الثواب
العظيم...

وظهور كرامتكم على الله عز و جل... بإئزال ما فيه تعظيم شأنكم...
وتشديد الوعيد فيمن تكلم بما أحزنكم...
والآيات المنزلة في ذلك على ما سمعت آلفاً عن عائشة... رضي الله
تعالى عنها... عشرة...

﴿لِكُلِّ أَفْرَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي من الذين جاؤوا بالإفك...
﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي جزاء ما اكتسب... وذلك بقدر ما خاض
فيه...

فإن بعضهم تكلم...

وبعضهم ضحك كالمعجب الراضي بما سمع...

وبعضهم أكثر... وبعضهم أقل...

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ البداءة بالشئ... أي والذي تحمل معظمه...

﴿مِنْهُمْ﴾ من الجائين به...

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة... أو في الآخرة فقط...

والمراد بالذي تولى كبره - كما في صحيح البخاري عن الزهري - عن عروة... عن عائشة... رضي الله تعالى عنها: عبد الله بن أبي... عليه اللعنة... وعلى ذلك أكثر المحدثين...

وكان لعنه الله تعالى... يجمع الناس عنده... ويذكر لهم ما يذكر من الإفك... وهو أول من اختلقه وأشاعه...

لإمعانه في عداوة رسول الله... ﷺ...

وعذابه في الآخرة بعد جعله في الدرك الأسفل من النار... لا يقدر قدره إلا الله عز وجل...

وأما في الدنيا فوسمه بميسم الذل... وإظهار نفاقه على رؤوس الأشهاد...

* * *

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

[النور ١٢]

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ التفات إلى خطاب الخائضين ما عدا من تولى كبره منهم...

﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي كان الواجب على المؤمنين والمؤمنات أن يظنوا أول ما سمعوا ذلك الإفك ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تعلثم وتردد بأهل ملتهم من آحاد المؤمنين والمؤمنات خيراً...

﴿وَقَالُوا﴾ في ذلك الآن...

﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي ظاهر... مكشوف... كونه إفكاً... فكيف بأهم المؤمنين... حليمة رسول الله... بنت المهاجرين... رضي الله تعالى عنهما؟...

ويجوز أن يكون المعنى... هلا ظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوا ذلك
خيرًا... بأهل ملتهم... عائشة وصفوان... وقالوا الخ...

* * *

﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الْكَاذِبُونَ﴾.

[النور ١٣]

﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء
يشهدون على ثبوت ما قالوا؟...
﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾ الأربعة... وكان الظاهر... فإذا لم يأتوا بهم... إلا
أنه عدل إلى ما في النظم الجليل لزيادة التقدير...
﴿فَأُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الخائضين... وما فيها من معنى البعد للإيدان ببعد
منزلتهم في الفساد... أي فأولئك المفسدون...
﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي في حكمه وشرعته...
﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي المحكوم عليهم بالكذب شرعًا... أي بأن خبرهم لم
يطابق في الشرع الواقع...
وقيل: المعنى فأولئك في علم الله تعالى هم الكاذبون... الذين لم يطابق خبرهم
الواقع... في نفس الأمر... لأن الآية في خصوص عائشة... رضي الله تعالى
عنها... وخبر أهل الإفك فيها غير مطابق للواقع في نفس الأمر... في علمه عزَّ
وجلَّ...

* * *

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ
فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[النور ١٤]

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ أي تفضله سبحانه...
﴿عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ إياكم...

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بفنون النعم... التي من جملتها الإمهال للتوبة...

﴿و﴾ في...

﴿الْآخِرَةِ﴾ بضروب الآلاء... التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة...

وجوز أن يتعلق (في الدنيا والآخرة) بكل من فضل الله تعالى ورحمته...

والمعنى: لولا الفضل العام... والرحمة العامة... في كلا الدارين...

﴿لَمَسْكُمْ﴾ عاجلاً...

﴿فِي مَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ﴾ أي بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك...

والإبهام لتحويل أمره... واستهجان ذكره...

يقال: أفاض في الحديث... وخاض... واندفع... بمعنى...

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقه دونه التوبيخ والجلد...

والخطاب لغير ابن أبي من الخائضين... وجوز أن يكون لهم جميعاً...

* * *

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

[النور ١٥]

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقبكم ما

أفضتم فيه من الإفك... وأخذ بعضكم إياه من بعض بالسؤال عنه...

والتلقي... والتلقف... والتلقن... متقاربة المعاني...

إلا أن في التلقي معنى الاستقبال...

وفي التلقف معنى الخطف والأخذ بسرعة...

وفي التلقن معنى الحذق والمهارة...

وقرأ أبي... رضي الله تعالى عنه...

﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾...

وقرأ ابن السميعة ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾...

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي تقولون قولاً مختصاً

بالأفواه... من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب... لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم... فهذا كقوله تعالى ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾...

وقال ابن المنير: يجوز أن يكون قوله سبحانه ﴿تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ توبيخاً... كقولك: أقول ذلك بملء فيك؟... فإن القائل ربما رمز.. وعرض... وربما تشدق جازماً كالعالم...

﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا﴾ سهلاً... لا تبعه له...
﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أي والحال أنه عند الله عز وجل أمر عظيم... لا يقادر قدره في الوزر... واستجرار العذاب...

* * *

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

[النور ١٦]

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ممن اخترعه أو المتابع له...
﴿قُلْتُمْ﴾ تكذيباً له... وتهويلاً لما ارتكبه...
﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ﴾ أي ما يمكننا... وما يصدر عنا... بوجه من الوجوه التكلم...

﴿بِهَذَا﴾ إشارة إلى القول الذي سمعوه باعتبار شخصه...
وجوز أن يكون إشارة إلى نوعه... فإن قذف آحاد الناس المتصفين بالإحصان محرم شرعاً...

وجاء عن حذيفة مرفوعاً... أنه يهدم عمل مائة سنة...
فضلاً عن تعرض الصُّدُيقَةِ... حرمة رسول الله...
﴿سُبْحَانَكَ﴾ تعجب ممن تفوّه به...
وأصله أن يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى شأنه... تنزيهاً له سبحانه من أن يصعب عليه أمثاله... ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه...

واستعماله فيما ذكر مجاز متفرع على الكناية... ومثله في استعماله للتعجب لا إله إلا الله...

وجوز أن يكون ﴿سُبْحَانَكَ﴾ هنا مستعملاً في حقيقته...
والمراد تنزيه الله تعالى شأنه... من أن يصم نيته... عليه الصلاة والسلام...
ويشينه...

فإن فجور الزوجة وصمة في الزوج تنفر عنه القلوب... وتمنع عن اتباعه
النفوس...

ولذا صان الله تعالى أزواج الأنبياء... عليهم السلام... عن ذلك...
وهذا بخلاف الكفر... فإن كفر الزوجة ليس وصمة في الزوج...
وقد ثبت كفر زوجتي نوح ولوط... عليهما السلام...
﴿هَذَا بُهْتَانٌ﴾ أي كذب... يبهت ويحير سامعه لفظاعته...
﴿عَظِيمٌ﴾ لا يقدر قدره... لعظمة المبهوت عليه... فإن حقارة الذنوب
وعظمتها كثيراً ما يكونان باعتبار متعلقاتها...

والظاهر أن التوبيخ للسامعين الخاضعين... لا للسامعين مطلقاً...
فقد روي عن سعيد بن جبير... أن سعد بن معاذ^(١)... لما سمع ما قيل
في أمر عائشة... رضي الله تعالى عنها... قال:
سبحانك هذا بهتان عظيم...

وعن سعيد بن المسيب أنه قال: كان رجلان من أصحاب النبي...
إذا سمعا شيئاً من ذلك قالوا ما ذكر أسامة بن زيد بن حارثة... وأبو أيوب...
رضي الله تعالى عنهما...

وأخرج ابن مردويه... عن عائشة... رضي الله تعالى عنها... أنها قالت:
«إن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يتحدث
به الناس؟...»

«فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم.»

(١) الصحيح أنه أُستبد بن حُضِير - وقد مر ذكر ذلك عن قريب.

من شروط النبوة... السلامة عن كل

ما ينفر... عن الاتباع؟

ومنشأ هذا الجزم - على ما قاله الإمام الرازي - العلم بأن زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام... لا يجوز أن تكون فاجرة...
وعلل بأن ذلك ينفر عن الاتباع...
فيخل بحكمة البعثة... كدناءة الآباء وعهر الأمهات...
وقد نص على أن من شروط النبوة السلامة عن ذلك... بل عن كل ما ينفر عن الاتباع...

واستشكل ذلك بأنه إذا كان ما ذكر شرطاً... فكيف علمه من سمعت حتى قالوا ما قالوا... وخفي الأمر على رسول الله... حتى قال - كما في صحيح البخاري... وغيره:
«يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه»...؟
وجاء في بعض الروايات:

«يا عائشة إن كنت فعلت هذا الأمر فقول لي حتى أستغفر الله تعالى لك»...
وكذا خفي على صاحبه أبي بكر الصديق... رضي الله تعالى عنه...
فقد أخرج البزار... بسند صحيح... عن عائشة... رضي الله تعالى عنها...
أنه لما نزل عذرها... قبل أبو بكر... رضي الله تعالى عنه... رأسها...
فقلت: ألا عذرتني؟... فقال:

أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت ما لا أعلم...؟
وأجيب بأن ذلك ليس من الشروط العقلية للنبوة... كالأمانة والصدق...
بل هو من الشروط الشرعية والعادية...
فيجوز أن يقال: إنه لم يكن معلوماً قبل... وإنما علم بعد نزول آيات براءة عائشة... رضي الله تعالى عنها...

وعدم العلم بمثل ذلك لا يقدح في منصب النبوة.
وجوز أن يدعى أن النبي... ﷺ ... كان عالمًا بعدم جواز فجور نساء
الأنبياء... عليهم الصلاة والسلام... لما فيه من النفرة المخلة بحكمة البعثة...
لكن أراد... عليه الصلاة والسلام... أن يظهر براءة الصديقة... رضي الله
تعالى عنها... ظهور الشمس في رابعة النهار...
بحيث لا يبقى فيه خفاء عند أحد من الصحابة الكرام... رضي الله تعالى
عنهم...

وما عراه من الهم إنما هو أمر طبيعي حصل بسبب خوض المنافقين ومن
تبعهم... وشيوع ما لا أصل له من الباطل بين الناس...
ويحتمل أنه... ﷺ ... كان عالمًا بأن السلامة من المنفر من شروط
النبوة...

لكن خشي من الله عز وجل... الذي لا يجب عليه شيء... أن لا يجعل
ما خاض المنافقون وأتباعهم فيه من المنفر...
بأن لا يرتب سبحانه خلق النفرة في القلوب عليه... ليمنع من الاتباع...
فتختل حكمة البعثة...

فداخله... عليه الصلاة والسلام... من الهم ما داخله...
وجعل يتبع الأمر على أتم وجه... وما ذلك إلا من مزيد العلم... ونهاية
الحزم...

ونظيره من وجه خوفه... عليه الصلاة والسلام... من قيام الساعة عند
اشتداد الريح... بحيث لا يستطيع أن ينام ما دام الأمر كذلك حتى تمطر
السماء...

ولا ينبغي لمن يؤمن بالله تعالى... ورسوله ﷺ ... أن يخالج قلبه بعد
الوقوف على الآيات والأخبار شك في طهارة نساء الأنبياء... عليهم الصلاة
والسلام... عن الفجور في حياة أزواجهن... وبعد وفاتهم عنهن...

* * *

﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[النور ١٧]

﴿يَعْظُمُ اللَّهُ﴾ أي ينصحكم...

﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي كراهة أن تعودوا... أو لئلا تعودوا... أو يعظكم في العود... أي في شأنه وما فيه من الإثم والمضار... كما يقال وعظته في الخمر وما فيها من المضار...

والمراد بأبدًا... مدة الحياة...

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يتضمن تذكيره بالإيمان... الذي هو إبرة في الترك والتهيج لإبرازه في معرض الشك... وفيه طرف من التوبيخ...

﴿وَيُتِنُّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[النور ١٨]

﴿وَيُتِنُّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي ينزلها مبينة... ظاهرة الدلالة على معانيها...

والمراد بها الآيات الدالة على الشرائع... ومحاسن آداب معاملة المسلمين...

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال جميع مخلوقاته جلّها ودقّها...

﴿حَكِيمٌ﴾ في جميع أفعاله...

فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرم من اصطفاه لرسالته... وبعثه إلى كافة

الخلق... ليرشدهم إلى الحق... ويزكيهم... ويطهرهم تطهيراً...

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[النور ١٩]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ أي يريدون ويقصدون...

﴿أَنْ تَشِيعَ﴾ أن تنتشر...

﴿الْفَاحِشَةُ﴾ أي الخصلة المفرطة في القبح... وهي الفرية... والرمي بالزنا...
أو نفس الزنا... والمراد بشيوعها شيوع خبرها...
﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي تشيع فيما بين الناس... وذكر المؤمنين لأنهم العمدة
فيهم...
أو... كائنة في حق المؤمنين... وفي شأنهم... والمراد بهم المحصنون
والمحصنات...

﴿لَهُمْ﴾ بسبب ذلك...
﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ مما يصيبه من البلاء كالشلل والعمى...
﴿و﴾ في
﴿الْآخِرَةِ﴾ من عذاب النار ونحوه...
وترتب ذلك على المحبة ظاهر... من أن أعمال القلب السيئة كالحقد والحسد
ومحبة شيوع الفاحشة... يؤخذ العبد إذا وطن نفسه عليها...
ويعلم من الآية على أتم وجه... سوء حال من نزلت الآية فيهم... كابن
أبي... ومن وافقه قلبا وقالبا...
وأن لهم الحظ الأوفر من العذابين... حيث أحبوا الشيوع وأشاعوا...
وقد فسر ابن عباس... وابن جبير... العذاب الأليم في الدنيا هنا بالحد...
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ جميع الأمور... التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة
المذكورة... وكذا وجه الحكمة في تغليظ الوعيد...
﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما يعلمه سبحانه وتعالى...
وقيل: المعنى والله يعلم ما في ضمائرهم... فيعاقبهم عليه في الآخرة... وأنتم
لا تعلمون ذلك... بل تعلمون ما يظهر لكم من أقوالهم... فعاقبوا عليه في
الدنيا...

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[النور ٢٠]

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ الخطاب على ما أخرج الطبراني... عن ابن عباس:

لمسطح... وحسان... وحمنة...

أو: لمن عدا ابن أبي وأضرابه من المنافقين الخائضين... وهذا تكرير للمنة... بترك المعالجة بالعقاب... للتنبيه على كمال عظم الجريمة...

﴿وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته... بهاتين الصفتين الجليلتين... على الدوام والاستمرار... لا بيان حدوث تعلقهما بهم... وهذا نظير الآية المارة في آخر حديث اللعان... إلا أن في التعقيب بالرؤوف الرحيم بدل التواب الحكيم هنالك... ما يؤذن بأن الذنب في هذا أعظم... وكأنه لا يرتفع إلا بمحض رأفته تعالى... وهو أعظم من أن يرتفع بالتوبة...

كما روي عن ابن عباس: من خاض في حديث الإفك وتاب... لم تقبل توبته... والغرض التغليظ...

والله تعالى أعلم!!!

مع...

الرفيق...

الأعلى؟!

نحن في سنة إحدى عشرة من الهجرة.
فبينما الناس على ذلك، ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه، الذي قبضه الله فيه، في
ليال بقين من صفر.
فكان أول ما ابتدئ به من ذلك، أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل،
فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله.
فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

لقد اخترت لقاء ربي؟!

عن أبي مؤهبة مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف
الليل، فقال: «يا أبا موهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي».
فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر،
ليتهنيء لكم ما أصبحتم فيه، مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم،
يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى».
ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا موهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد
فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة».
فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة.
قال: «لا، والله يا أبا موهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة».
ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف.
فبدأ رسول الله ﷺ مرضه الذي قبضه الله فيه.

وارأساه؟!

عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه».

قالت: ثم قال: «وما ضرك لو مُتُّ قبلي، فقمْتُ عليك وكفَّنتُكِ وصلَّيتُ عليك ودفنتُكِ؟».

قالت: قلت: والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك؟!

فتبسّم رسول الله ﷺ.

وتنام عليه مرضه وهو يدور على نسائه، حتى اشتد به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له.

المرض يشتد؟!

عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس، ورجل آخر^(١)، عاصبًا رأسه؛ تخط قدماه، حتى دخل بيتي.

ثم عمّر رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، فقال: «هريقُوا عليّ سبع قِرَبٍ من آبارِ شتى، حتى أخرجَ إلى الناس، فأُعْهَدَ إليهم».

فأقعدها في مَحْضَبٍ لحفصة بنت عمر، ثم صببنا الماء حتى طفق يقول: «حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ».

ينعي نفسه؟!

وخرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه، حتى جلس على المنبر.

(١) هو علي بن أبي طالب.

ثم كان أول ما تكلم به، أنه صلى على أصحاب أُحُد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم.

ثم قال: «إن عبدًا من عباد الله، خيره الله بين الدنيا والآخرة، وبين ما عنده، فاختر ما عند الله».

ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يريد، فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا.

فقال رسول الله ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر».

ثم قال: «انظروا هذا الأبواب اللافظة^(١) في المسجد فسدوها، إلا بيت أبي بكر، فإنني لا أعلم أحدًا، كان أفضل في الصحبة عندي يدًا منه».

ويروى أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا: «فإنني لو كنت متخذًا من العباد خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة، وإخاء إيمان، حتى يجمع الله بيننا عنده».

أنفذوا بعث أسامة؟!

ثم إن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة، وهو في مرضه.

فخرج عاصبًا رأسه، حتى جلس على المنبر.

وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلامًا حدثًا، على جلة المهاجرين والأنصار.

فحمد الله، وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: «يا أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لمن قلتم في إمارته، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقًا لها».

ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناس في جهازهم، واشتد برسول الله ﷺ مرضه.

فخرج أسامة، وخرج بجيشه معه، حتى نزلوا الجوف من المدينة على فرسخ.

(١) اللافظة: النافذة إليه.

فضرب به معسكره، وتنامَّ إليه الناس.
وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس، لينظروا ما الله قاض في رسول الله ﷺ.

استوصوا بالأنصار خيرًا؟!

وروي أن رسول الله ﷺ قال - يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد، وذكر من أمرهم ما ذكر، مع مقالته يومئذ - «يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرًا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا غيبيتي التي أويت إليهما، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».
ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتنامَّ به مرضه حتى غمره.

من صنع هذا بي؟!

فاجتمع إليه نساء من نسائه، أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس.
وعنده العباس عمه، فأجمعوا على أن يُلْدُوهُ^(١)، وقال العباس: لأُلْدُوهُ.
فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: «من صنع هذا بي؟».
قالوا: يا رسول الله عملك.
قال: «هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض». وأشار نحو أرض الحبشة.

قال: «ولم فعلتم ذلك؟».
فقال عمه العباس: نحشنا يا رسول الله أن يكون بك ذات جَنْب.
فقال: «إن ذلك لدائم ما كان الله ليقدفني به، لا يبق في البيت أحد إلا لُدَّ إلا عمي».
فلقد لدت ميمونة، وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صنعوا

به.

(١) لدت المريض: إذا جعلت الدواء في شق فمه.

يدعو بالإشارة؟

عن أسامة بن زيد، لما ثقل رسول الله ﷺ، هبطت، وهبط الناس معي إلى المدينة.

فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أضميت، فلا يتكلم.
فجعل يرفع يده إلى السماء، ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي.

إذا والله لا يختارنا؟

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ، كثيرًا ما أسمعه يقول: «إن الله لم يقبض نبيًا حتى يُخَيَّرَ».

قالت: فلما حضر رسول الله ﷺ، كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة».

قالت: قلت: إذا والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا «إن نبيًا لم يُقبض حتى يُخَيَّرَ».

وعن عائشة أيضًا قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي إلا تُقبض نفسه، ثم يرى الثواب، ثم ترد إليه، فيخَيَّر بين أن ترد إليه، وبين أن يلحق».
فكنت قد حفظت ذلك منه، فإني لمسندته إلى صدري، فنظرت إليه حين مالت عنقه، فقلت: قد قضى، فعرفت الذي قال.

فنظرت إليه حين ارتفع فنظر، قلت: إذا والله لا يختارنا.

فقال: مع الرفيق الأعلى، في الجنة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

مروا أبا بكر فليصل بالناس؟

عن عائشة قالت: لما استعزّ برسول الله ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

قلت: يا نبي الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن؟

قال: «مروه فليصل بالناس».

قالت: فعدت بمثل قلبي.

فقال: «إنك صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس».

قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر. وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر.

فأين أبو بكر؟

عن عبد الله بن زُمعة قال: لما استعز برسول الله ﷺ - وأنا عنده في نفر من المسلمين - دعاه بلال إلى الصلاة.

فقال: «مروا من يصلي بالناس».

فخرجت، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبا.

فقلت: قم يا عمر فصل بالناس.

فقام: فلما كبر، سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلاً مُجَهِّراً^(١).

فقال رسول الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟. يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون».

فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس.

قال لي عمر: ويحك!! ماذا صنعت بي يا بن زُمعة؟. والله ما ظننت حين أمرني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك؟. ولولا ذلك ما صليت بالناس.

قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس.

(١) مجهراً: عالي الصوت.

النظرة الأخيرة!؟

عن أنس بن مالك: لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ، فخرج إلى الناس وهم يصلون الصبح.

فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة. فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه، فرحوا به، وتفرّجوا.

فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم.

وتبسم رسول الله ﷺ سرورًا لما رأى من هيئتهم في صلاتهم.

وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة.

ثم رجع، وانصرف الناس، يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق^(١) من وجهه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالشنع^(٢).

يصلي وراء أبي بكر!!

لما كان يوم الاثنين، خرج رسول الله ﷺ، عاصبًا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس.

فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه.

فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: «صَلِّ بالناس».

وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعدًا عن يمين أبي بكر.

فلما فرغ من الصلاة، أقبل على الناس، فكلّمهم رافعًا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول: «يا أيها الناس، شُعْرَتِ النَّارِ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمُشْكُون عَلَيَّ بِشَيْءٍ، إِنِّي لَمْ أَجِلْ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ، وَلَمْ

(١) أفرق من وجهه: أبل من مرضه وبرىء منه.

(٢) موضع كان لأبي بكر فيه مال، وكان يتزله بأهله.

أَحْرَمَ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ».

فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال أبو بكر: يا نبي الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل، كما نُحِبُّ، واليوم يوم بنت خارجة أفأتيتها؟ قال: «نعم».

ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالشُّنْحِ.

بل الرفيق الأعلى؟!

فَتَوَفَّى رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الضُّحَاءُ من يوم الإثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة. عن عائشة قالت: رجع إلي رسول الله ﷺ في ذلك اليوم، حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجري.

فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر، وفي يده سواك أخضر. فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده، نظرًا عرفت أنه يريد. فقلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «نعم».

قالت: فأخذته فمضغته حتى لَيَّئْتُه، ثم أعطيته إياه. فاستنّ به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط، ثم وضعه. ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة». فقلت: تُخَيِّرْتُ فاخترت، والذي بعثك بالحق. وقبض رسول الله ﷺ.

تقول عائشة: مات رسول الله ﷺ بين سَخْرِي^(١) وَنَخْرِي^(٢) وفي دولتي^(٣)،

(١) السحر: من الرئة إلى الحلقوم.

(٢) النحر: أعلى الصدر.

(٣) في دولتي: في نوتي التي كانت لي.

لم أظلم فيه أحدًا. فمن سَفَّهي وحادثة سَتِي، أن رسول الله ﷺ قبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت أَلْتَدِمُ^(١) مع النساء، وأضربت وجهي!

والله ما مات!!

عن أبي هريرة: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

أبو بكر يُقبَل رسول الله؟!

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة. ورسول الله ﷺ مغطى الوجه في ناحية البيت، عليه بُرْدُ جَبَرَة^(٢). فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ. ثم أقبل عليه فقَبَله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موة أبداً. ثم رَدَّ البُرْدَ على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس.

وما محمد إلا رسول؟!

فقال: على رسلك يا عمر، أنصت.. فأبى إلا أن يتكلم.

(١) أَلْتَدِمُ: أضرب صدري.

(٢) نوع من ثياب اليمن.

فلما رآه أبو بكر لا ينصت، أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه، أقبلوا عليه، وتركوا عمر.

فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذا الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر يومئذ. وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم. قال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرْتُ^(١) حتى وقعت إلى الأرض، ما تحملني رجلاي، وعرفت رسول الله ﷺ قد مات.

عمر يروي قصة اختيار أبي بكر ١٩

قال عمر: إنه كان من خبرنا - حين توفي الله نبيه ﷺ - أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزيبر بن العوام ومن معهما.

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار.

فانطلقنا نؤمهم... حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة...

فلما جلسنا تَشَهَّدَ خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله. وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دَفَّتْ^(٢) دافَّة من قومكم.

قال عمر: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر.

(١) فمقرت: تحيرت ودهشت.

(٢) الدافَّة: الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة.

فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد زَوَّزْتُ^(١) في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر..

فقال أبو بكر: على رِشْلِكَ يا عمر، فكرهت أن أغضبه.

فتكلم، وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته، أو مثلها، أو أفضل، حتى سكت، قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم.

وأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا.

ولم أكره شيئا مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يُقَرِّبَنِي ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

فقال قائل من الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش.

قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف.

فقلت: ابسط يَدَكَ يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار...

عمر يعتذر؟

عن أنس بن مالك: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إلي قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهدته إلي رسول الله ﷺ، ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا... يكون آخرنا!

وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هذاكم الله لما كان هداه له.

(١) زورت: أعددت وحسنت.

وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.
فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة، بعد بيعة السقيفة.

لست بخيركم؟

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس؛ فإنني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل.
ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء.
أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.
قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

إعداد الجسد الشريف؟

فلما برىع أبو بكر رضي الله عنه، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء.

فأسند علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه معه.

وكان أسامة بن زيد، وشقران مولاه، هما اللذان يصبان الماء.
وعلي يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلّكه من ورائه، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ.

وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا.
ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت.

فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب. صحاريين^(١)، وثُريد جَبْرِة، أُدرج فيه إدراجًا.

الصلاة على رسول الله؟

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وُضع على سريرته في بيته. وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده. وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه. فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دُفِنَ حيث يُقبَضُ».

فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر له تحته. ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ، يصلون عليه أرسالًا. دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد.

في ليلة الأربعاء؟

عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء. وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ، علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ. وقد قال أوس بن خُولَيٍّ لعلي بن أبي طالب: يا علي أنشدك الله، وحفظنا من رسول الله ﷺ؟

فقال له: انزل. فنزل مع القوم. وقد كان مولاه شقران - حين وضع رسول الله ﷺ في حفرة وبنى عليه - قد

(١) نسبة إلى صحار، وهي بلدة من بلاد اليمن.

أخذ قطيفة، قد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً.

قال ابن عباس: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين.

عندما قال صلى الله عليه وسلم...

«بل أنا والله...»

يا عائشة..!

وارأساه...؟!

قال الراوي:

«أحداث سنة إحدى عشرة...»

«مرض رسول الله... ﷺ ... ووفاته...»

«ابتدأ برسول الله... ﷺ ... مرضه أواخر صفر...»

«قالت عائشة: فلما رجع من البقيع... وجدني وأنا أجد صداعًا وأنا أقول:

وارأساه...»

«قال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه..!»

«ثم قال: ما ضربك لو مِتُّ قبلي... فقمْتُ عليك... وكفَّتك... وصليتُ

عليك ودفنتك...؟»

«فقلت: كأنني بك والله لو فعلت ذلك... فرجعت إلى بيتي فعزَّست ببعض

نسائك...»

«فتبسَّم... وتنام به وجعه... وتمرَّض في بيتي...»

«فخرج منه يومًا بين رجلين... أحدهما الفضل بن العباس... والآخر

علي...»

«قال الفضل: فأخرجته... حتى جلس على المنبر... فحمد الله...»

«وكان أول ما تكلم به النبي... ﷺ ... أن صلَّى على أصحاب أُحد...»

فأكثَر واستغفر لهم...

«ثم قال: أيها الناس... إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم...
«فمن كنت جلدت له ظهرًا... فهذا ظهري... فليستقد منه...
«ومن كنت شتمت له عرضًا... فهذا عرضي... فليستقد منه...
«ومن أخذت له مالًا... فهذا مالي... فليأخذ منه... ولا يخش الشحاء من
قبلي... فإنها ليست من شأني...
«ألا وإن أحبكم إلي... من أخذ مني حقًا... إن كان له... أو حللني...
فلقيت ربي... وأنا طيب النفس...
«ثم نزل... فصلّى الظهر... ثم رجع إلى المنبر... فعاد لمقالته
الأولى...»!!!

«قال ابن مسعود:

«نعى إلينا نبيًا وحبينا نفسه قبل موته بشهر...»

اجتماع في حجرة عائشة؟!

«فلما دنا الفراق... جمعنا في بيت عائشة... فنظر إلينا... فشدد... ودمعت
عيناه... وقال:

«مرحبًا بكم...»

«حيّاكم الله...»

«رحمكم الله...»

«أواكم الله...»

«حفظكم الله...»

«رفعكم الله...»

«وفقكم الله...»

«سلمكم الله...»

«قبلكم الله...»

«أوصيكم بتقوى الله...»

«وأوصي الله بكم...
 «وأستخلفه عليكم...
 «وأؤدّيكُم إليه...
 «إني لكم منه نذير وبشير...
 «ألا تعلوا على الله... في عباده وبلاده...
 «فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾...
 «قلنا: فمتى أجلك؟..
 «قال: دنا الفراق... والمنقلب إلى الله... وسدرة المنتهى... والرفيق الأعلى... وجنة المأوى...
 «فقلنا: من يغسلك؟..
 «قال: أهلي...
 «قلنا: فيم نكفّنك؟..
 «قال: في ثيابي... أو في بياض...
 «قلنا: فمن يصلي عليك؟..
 «قال: مهلاً... غفر الله لكم... وجزاكم عن لبيكم خيراً...
 «فبكينا...
 «وبكى...» ۱۱۱.

أقرئوا أنفسكم مني السلام؟!

ثم قال:
 «ضعوني على سريري...
 «على شفير قبري...
 «ثم أخرجوا عني ساعة... ليصلي علي... جبرائيل... وإسرافيل...
 وميكائيل... وملك الموت... مع الملائكة...

«ثم ادخلوا عليّ... فوجأ فوجأ... فصلّوا عليّ...
«ولا تؤذوني... بتزكية...
ولا رنة...»

«أقرئوا أنفسكم منّي السلام...
«ومن غاب من أصحابي... فأقرئوه منّي السلام...
«ومن تابعكم على ديني... فأقرئوه السلام...»
قال الراوي: قال ابن عباس:

«يوم الخميس... وما يوم الخميس...
«ثم جرت دموعه على خديه...
«اشتد برسول الله... ﷺ مرضه ووجعه...
«وخرج عليّ بن أبي طالب... من عند رسول الله... ﷺ... في مرضه...
«فقال الناس: كيف أصبح رسول الله؟...
«قال: أصبح بحمد الله بارئاً...
«فأخذ بيده العباس فقال: أنت بعد ثلاث عبد العاص... وإن رسول الله...
ﷺ... سيتوفى في مرضه هذا... وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبد
المطلب... فاذهب إلى رسول الله... ﷺ... فاسأله فيمن يكون هذا
الأمر؟... فإن كان فينا علمناه... وإن كان في غيرنا أمره... أوصى بنا...
«فقال عليّ: لئن سألتها رسول الله... ﷺ... فمنعناها... لا يعطيناها
الناس أبداً...»

«والله لا أسأله رسول الله... ﷺ... أبداً...»
قال الراوي:

«ولما اشتد برسول الله... ﷺ... وجعه... ونزل به الموت...
«جعل يأخذ الماء بيده... ويجعله على وجهه ويقول: واكرباه!..
«فتقول فاطمة: واكربي لكربي يا أبتى!..
فيقول رسول الله... ﷺ: لا كرب على أبيك بعد اليوم...»

«فلما رأى شدة جزعها... استندناها وسارّها... فبكت...
ثم سارّها الثانية... فضحكت...
«فلما توفي رسول الله... ﷺ... سألتها عائشة عن ذلك...
«قالت: أخبرني أنه ميت... فبكيت...
«ثم أخبرني أنني أول أهله لحوقاً به... فضحكت...»!!!
قال الراوي:
«وكان موته... يوم الاثنين... لثنتي عشرة ليلة... خلت من ربيع الأول...
«ودُفن... من الغد... نصف النهار...»!!!
* * *
أقول... هذه المشاهد المقدسة...
حدّثت في حجرة عائشة...
رضي الله تعالى عنها!!!
فلما دُفِنَ ﷺ حيث قُبِض... في تلك الحجرة...
صارت تلك الحجرة بقعة في الأرض يشتاق إلى زيارتها كلّ مؤمن وكلّ
مؤمنة!!!.

عائشة تقول:

«قَبَضَهُ اللَّهُ...»

بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي...

وَدُفِنَ فِي بَيْتِي؟!...

في صحيح البخاري...

بابُ ما جاءَ في قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ... وَأَبِي بَكْرٍ...

رضي الله عنهما

أي هذا باب في بيان ما جاء في صفة قبر النبي ﷺ ...

وصفة قبر أبي بكر الصديق...

وعمر الفاروق...

من كون قبرهم في بيت عائشة... رضي الله تعالى عنها...

وكونه مسنماً أو غير مسنم...

وكونه بارزاً أو غير بارز...

ومن كون أبي بكر وعمر معه... ﷺ ...

وفيه فضيلة عظيمة لهما... فيما لا يشاركهما فيها أحد...

وذلك أنهما كانا وزيريه في حال حياته...

وصارا ضجيعيه بعد مماته...

وهذه فضيلة عظيمة... خصّهما الله تعالى بها...

وكرامة حيّاهما بها...

لم تحصل لأحد!!!

وصية عائشة؟!

ألا ترى وصية عائشة... رضي الله تعالى عنها... إلى ابن الزبير... رضي الله تعالى عنهما... أن لا يدفنها معهم... خشية أن تُزكى بذلك!... وهذا من تواضعها... وإقرارها بالحق لأهله... وإيثارها به على نفسها... ورأت عمر... رضي الله تعالى عنه أهلاً... وأيضاً لقرب طينتهما من طينته... ففي حديث أبي سعيد... رضي الله تعالى عنه: «مرّ رسول الله... ﷺ... في جنازة عند قبر فقال: «من هذا؟»

«فقال: فلان الحبشي...» «فقال ﷺ: لا إله إلا الله... سيق من أرضه وسمائه إلى تربته التي منها خُلق...»

قال الحاكم: صحيح الإسناد... وإنما استأذنها عمر في ذلك... وورغب إليها فيه... لأن الموضع كان بيتها... ولها فيه حق... ولها أن تؤثر به نفسها لذلك... فأثرت به عمر... رضي الله تعالى عنه...

عائشة رأت رؤيا؟!

وقد كانت عائشة... رضي الله تعالى عنها... رأت رؤيا دلّتها على ما فعلت... «حين رأت ثلاثاً أقمار سقطن في حجرتها...» «فقصتها على والدها لما توفي رسول الله... ﷺ... ودفن في بيتها...» «فقال لها أبو بكر: هذا أول أقمارك... وهو خيرها.»

* * *

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:
 «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ...
 «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ... أَيْنَ أَنَا غَدًا...
 «اسْتَبْطَاءَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ...
 «فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي...
 «فَبَضَّ اللَّهُ بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي...
 «وَذَفِنَ فِي بَيْتِي».

[أخرجه البخاري]

مطابقته للترجمة من حيث أنه... ﷺ... دُفِنَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ...
 وفيه قبره... والترجمة في قبر النبي... ﷺ...
 «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... لَيَتَعَذَّرُ» أي يطلب العذر فيما يحاوله من
 الانتقال إلى بيت عائشة... رضي الله تعالى عنها...
 وفي رواية أبي الحسن «لَيَتَقَدَّرُ» معناه يسأل عن قدر ما بقي إلى يومها... ليهون
 عليه بعض ما يجد... لأن المريض يجد عند بعض أهله ما لا يجده عند غيره من
 الأئس والسكون...
 «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ» أي أين أكون في هذا اليوم... وأين أكون غدا؟...
 وقال الكرماني: يريد بقوله: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ» لمن النوبة اليوم... ولمن النوبة
 غدا؟...

أي في حجرة أي امرأة من النساء أكون غدا؟...
 استبطاء ليوم عائشة... رضي الله تعالى عنها...
 يستطيل اليوم اشتياقا إليها... وإلى نوبتها...
 «فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي» أي في النوبة...
 «بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي» السخر: ما الترق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن...
 والسخر... بفتحيتين كذلك: الرئة والجمع أسحار...
 وقال الفراء: أكثر قول العرب:

السَّخَر... والتَّخَر بالنون: الصدر...

وقال ابن قتيبة في كتابه الغريب:

بلغني عن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير أنه قال: إنما هو «شَجْرِي وَنَحْرِي»...

فسئل عن ذلك... فشَبَّكَ بين أصابعه وقدمها من صدره كأنه يضم شيئاً إليه...

أراد أنه قُبِض... وقد ضَمَّتْهُ يديها إلى نحرها وصدرها...

والشجر: التشبيك...

ويستفاد من الحديث:

فضيلة عائشة... رضي الله تعالى عنها...

«وَدُفِنَ فِي بَيْتِي» نسبة البيت إليها... كما في قوله تعالى ﴿وَقُزْنَ فِي

يُتُوبِكُنَّ﴾ لأن البيوت كانت لرسول الله... ﴿﴾

«أخبرنا أبو بكر بن عَيَّاش...

«عَنْ سُفْيَانَ الثَّمَارِ... أَنَّهُ حَدَّثَهُ...

«أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ... ﴿﴾... مُسْتَمًا».

[أخرجه البخاري]

روى أبو داود... عن القاسم بن محمد... قال: دخلت على عائشة... رضي الله

تعالى عنها... فقلت: يا أمَّاه... اكشفي لي قبر رسول الله... ﴿﴾...

«فكشفت لي عن ثلاثة قبور...

«لا مشرفة ولا لاطئة..

«مبطوحة يبطحاء العرصة الحمراء...

«فرايت رسول الله... ﴿﴾... مقدما...

«وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي... ﴿﴾...

«وعمر رأسه عند رجلي النبي... ﴿﴾».

وقال صاحب الهداية: ويسنم القبر، من التسنيم... وتسنيمة رفعه من الأرض

مقدار شبر... أو أكثر قليلاً...

وعن عثمان بن نسطاس قال: رأيت قبر النبي ﷺ ... لما هدمه عمر بن عبد العزيز... رضي الله تعالى عنه... مرتفعاً نحو أربع أصابع... ورأيت قبر أبي بكر... رضي الله تعالى عنه... وراء قبر النبي ﷺ... وقبر عمر... رضي الله تعالى عنه... أسفل منه...
وقد استدلت جماعة على فضيلة الشيخين بمجاورتها ملحده... ﷺ...

لا تَذْفِنِي مَعَهُمْ ۱۹

«عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ...
«عَنْ أَبِيهِ...
«لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ...
«أَخَذُوا فِي بَنَائِهِ...
«فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزَعُوا...
«وَوَظَّنُوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ...
«فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ...
«حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ: لَا وَاللَّهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ...
«مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ... رضي الله عنه.»

* * *

«وعَنْ هِشَامٍ... عَنْ أَبِيهِ... عَنْ عَائِشَةَ... رضي الله عنها...
«أَنَّهَا أَوْصَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ... رضي الله عنهما...
«لَا تَذْفِنِي مَعَهُمْ...
«وَاذْفِنِي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَقِيعِ...
«لَا أُرَكِّي بِهِ أَبَدًا.»

[أخرجه البخاري]

مطابقته للترجمة من حيث أن حائط مسجد النبي ﷺ... لما سقط وبدا قدم فزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ... ولم تكن إلا قدم عمر... رضي الله

تعالى عنه... دلّ هذا على قدم النبي ﷺ... وهو في القبر... والترجمة في قبر النبي ﷺ...

«لما سقط عليهم الحائط» أي حائط حجرة النبي ﷺ... والسبب في ذلك...

«كان الناس يصلون إلى القبر...

«فأمر به عمر بن عبد العزيز... فرفع حتى لا يصلي إليه أحد... فلما هدم بدت قدم بساق وركبة...

«ففرع عمر بن عبد العزيز...

«فأتاه عروة فقال: هذا ساق عمر... رضي الله تعالى عنه... وركبته... فسرّي عن عمر بن عبد العزيز...

وروي:

«كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز...

«وكان قد اشترى حجر أزواج النبي ﷺ...

«أن أهدمها ووسّع بها المسجد...

«فقع عمر في ناحية...

«ثم أمر بهدمها...

«فما رأيت باكيًا أكثر من يومئذ...

«ثم بناه كما أراد...

«فلما أن بني البيت على القبر... وهدم البيت الأول...

«ظهرت القبور الثلاثة...

«وكان الرمل الذي عليها قد انهار...

«ففرع عمر بن عبد العزيز...

«وأراد أن يقوم فيسويها بنفسه...

«فقلت له: أصلحك الله... إنك إن قمت قام الناس معك... فلو أمرت

رجالاً أن يصلحها...

«ورجوت أنه يأمرني بذلك...
 «فقال: يامزاحم - يعني مولاه - قم فأصلحها...
 «قال رجاء: فكان قبر أبي بكر عند وسط النبي... ﷺ...
 «وعمر... خلف أبي بكر... رأسه عند وسطه...»
 وفي الاكليل:
 «عن وردان... وهو الذي بنى بيت عائشة... لما سقط شقه الشرقي... في أيام عمر بن عبد العزيز...
 «وأن القدمين لما بدتا... قال سالم بن عبد الله: أيها الأمير... هذان قدما جدي وجدك عمر.»

بيت عائشة؟!

قال مالك:
 «قسم بيت عائشة...
 «قسم كان فيه القبر...
 «وقسم كان تكون فيه عائشة...
 «وبينهما حائط...
 «فكانت عائشة ربما دخلت جنب القبر (فصلا)^(١)...
 «فلما دفن عمر... رضي الله تعالى عنه... لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها.»

تطور البناء على بيت عائشة؟!

وقال عمرو بن دينار... وعبيد الله بن أبي يزيد...
 «لم يكن على عهد النبي... ﷺ... على بيت النبي... ﷺ... حائط...
 «فكان أول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب... رضي الله تعالى عنه...»

(١) (فصلا) هكذا بالأصل... والراجع (فضلت) أي أدت الصلاة.

«قال عبيد الله: كان جداره قصيرا...
ثم بناه عبد الله بن الزبير... وزاد فيه».
وفي الدرة الشمينة لابن النجار:
«سقط جدار الحجرة مما يلي موضع الجنائز في زمان عمر^(١)... رضي
الله تعالى عنه... فظهرت القبور... فما روي باكيًا أكثر من يومئذ...
«فأمر عمر بقباطي يستر بها الموضع...
«وأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس...
«فلما بدت القدمان قام عمر فرغًا...
«فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر... رضي الله تعالى عنهم... وكان
حاضرًا: أيها الأمير... لا تفزع فهما قدما جدك عمر... ضاق البيت عنه فحفر
له في الأساس...
«فقال له عمر: يابن وردان... غطّ ما رأيت... ففعل».

وفي رواية:

أن عمر أمر أبا حفصة - مولى عائشة - وناسًا معه... فبنوا الجدار... وجعلوا فيه
كوة... فلما فرغوا منه ورفعوه... دخل مزاحم - مولى عمر - فقمّ ما سقط على
القبر من التراب...

«وبنى عمر على الحجرة حاجزًا... في سقف المسجد إلى الأرض...
«وصارت الحجرة في وسطه...
«وهو على دورانها...»

الخلفاء يتنافسون؟

«فلما ولي المتوكل... أزرها بالرخام من حولها...
«فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة... في خلافة المقتضي... جدد
التأزير... وجعل قامة وبسطة... وعمل لها شبّاكًا من الصندل والأبنوس...

(١) أي عمر بن عبد العزيز.

وأداره حولها مما يلي السقف...

«ثم إن الحسن بن أبي الهيثج - صهر الصالح - وزير المصريين... عمل لها ستارة من الديق الأبيض... مرقومة بالابريسيم الأصفر والأحمر...»
«ثم جاءت من المستضيء بأمر الله... ستارة من الابريسيم البنفسجي... وعلى دوران حاماتها مرقوم... أبو بكر... وعمر... وعثمان... وعلي... رضي الله تعالى عنهم...»

«ثم شيلت تلك... ونفذت إلى مشهد علي بن أبي طالب... وعلقت هذه...»

«ثم إن الناصر لدين الله... نفذ ستارة من الابريسيم الأسود... وطرزها وحاماتها أبيض فعلمت فوق تلك...»
«ثم لما حُجَّت الجهة الخلفية عملت ستارة على شكل المذكورة ونفذتها... فعلمت...»^(١)

* * *

«في زمان الوليد بن عبد الملك» ولي الأمر بعد موت عبد الملك في سنة ست وثمانين... وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور...
«فبدت لهم قَدَمٌ» أي ظهرت...
«لا تَذِئْنِي معهم» أي مع النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... وأبي بكر وعمر...»

«وإنما قالت ذلك مع أنه بقي في البيت موضع ليس فيه أحد... خوفاً من أن يجعل لها بذلك مزية فضل...»

«عن عائشة قالت للنبي... صلى الله تعالى عليه وسلم:

«إني لا أراني إلا ساكون بعدك...»

«فتأذن لي أن أدفن إلى جانبك...»

(١) هذه الأوصاف التي أثبتها الشارح... إنما هي حتى تاريخ وفاته في سنة ٨٥٥ هجرية. وقد حدثت تطورات بعد ذلك التاريخ.

«قال: وألّى لك ذلك الموضع...
«ما فيه إلا قبري... وقبر أبي بكر وعمر... وفيه عيسى ابن مريم... عليهما
الصلاة والسلام.»
«وإدْفَنِي مع صَوَاحِبِي» أرادت بذلك بقية نساء النبي... صلى الله تعالى عليه
وسلم... المدفونات في البقيع...
«لَا أُزَكِّي به أَبَدًا» أي لَا يُتَنَّى عليّ بسببه...
فيه معنى التواضع...
كرهت عائشة أن يقال إنها مدفونة مع النبي... ﷺ...
فيكون في ذلك تعظيمًا لها!!!.

عائشة...

في خلافة أبيها...

أبي بكر الصديق...؟

ليس هناك ضرورة... تدعو إلى الحديث عن أحداث الخليفة الأول...
والد عائشة... أبي بكر... رضي الله عنه...
فهي مستفيضة ومعلومة...

وقد عاشتها عائشة... كما عاشها الصحابة والصحابيات...
تشهدا في المدينة ساعة بساعة... لا تغيب عن أخبارها...
فالخليفة هو أبوها... والأمور تجري بجوارها... حيث كانت في حجرتها
الملاصقة للمسجد... حيث تدور الأمور... وتُدبر الوقائع...

وفاة أبيها... أبي بكر؟

كانت وفاة أبي بكر... رضي الله عنه... لثمانى ليال بقين من جمادى
الآخرة... ليلة الثلاثاء... وهو ابن ثلاث وستين سنة...
وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال...
ودُفن ليلاً... وصلى عليه عمر بن الخطاب... في مسجد رسول الله...
ﷺ... وكبر عليه أربعاً...

أبو بكر يُدفن مع النبي... ﷺ...؟

وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله... ﷺ...
ودخل قبره ابنه عبد الرحمن... وعمر... وعثمان... وطلحة...
وجعل رأسه عند كتفي النبي... ﷺ...

وَأَصْقُوا لَحْدَهُ بِلَحْدِ النَّبِيِّ... ﷺ ...
وَجْعَلْ قَبْرَهُ مِثْلَ قَبْرِ النَّبِيِّ... ﷺ ... مَسْطُوحًا...
وَأَقَامَتْ عَائِشَةُ عَلَيْهِ النَّوْحُ...
فَنَهَا عَنْ الْبَكَاءِ عُمَرُ... فَأَبَيْنَ...
فَقَالَ لَهُشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ: ادْخُلْ... فَأَخْرَجَ إِلَيَّ ابْنَةَ أَبِي قُحَافَةَ...
فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ أُمُّ فُرُوءَ ابْنَةَ أَبِي قُحَافَةَ...
فَعَلَاهَا بِالْذُّرَّةِ ضَرْبَاتٍ...
فَتَفَرَّقَ النَّوْحُ حِينَ سَمِعَنَ ذَلِكَ...

أولاد أبي بكر؟

تزوج في الجاهلية... قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ... فولدت له
عبد الله وأسماء...
وتزوج أيضًا في الجاهلية أُمُّ رُومَانَ... واسمها دَعْدُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عَمِيرَةَ
الكناتية...
فولدت له عبد الرحمن... وعائشة...
وتزوج في الإسلام أسماء بنت عُمَيْسٍ... وكانت قبله عند جعفر بن أبي
طالب...
فولدت له محمد بن أبي بكر...
وتزوج أيضًا في الإسلام... حَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيَّةِ...
فولدت له بعد وفاته أُمُّ كُلْثُومٍ...

عائشة تحضر أبا بكر وهو يعالج الموت؟

قال أبو بكر بن حفص بن عمر:
لما حضرت أبا بكر الوفاة...
حضرته عائشة وهو يعالج الموت فتمثلت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فتنظر إليها كالغضبان ثم قال:
ليس كذلك... ولكن ﴿جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ
تَحِيدُ﴾...

عائشة تُنفذ وصية أبيها؟!

إني قد كنت نحلثك حائط كذا...
وفي نفسي منه شيء...
فردّيه على الميراث...
فردّته!!!
فقال: إنما هما أخواك وأختاك...
قالت: من الثانية؟... إنما هي أسماء!..
قال: ذات بطن بنت خارجة...
يعني زوجته... وكانت حاملاً... فولدت أم كلثوم بعد موته...

فإذا مت فابعثي بالجميع إلى عمر؟!

وقال لها:
أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين... لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً...
ولكنّا قد أكلنا من جريش طعامهم... ولبسنا من خشن ثيابهم...
وليس عندنا من فيء المسلمين إلّا هذا العبد... وهذا البعير... وهذه
القטיפه...
فإذا مت... فابعثي بالجميع إلى عمر...

عمر يكي؟!

فلما مات بعثته إلى عمر...

فلَمَّا رآه بكى... حتى سالت دموعه إلى الأرض...
وجعل يقول: رحم الله أبا بكر!...
لقد أتعب مَنْ بعده!...
ويكرّر ذلك... وأمر برفعه...
فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله!... تسلب عيال أبي بكر عبداً
وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم؟!... فلو أمرت بردها عليهم...
فقال: لا والذي بعث محمداً... ﷺ لا يكون هذا في ولايتي... ولا
خرج أبو بكر منه... وأثقلده أنا...
وأمر أبو بكر أن يُردّ جميع ما أخذ من بيت المال لتفقتة بعد وفاته!!!.

عائشة...

في خلافة...

عمر...؟

أخرج البخاري في صحيحه...
«عن عمرو بن ميمون الأودي...
«قال: رأيت عمر بن الخطاب... رضي الله عنه... قال:
«يا عبد الله بن عمر...
«أذهب إلى أم المؤمنين عائشة... رضي الله عنها... فقل:
«يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام...
«ثم سلها أن أذن مع صاحبي...
«قالت: كنت أريد أن تنفسي... فلأؤثره اليوم على نفسي...
«فلما أقبل قال له: ما لديك؟...
«قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين...
«قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المطبج...
«فإذا قبضت فاحملوني...
«ثم سلوا...
«ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب...
«فإن أذنت لي... فأذني...
«وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين...»

[من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب الجنائز]

«مع صاحبي» أراد بصاحبيه النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... وأبا بكر...
رضي الله تعالى عنه...

«كنتُ أريده» أي كنت أريد الدفن مع صاحبيه...
«فَلَاؤُورُثَةُ» من الإيثار... يقال آثرت فلانًا على نفسي... إذا اختاره على نفسه
وفضله عليه...

«فلما أقبل» أي عبد الله بن عمر...
«ما لديك؟» أي ما عندك من الخبر...
«أذنت لك» أي عائشة... رضي الله تعالى عنها... أذنت له بالدفن مع
صاحبيه...

«من ذلك المضجع» أراد به مضجع النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم...
ومضجع أبي بكر... رضي الله تعالى عنه...
«فإذا قُبِضْتُ» على صيغة المجهول...
«ولآ» وإن لم تأذن لي...

ما يستفاد منه؟!

فيه الحرص على مجاورة الصالحين في القبور... طمعًا في إصابة الرحمة
إذا نزلت عليهم... وفي دعاء مَنْ يزورهم من أهل الخير...
وفيه أَنَّ مَنْ بعث رسولًا في حاجة مهمة... أَنَّ له أن يسأل الرسول قبل
وصوله إليه... ولا يعد ذلك من قلة الصبر... بل من الحرص على الخير...

* * *

أقول... رُبَّ قائل يقول: أهذا كل ما عندك عن حياة عائشة في عهد
عمر؟!...

وأقول: كانت خلافة عمر نحو عشر سنين ونصف...
وكانت أحداثها أحداثًا ضخمًا لا تسعها المجلدات الكثيرة...
ولكن أثبتنا هذه القطرة وحدها لأهميتها بالنسبة إلى حياة عائشة...
حيث آثرت عمر... أن يدفن في بيتها... إلى جوار صاحبيه...
قالوا في وفاة عمر:

«لم يزل يذكر الله تعالى... ويُديم الشهادة إلى أن توفي ليلة الأربعاء
لثلاث بقين من ذي الحجة... سنة ثلاث وعشرين...
«وصلّى عليه ضُهيّب...
«وَحُمِلَ إلى بيت عائشة...
«وُدُفِنَ عند النبي... وأبي بكر...
«ونزل في قبره عثمان وعليّ والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد.
«وعبد الله بن عمر...
«وكان ابن ثلاث وستين سنة وأشهر...»!!!.

عائشة...

في خلافة...

عثمان... ١٩

بريع عثمان بن عفان... بالخلافة... سنة أربع وعشرين... في المحرم
منها... لثلاث مضيئ منه...
وكان قتله لثمانى عشرة خلت... من ذى الحجة... سنة خمس وثلاثين...
يوم الجمعة...
وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة... إلا اثنى عشر يوماً...
وكان عمره اثنتين وثمانين سنة...
وقيل: تسعين سنة!!!.

عائشة تخرج إلى الحج ١٩

وكانت الفتنة الكبرى... التي انتهت بمقتل عثمان...
فأين كانت أم المؤمنين حين وقوع تلك الكارثة ١٩
كانت قد خرجت للحج...
قال الراوى:
«وخرجت عائشة إلى الحج...
«واستبعت أخاها محمداً...
فأبى...»

«فقالت: والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن...
«فقال له حنظلة الكاتب: تستبعت أم المؤمنين فلا تتبعها... وتتبع ذؤبان
العرب إلى ما لا يحل ١٩...»

«وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف...

ثم رجع حنظلة إلى الكوفة وهو يقول:

عجبتُ لما يخوضُ الناسُ فيه يرومونُ الخلافةَ أنْ تَزُولَا
ولو زالتْ لزالَ الخيرُ عنهم ولاقوا بَعْدَهَا ذُلًّا ذليلاً
وكانوا كاليهود وكالتصارى سواء كلهم ضلُّوا السبيلاً

عثمان يأمر ابن عباس أن يحج بالناس؟

«فأشرف عثمان على الناس...

«فاستدعى ابن عباس فأمره أن يحج بالناس...

«فقال: جهاد هؤلاء أحب إلي من الحج...

«فأقسم عليه...

«فانطلق...».

دم عثمان يسقط على المصحف؟

«فلَمَّا قُتِلَ... سقط من دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾...».

وكان أمرُ الله... قَدَرًا مَقْدُورًا؟

أقول: ووقع المحذور... وماجت الفتنة الكبرى كموج البحر...!

فماذا كان رأي عائشة...

أم المؤمنين فيما كان؟

ذبحتموه كما يُذبح الكبش؟

قالت عائشة:

مصصتموه مصّ الإناء... ثم قتلتموه...!

وقالت عائشة حين قُتل عثمان:
تركتموه كالثوب النقي من الدنس...
ثم قتلتموه!!!
وفي رواية:
«ثم قزبتموه... ثم ذبحتموه كما يُذبح الكبش!!!»
وقالت:
قُتل مظلوماً... لعن الله قتلته!!
هذا رأي.. أعظم سيدة في الأمة... وأحبهن إلى رسول الله... من
زوجاته...
وهو يعطيك فكرة أن الأمة رجالاً ونساء... كانت لا ترى ما رأى هؤلاء
الخوارج... قتلة عثمان...
قالت أم سليم... لما سمعت بقتل عثمان:
رحمه الله... أما أنه لم يحلبوا بعده إلا دماً!!!.

عائشة...

في خلافة...

علي... ١٩

ببيع الإمام علي... بالخلافة... يوم الجمعة... لخمس بقين من ذي
الحجة... سنة خمس وثلاثين... يوم الجمعة...
فكيف سارت الأحداث؟
وماذا كان موقف عائشة منها؟

عائشة... وطلحة... والزبير... ١٩

لم يصطدم...
خليف من الخلفاء الراشدين الأربعة... بمثل ما اصطدم به... أمير المؤمنين...
خلاف هنا وخلاف هناك...
وزلازل هنا وزلازل هناك...
ثم كانت الطامة الكبرى... أن اجتمع عليه... طلحة... والزبير... وعائشة...
فكيف كانت الأحداث؟
«فبينما هم كذلك على التجهّز لأهل الشام..
«أتاهم الخبر... عن طلحة... والزبير... وعائشة... وأهل مكة بنحو آخر...
وأنهم على الخلاف...
«فأعلم عليّ الناس ذلك...
«وأن عائشة... وطلحة... والزبير... قد سخطوا إمارته... ودعوا الناس إلى
الإصلاح...
«وقال: سأصبر ما لم أخف على جماعتكم... وأكفّ إن كفّوا... وأقتصر

على ما بلغني...
«ثم أتاه أنهم يريدون البصرة... فسرّه ذلك...
«وقال: إن الكوفة فيها رجال العرب ويوتاتهم...»!!!.

مفاجأة... من ابن عُمر؟!

«فأصبح عليّ... فقبل له: حدث الليلة حدث... هو أشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية...
«قال: وما ذاك؟...
«قالوا: خرج ابن عمر إلى الشام... فأتى السوق... وأعدّ الظهر والرجال... وأخذ لكل طريق طلابًا... وماج الناس...
فسمعت أم كلثوم... فأتت عليًا... فأخبرته الخبر...
«فطابت نفسه... وقال: انصرفوا... واللّٰه إنه عندي ثقة...
«فانصرفوا...»!!!.

واللّٰه... لأطلبن... بدمه؟!

«وكان سبب اجتماعهم بمكة... أن عائشة كانت خرجت إليها... وعثمان محصور... ثم خرجت من مكة تريد المدينة...
«فلما كانت بـسُـرِف... لقيها رجل من أحوالها... فقالت له: مهيم...
«قال: قُـتـل عثمان... وبقوا ثمانيتا...
«قالت: ثم صنعوا ماذا؟..
«قال: اجتمعوا على بيعة عليّ...
«فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه... إن تمّ الأمر لصاحبك!..
«ردّوني... ردّوني!..
«فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُـتـل واللّٰه عثمان مظلومًا... واللّٰه لأطلبن بدمه!..
بدمه!..

«فقال لها: ولم.. والله إن أول من أمال حرفه لأنت...
«قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه... وقد قلت وقالوا... وقولي الأخير خير من
قولي الأول...»!!!.

بنو أمية... يتجمعون... حول عائشة؟

«فانصرفت إلى مكة... فقصدت الحجر... فسترت فيه...
«فاجتمع الناس حولها... فقالت:
«أيها الناس... إن الغوغاء من أهل الأمصار... وأهل المياه... وعبيد أهل
المدينة... اجتمعوا على هذا الرجل... المقتول ظلماً بالأمس...
«ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه... وقد استعمل أمثالهم قبله...
«ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم... ونزع لهم عنها...
«فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً... بادروا بالعدوان... فسفكوا الدم
الحرام... واستحلوا البلد الحرام... والشهر الحرام... وأخذوا المال
الحرام...»

«والله... لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم!..
«ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه... كما يخلص
الذهب من خبثه... أو الثوب من درته... إذ ماضوه كما يماضى الثوب
بالماء... (أي يغسل)»!!!.

لقد أعلنت عائشة الثورة!!!
«فقال عبد الله بن عامر الحضرمي... وكان عامل عثمان على مكة: ها أنا أول
طالب!..»

«فكان أول مجيب...
«وتبعه بنو أمية على ذلك...
«وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة... ورفعوا رؤوسهم.
«وكان أول ما تكلموا بالحجاز... وتبعهم سعيد بن العاص... والوليد بن

عُقبه... وسائر بني أمية»...!!!.

طلحة والزبير... ينضمان... إلى عائشة؟!

«وقدم طلحة... والزبير... من المدينة...
«فلقيا عائشة... فقالت: ما وراءكما؟..
«فقالا: إِنَّا تَحَمَّلْنَا هُرَابًا مِنَ الْمَدِينَةِ... مِنْ غَوْغَاءٍ وَأَغْرَاب...
وفارقنا قومًا حيارى... لا يعرفون حقًا... ولا يُنكرون باطلاً... ولا يمنعون
أنفسهم...
«فقالت: انضهوا إلى هذه الغوغاء...
«فقالوا: نأتي الشام...
«فقال ابن عامر: قد كفاكم الشام معاوية... فأتوا البصرة... فإن لي بها
صنائع... ولهم في طلحة هوى...
«قالوا: قُبْحَكَ اللَّهُ!.. فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب... فهلا أقمت
كما أقام معاوية فتكفي بك... ثم نأتي الكوفة فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهب؟..
«فاستقام الرأي على البصرة...
«فأجابتهم إلى ذلك...»!!!.

مَنْ أَرَادَ... ثَارَ عَثْمَانُ... فليأتِ؟!

«ونادى مناديه: إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ... وطلحة... والزبير... شاخصون إلى
البصرة...
«فمن أَرَادَ إِعْزَازَ الْإِسْلَامِ... وَقِتَالَ الْمُحَلِّينَ... وَالطَّلَبَ بِثَارِ عَثْمَانَ...
وليس له مركب وجهاز فليأتِ...
«فحملوا ستمائة على ستمائة بعير... وساروا في ألف...
«ولحقهم الناس... فكانوا في ثلاثة آلاف رجل...»

يوم النحيب؟!

«وخرجت عائشة ومن معها من مكة...
«وتبعها أمهات المؤمنين... إلى ذات عرق... فبكوا على الإسلام...
«فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم... فكان يسمى يوم
النحيب...»!!!

قتل عثمان... أهون من خروجك من بيتك؟!

«فارتحلوا نحو البصرة...
«فأقبلت عائشة فيمن معها... حتى انتهوا إلى المرتد... فدخلوا من أعلاه...
ووقفوا حتى خرج عثمان من حُنيف فيمن معه... وخرج إليها من أهل البصرة من
أراد أن يكون معها...
«فتكلمت عائشة... وكانت جَهْوَريّة الصوت... وقالت:
«كان الناس يتجئون على عثمان... ويُزرون على عماله... ويأتوننا بالمدينة
فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم...
«فننظر في ذلك فنجده بريئًا تقيًا وقيًا... ونجدهم فجرة غدرّة كذبة... وهم
يحاولون غير ما يُظهرون...
«فلما قوا كاثروه... واقتحموا عليه داره...
«واستحلوا الدم الحرام... والشهر الحرام... والبلد الحرام... بلا يرة ولا
عذر...
«ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره... أخذ قتلة عثمان... وإقامة كتاب
الله...»

فافترق أصحاب عثمان فرقتين... فرقة قالت: صدقت وبرت... وقال الآخرون:
كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به...
«وأقبل جارية بن قدامة وقال: يا أم المؤمنين... والله لقتل عثمان... أهون

من خروجك من بيتك... على هذا الجمل الملعون... عرضة للسلاح!
«إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة... فهتك سترك... وأباحت حرمتك!...
«إنه من رأى قتالك يرى قتلك!..
«لئن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك... وإن كنت أتيتنا مكرهة
فاستعيني بالناس...»!!!.

ثورة شاب... على طلحة... والزبير!

«وخرج غلام شاب... من بني سعد... إلى طلحة والزبير... فقال:
«أما أنت يا زبير... فحواري رسول الله... ﷺ...
«وأما أنت يا طلحة... فوقيت رسول الله... ﷺ... بيدك...
«وأرى أئكما معكما... فهل جئتما بنسائكما؟..
«قالا: لا...
«قال: فما أنا منكم في شيء... واعتزل...»!!!.
وهذا الشاب يمثل تمزق الشباب البريء... مما يرى من أفعال الشيوخ
وأخطائهم!!!.
ثم ماذا؟.. ثم إلى أي مصير... انتهت هذه الأمور؟..
«ونادي منادي طلحة والزبير: من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة.. فليأتنا
بهم... فجيء بهم...
«فقتلوا^(١)... ولم ينبج منهم... إلا حرقوص بن زهير...
«وأقام طلحة والزبير... وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا... وصاروا إليه...
«وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة... بما كان منهم... وتأمرهم أن يشبطوا الناس
عن علي... وتحثهم على طلب قتلة عثمان...
«وكتبت إلى أهل اليمامة... وإلى أهل المدينة... بما كان منهم أيضا... وسيّرت
الكتب!!!»..

(١) سيأتي فيما بعد... أنهم قتلوا منهم ستمائة رجل...

ألا ألف فارس... أسير بهم إلى علي... ١٢

أخطبوط الفتنة... يهصر بأذرع الجهنمية فحول الرجال... فلا يصرون أين الحق من الأمور!!!.

«وبائع أهل البصرة... طلحة والزيبر...»

«فلما بايعوهما... قال الزيبر: ألا ألف فارس... أسير بهم إلى علي... أقتله...»

بياتًا أو صباحًا... قبل أن يصل إلينا؟..

«فلم يجبه أحد...»

«فقال: إن هذه للفتنة... التي كنا نُحدث عنها...»

«فقال له مولاه: أتسميها فتنة... وتقاتل فيها؟..»

«قال: ويلك!.. إنا نُبَصِّر... ولا نُبْصِر...»

«ما كان أمر قط إلّا وأنا أعلم موضع قدمي فيه... غير هذا الأمر... فإني لا أدري

أقبل أنا فيه أم مدبر؟...»

«وقال علقمة بن وقاص الليثي: لما خرج طلحة والزيبر وعائشة...»

«رأيت طلحة... وأحب المجالس إليه أخلاها... وهو ضارب بلحيته على

صدره...»

«فقلت: يا أبا محمد... أرى أحب المجالس إليك أخلاها... وأنت ضارب

بلحيتك على صدرك... إن كرهت شيئًا فاجلس...»

«فقال لي: يا علقمة... بينا نحن يد واحدة على من سوانا... إذ صرنا

جبلين من حديد... يطلب بعضنا بعضًا...»!!!.

ها هما عملاقان... من عمالقة الحق...

كلاهما مبشر بالجنة...

الزيبر يقول: لا أدري... أقبل أنا... أم مدبر؟!!!...

وطلحة يقول: بينا نحن يد واحدة... إذ صرنا... يطلب بعضنا بعضًا ١١٩

أخطبوط رهيب عجيب...

الكل يضطرب بين أذرع... لا يعرف كيف الخلاص!!!.

معركة...

الجميل...؟!

قال الراوي:

«... مسير عليّ... إلى البصرة... والوقعة...
«قد ذكرنا فيما تقدّم... تجهز عليّ إلى الشام...
«فبينما هو على ذلك... أتاه الخبر... عن طلحة والزبير وعائشة... من مكة بما
عزموا عليه...
«فلما بلغه ذلك... دعا وجوه أهل المدينة... وخطبهم...
«إن آخر هذا الأمر... لا يصلح إلّا بما صلح به أوله...
«فانصروا الله ينصركم... ويصلح لكم أمركم...
«فتأقّلوا...
«فلما أراد عليّ... المسير إلى البصرة... وكان يرجو أن يدرك طلحة والزبير...
فيردهما قبل وصولهما إلى البصرة... أو يوقع بهما...
«وسار عليّ من المدينة... في تعبته التي تعبّتها لأهل الشام... آخر شهر
ربيع الآخر... سنة ست وثلاثين...
«وسار حتى انتهى إلى الربرة...
«فلما انتهى إليها أتاه خبر سبقهم...
«فأقام بها... يأتمر ما يفعل...»!!!
فما معنى هذا؟!...
معناه أن عليّاً كان يعدّ العدة للشام... إلى معاوية...
فلما فاجأته أحداث طلحة والزبير وعائشة... اضطر أن يبدأ بهم!!!.

الحسن... يشير على... أبيه؟!

«وأناه ابنه الحسن... في الطريق... فقال له:
«لقد أمرتك فعصيتني... فقتل غداً... بمضيعة... لا ناصر لك...
«فقال له علي: إنك لا تزال تخنّ خنين الجارية... وما الذي أمرتني
فعصيتك؟!...»

«قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة... فقتل ولست بها...
«ثم أمرتك يوم قُتل... أن لا تبائع حتى تأتيك وفود العرب... وبيعة أهل كلّ
مصر... فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك... فأبيت عليّ...
«وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان... أن تجلس في بيتك...
حتى يصطلحوا... فإن كان الفساد كان على يد غيرك... فعصيتني في ذلك كله...
فقال: أي بُني!..»

«أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان... فوالله لقد أحيط
بنا كما أحيط به...»

«وأما قولك: لا تبائع حتى يبائع أهل الأمصار... فإن الأمر أمر أهل
المدينة... وكرهنا أن يضيع هذا الأمر... ولقد مات رسول الله... ﷺ...
وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني... فبايع الناس أبا بكر الصديق فبايعته...
ثم إن أبا بكر انتقل إلى رحمة الله... وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني...
فبايع الناس عمر فبايعته... ثم إن عمر انتقل إلى رحمة الله... وما أرى أحداً
أحق بهذا الأمر مني... فجعلني سهماً من ستة أسهم... فبايع الناس عثمان
فبايعته...»

«ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه... وبايعوني طائعين غير مكرهين...
«فأنا مقاتل من خالفني بمن أطاعني... حتى يحكم الله... وهو خير
الحاكمين...»

«وأما قولك أن أجلس في بيتي... حين خرج طلحة والزبير... فكيف لي
بما قد لزممني... أو من تريدني؟..»

«أتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوبها حتى تخرج؟...»
«وإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعينني فمن ينظر فيه؟...»
«فكفّ عنك يا بُني...»
حوار سياسي... على أعلى مستوى...
الحسن يرى رأيا...
وعلي... يبين له ما خفي عليه من الأمور...»

أين تذهب بنا؟

«ولمّا قدم عليّ الرّبذة... وسمع بها خبر القوم...»
«أرسل منها إلى الكوفة... محمد بن أبي بكر الصديق... ومحمد بن جعفر...»
وكتب إليهم:
«إني اخترتكم على الأمصار... وفزعث إليكم لما حدث...»
«فكونوا لدين الله أعوانًا وأنصارًا... والنهضوا إلينا...»
«فالإصلاح نريد... لتعود هذه الأمة إخوانًا...»
«فمضيا... وبقي عليّ بالرّبذة...»
«وقام في الناس فخطبهم:
«إن الله تبارك وتعالى... أعزّنا بالإسلام... ورفعنا به وجعلنا به إخوانًا...»
بعد ذلة وقلة... وتباغض وتباعدا...
«فجرى الناس على ذلك ما شاء الله... الإسلام دينهم... والحق فيهم...»
والكتاب إمامهم...
«حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نرغهم الشيطان.. لينزغ بين هذه الأمة...»
«ألا إن هذه الأمة لا بدّ مفترقة... كما افترقت الأمم قبلها...»
«فنعوذ بالله من شر ما هو كائن...»

«ثم عاد ثانية... وقال:

«إنه لا بدّ مما هو كائن أن يكون...»

«ألا وإن هذه الأمة ستفترق... على ثلاث وسبعين فرقة...»

«شرّها فرقة تتحلني... ولا تعمل بعلمي...»

«وقد أدركتم ورأيتم... فالزموا دينكم... واهدوا بهديي... فإنه هدى

نبيكم... واتبعوا سنته... وأعرضوا عما أشكل عليكم... حتى تعرضوه على

القرآن... فما عرفه القرآن فالزموه... وما أنكره فردّوه...»

«وارضوا بالله ربّا وبالإسلام دينًا... ومحمد نبيًا... وبالقرآن حكمًا

وإمامًا...»¹¹¹.

إن أمير المؤمنين... يعلم ما سوف يكون من افتراق...»

إنه ناموس حتمي... يسري على كل أمة...»

ثم ماذا؟...

«فلما أراد المسير من الربذة إلى البصرة...»

«قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين... أيّ شيء تريد... وأين

تذهب بنا؟..»

«فقال: أما الذي لريد وننوي... فالإصلاح... إن قبلوا متًا... وأجابونا إليه...»

«قال: فإن لم يجيبونا إليه؟..»

«قال: ندعهم بعذرهم... ونعطيهم الحق ونصبر...»

«قال: فإن لم يرضوا؟..»

«قال: ندعهم ما تركونا...»

«قال: فإن لم يتركونا؟..»

«قال: امتنعنا منهم...»

«قال: فنعلم إذا...»

«وسار عليّ... من الربذة...»

«وأقام بلدي قار... ينتظر...»¹¹¹.

لا نقاتل أحدا... حتى نفرغ من قتلة عثمان؟!

«وأما محمد بن أبي بكر... ومحمد بن جعفر... فأتيا أبا موسى بكتاب علي...
وقاما في الناس بأمره...

«فلم يجابا إلى شيء...»

«فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجى على أبي موسى فقالوا: ما ترى في
الخروج؟..»

«فقال: كان الرأي بالأمس ليس اليوم...»

«إن الذي تهاونتم به فيما مضى... هو الذي جرّ عليكم ما ترون...»

«لما هما أمران: القعود سبيل الآخرة... والخروج سبيل الدنيا...
فاختاروا...»

«فلم ينفر إليه أحد...»

«فغضب محمد ومحمد... وأغلظا لأبي موسى...»

«فقال لهما: والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما...»

«فإن لم يكن بدّ من قتال... لا نقاتل أحدا... حتى نفرغ من قتلة عثمان...
حيث كانوا...»

«فانطلقا إلى علي فأخبراه الخبر... وهو بلدي قار...»!!!

«إن أبا موسى... أمير الكوفة.. يرفض الاستجابة لسفير علي... ويرفض القتال مع
علي... ويرى الفراغ أولاً من قتلة عثمان حيث كانوا...»

«يرى تعقب الثوار في كل مكان... من أنحاء الدولة أولاً وقتلهم... وهو ما رآه
طلحة والزبير وعائشة...»

«هذا أولاً... وقبل كل شيء!!!»

سفيران آخران؟!

«فقال للأشتر... وكان معه...»

«اذهب أنت وابن عباس... فأصلح ما أفسدت...
فخرجنا... فقدمنا الكوفة... فكلّمنا أبو موسى... واستعانا عليه ينفر من أهل
الكوفة...»

«فقام لهم أبو موسى وخطبهم:
«أيها الناس... إن أصحاب النبي... ﷺ... الذي صحبوه أعلم بالله
وبرسوله ممن لم يصحبه...»

«وإن لكم علينا لحقاً... وأنا مؤدّ إليكم نصيحة...
«كان الرأي أن لا تستخفوا بسلطان الله... وأن لا تجترئوا على الله...
وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة... فتردوهم إليها... حتى يجتمعوا...
فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة...»

وهذه فتنة صماء... النائم فيها خير من اليقظان... واليقظان خير من القاعد...
والقاعد خير من القائم... والقائم خير من الراكب... والراكب خير من الساعي...
«فكونوا جرثومة من جراثيم العرب... فأغمدوا السيوف... وانصلوا الأسنة...
واقطعوا الأوتار... وآووا المظلوم والمضطهد... حتى يلثم هذا الأمر... وتنجلي
هذه الفتنة...»

«فرجع ابن عباس والأشتر... إلي علي... فأخبراه الخبر...»
ما زال رأي أبي موسى... أمير الكوفة... كما هو... بل هو ينصح بالحياد...
حتى تتفق الأمة... وتنجلي هذه الفتنة...»

سفارة ثالثة... إلى الكوفة ١٢

«فأرسل ابنه الحسن... وعمّار بن ياسر...
«وقال لعمّار: انطلق فأصلح ما أفسدت...
«فأقبلا حتى دخلا المسجد...
«فخرج أبو موسى... فلقى الحسن... فضمه إليه...
«وأقبل على عمّار فقال: يا أبا اليقظان أعدّوت على أمير المؤمنين فيمن عدا

فأحللت نفسك مع الفُجَّار؟..

«فقال: لم أفعل ولم يسؤني.

«فقطع الحسن عليهما الكلام... وأقبل على أبي موسى فقال له: لِمَ تشيط الناس عنا؟.. فوالله ما أردنا إلا الإصلاح... ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء...»

«فقال: صدقت بأبي أنت وأمي... ولكن المستشار مؤتمن...»

«سمعتُ رسول الله... ﷺ يقول: إنها ستكون فتنة... القاعد فيها خير من القائم... والقائم خير من الماشي... والماشي خير من الراكب...»

«وقد جعلنا الله إخواناً... وقد حرّم علينا دماءنا وأموالنا...!!!»

فاختلف الناس... وتراسقوا التهم!!!.

الكوفة... تستجيب؟!

«فقام القعقاع بن عمرو... فقال:

«أما ما قال الأمير فهو الحق... لو أن إليه سبيلاً...»

«والقول الذي هو الحق... أنه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس.. وترع الظالم... وتعزّ المظلوم...»

«وهذا أمير المؤمنين... ولي بما ولي... وقد أنصف في الدعاء...»

«وانما يدعو إلى الإصلاح... فالفروا... وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع...!!!»

هذا هو رأي القعقاع... وهو ما هو... لا بدّ من إمارة تنظّم الناس...

فيجب الاستجابة لدعوته ونصرته!!!.

«وقال عبد الخير: يا أبا موسى... هل بايع طلحة والزبير؟..»

«قال: نعم...»

«قال: هل أحدث علي... ما يحلّ به نقض بيعته؟..»

«قال: لا أدري...»

«قال: لا دريت... نحن نتركك حتى تدري...»

«هل تعلم أحدًا خارجًا من هذه الفتنة؟..
«إنما الناس أربع فرق:
«عليّ يظهر الكوفة..
«وطلحة والزبير بالبصرة...
«ومعاوية بالشام...
«وفرقة بالحجاز لا غناء بها... ولا يقاتل بها عدوّ...
«فقال أبو موسى: أولئك خير الناس... وهي فتنة...
«فقال عبد الخير: غلب عليك غشك يا أبا موسى!..
«فقال سبحان بن صوحان: أيها الناس... لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من
وال... يدفع الظالم ويعزّ المظلوم... ويجمع الناس...
«وهذا واليكم يدعوكم لتتظروا فيما بينه وبين صاحبيه...
«وهو المأمون على الأمة... الفقيه في الدين...
«فمن نهض إليه... فلأنا سائرون معه...
«وقام الحسن بن عليّ... فقال:
«أيها الناس... أجيئوا دعوة أميركم... وسيروا إلى إخوانكم... فإنه سيوجد
لهذا الأمر من ينفر إليه...
«ووالله لأن يليه أولو التهي... أمثل في العاجل والآجل... وخير في
العاقبة...
«فأجيئوا دعوتنا... وأعينونا على ما ابئلنا به وابتليتم...
«وإن أمير المؤمنين يقول:
«قد خرجت مخرجي هذا ظالمًا أو مظلومًا...
«وإني أذكر الله رجلاً رعى حقّ الله إلّا نفر...
«فإن كنت مظلومًا أعانني... وإن كنت ظالمًا أخذ مني...
«والله إن طلحة والزبير أول من بايعني... وأول من غدر... فهل استأثرت
بمال أو بدلت حكمًا؟..

«فانفروا فمروا بالمعروف... وانهوا عن المنكر...
«فسامح إلى هذا الناس... وأجابوا... ورضوا...
«فقال الحسن: أيها الناس... إني غاي... فمن شاء منكم أن يخرج معي...
«فنفر معه... قريب من تسعة آلاف...
«وقيل: إن عدد من سار من الكوفة... اثنا عشر ألف رجل ورجل...
«قال أبو الطفيل: سمعتُ عليًا يقول ذلك قبل وصولهم...
«فقدت فأحصيتهم... فما زادوا رجلاً... ولا نقصوا رجلاً...»¹¹.

مرحباً... بأهل الكوفة؟!

«فقدموا على أمير المؤمنين... بذي قار...
«فلقيهم في ناس معه... فيهم ابن عباس... فرحب بهم... وقال:
«يا أهل الكوفة... أنتم قاتلتُم ملوك العجم... وفضضتم جموعهم... حتى
صارت إليكم موارثهم... فمنعتم حوزتكم... وأعنتم الناس على عدوهم...
«وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة...
«فإن يرجعوا فذاك الذي نريد...
«وإن يلجؤا ذاويتناهم بالرفق... حتى يبدأونا بظلم...
«ولم ندع أمراً في صلاح إلا آثرناه... على ما فيه الفساد إن شاء الله...
«واجتمعوا عنده بذي قار...»¹¹¹.
أمير المؤمنين... يسط الخطوط العريضة من سياسته الرشيدة...
وعلى الفور... بدأ التنفيذ...

علي... يرسل... القعقاع؟!

«فلما نزلوا بذي قار...
«دعا علي القعقاع... فأرسله إلى أهل البصرة... وقال:
«القي هذين الرجلين...»

«وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ...
«فادعُهما إلى الألفة والجماعة...
«وعظّم عليهما الفرقة...
«وقال له: كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك في وصاة مني؟...
«قال: نلقاهم بالذي أمرت به... فإذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا رأينا... وكلمناهم كما نسمع ونرى أنه ينبغي...
«قال: أنت لها...» III.

القعقاع... يحاور الثلاثة؟!

«فخرج القعقاع... حتى قدم البصرة...
«فبدأ بعائشة... فسلم عليها... وقال:
«أي أمه... ما أشخصك... وما أقدمك هذه البلدة؟..
«قالت: أي بُني... الإصلاح بين الناس...
«قال: فابعثي إلى طلحة والزبير... حتى تسمعي كلامي وكلامهما...
«فبعثت إليهما... فجاءا...
«فقال لهما: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها... فقالت الإصلاح بين الناس...
«فما تقولان أنتما... أمتابعان أم مخالفان؟..
«قالا: متابعان...
«قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟... فوالله لئن عرفناه لئصلحن.. ولئن أنكرناه لا نصلح...
«قالا: قتلة عثمان... فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن...

«قال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة... وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم... قتلتم ستمائة رجل... فغضب لهم ستة آلاف... واعتزلوكم... وخرجوا من بين أظهركم... وطلبتهم حرقوص بن زهير فمنعه ستة

آلاف... فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون... وإن قاتلتهم والذين
اعتزلوكم فأدبلوا عليكم فالذي حذرتهم... وقويتهم به هذا الأمر أعظم مما أراكم
تكرهون... وإن أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم
وخذلانكم تُصرة لهؤلاء... كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب
الكبير...!!!

الفريقان... يميلان... إلى الصلح؟!

«قالت عائشة: فماذا تقول أنت؟..
«قال: أقول: إن هذا الأمر دواؤه التسكين... فإذا سكن اختلجوا...
«فإن أنتم بايعتمونا... فعلامة خير... وتباشير رحمة... ودرك بئار...
«وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه... كانت علامة شرّ وذهاب هذا
المال...»

«فأثروا العافية تُرزقوها...
«وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم...
«ولا تعرضونا للبلاء... فتعرضوا له... فيصرعنا وإياكم...
«وأيم الله... إني لأقول هذا القول وأدعوكم إليه!... وإني لخائف أن لا يتم حتى
يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها... ونزل بها ما نزل...
«فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يُقدّر...
«وليس كقتل الرجل الرجل... ولا النفر الرجل... ولا القبيلة الرجل...
«قالوا: قد أصبت وأحسنّت... فأرجع... فإن قدم عليّ وهو على مثل
رأيتك... صلح هذا الأمر...»

«فرجع إلى عليّ... فأخبره... فأعجبه ذلك...
«وأشرف القوم على الصلح...
«ولا يخطر لهم قتالهم على بال...!!!»
«إن كلام القعقاع هنا... كلام نفيس... لا يصدر إلا من رجل خبير بالحرب

والسياسة... إنه ينبههم أن الذي حدث يعتبر ثورة... شارك فيها... أقلية من أقطار
عديدة...

ومحاولة قتل هؤلاء جميعًا... أمر يؤدي إلى زيادة اشتعال الثورة... لأنهم ليسوا
مجرد أفراد... وإنما هم يمثلون اتجاهات عريضة في الأمة...
فقتلهم يؤدي إلى زيادة انفجارات القوى الثائرة!!!
رأي عظيم... من قائد مجرب عظيم...
كان له الأثر العميق في تفكير الطرفين!!!

مؤامرة... يدبرها الثوار... سرًا!

فلما أحس قتلة عثمان... أن المعسكرين أوشكوا على الصلح... رعبوا واجتمعوا
يتناقشون ماذا يفعلون؟..
فلو وقع الصلح بين الطرفين المتنازعين كان هذا معناه أنهم سيتفقدون على
قتلهم... ثأرًا لعثمان...
قال الراوي:

«فاجتمع نفر منهم... فتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟..
«وهذا عليّ... وهو والله أبصر بكتاب الله... ممن يطلب قتلة عثمان...
وأقرب إلى العمل بذلك... وهو يقول ما يقول... ولم ينفر إليه سواهم والقليل
من غيرهم... فكيف به إذا شام القوم وشاقوه... ورأوا قتلنا في كثرتهم...
وأنتم والله تراءدون وما أنتم بالحي من شيء!..
«فقال الأشر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا... وأما عليّ فلم نعرف رأيه إلى
اليوم... ورأي الناس فينا واحد... فإن يصطلحوا مع عليّ فعلى دمائنا...
«فهلّموا بنا نثب على عليّ... فنلحقه بعثمان... فتعود فتنة يُرضى منا فيها
بالسكون...»!!!

هكذا بلغ تفكير الثوار!.. يُقتل عليّ كذلك... لينشغلوا به عنهم!
«فقال عبد الله بن السوداء: بمس الرأي رأيت... أنتم يا قتلة عثمان بذي قار...»

ألفان وخمسمائة... وهذا طلحة وأصحابه في نحو خمسة آلاف... إلى أن يجدوا إلى قتالكم سيلاً...»!!!.

وما زالوا يتداولون أمرهم... حتى انتهوا إلى قرار خطير...
«يا قوم إن عزكم في خلطة الناس... فإذا التقى الناس غدا... فأنشبوا القتال... ولا تفرغوهم للنظر...»

«ويشغل الله عليًا وطلحة والزبير... ومن رأى رأيهم عما تكرهون...
«فأبصروا الرأي... وتفرقوا عليه... والناس لا يشعرون...»!!!.
هذه هي المؤامرة التي دبرها قتلة عثمان... دفاعًا عن أنفسهم... أن يشعلوا الحرب... فينشغل الناس عنهم!!!.

علي... وطلحة... والزبير... يحاور بعضهم بعضًا؟!

«فلما تراءى الجمعان... خرج الزبير على فرس عليه سلاح...
«فقال لعلي: هذا الزبير...
«فقال: أما إنه أحرى الرجلين... إن دُكر بالله تعالى أن يذكر...
«وخرج طلحة... فخرج إليهما علي... حتى اختلفت أعناق دوابهم...
«فقال علي: لعمرى... قد أعددتما سلاحًا وخيلًا ورجالًا... إن كنتما أعددتما عند الله عذرًا... فأتقيا الله ولا تكونا ﴿كَالَّذِي نَفَقَظْتَ عُزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾...
«ألم أكن أخاكما في دينكما... تحرقان دمي... وأحرّم دمكما... فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟..
«قال طلحة: ألبت على عثمان...
«قال علي: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾...
«يا طلحة... تطلب بدم عثمان... فلن الله قتلة عثمان!..
«يا طلحة... أجهت بعزّ رسول الله... ﴿ﷺ﴾... تقاتل بها... وخيأت عِزّك في البيت؟!..»

«أما بايعتني؟»

«قال: بايعتك والسيف على عنقي...»

«فقال عليّ للزبير: يا زبير... ما أخرجك؟»

«قال: أنت... ولا أراك لهذا الأمر أهلاً... ولا أولى به منّا...»

«فقال له عليّ: ألسنتك له أهلاً بعد عثمان؟»

«قد كنتا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنتك ابن السوء ففرّق بيننا...»

«وذكره أشياء... وقال له:

«تذكر يوم مررت مع رسول الله... في بني غنم... فنظر إليّ

فضحك وضحكت إليه... فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه... فقال لك

رسول الله... ليس به زهو... لتقاتلنه وأنت ظالم له...»

«قال: اللهم نعم... ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا... والله لا أقاتلك أبداً...»

«فانصرف عليّ إلى أصحابه فقال:

«أما الزبير... فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم...»

شيء رائع... أن يرجع الزبير عن قتال أخيه... وموقف منه محمود!!

خشيت رايات... ابن أبي طالب... فجئت؟!

«ورجع الزبير إلى عائشة... فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا

أعرف فيه أمري غير موطني هذا...»

«قالت: فما تريد أن تصنع؟»

«قال: أريد أن أدعهم وأذهب...»

«قال له ابنه عبد الله: جمعت بين هذين العارين... حتى إذا حدّد بعضهم

لبعض... أردت أن تتركهم وتذهب... لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب...»

وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد... وأن تحتها الموت الأحمر فجئت...»

«فأحفظه ذلك... وقال: إني حلفت أن لا أقاتله...»

«قال: كفّ عن يمينك... وقَاتِلْهُ...»

«فأعنتى غلامه مكحولاً...»!!!
وأفسد عبدالله... على الزبير اتجاهه... وردّه عن اتفائه مع عليّ!!!.

الثّوار... يشعلون... النار؟!

«ولما خرج طلحة والزبير...
«نزلت مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح...
«ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكّون في الصلح...
«ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكّون في الصلح...
«وعائشة في الحُدّان... والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء... وهم ثلاثون ألفاً...
«وردّوا حكيمًا ومالكًا إلى عليّ... إنّنا على ما فارقنا عليه القعقاع...
«ونزل عليّ بحيالهم...
«فنزلت مضر إلى مضر...
«وربيعة إلى ربيعة...
«واليمن إلى اليمن...
«فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلّا الصلح...
«وكان أصحاب عليّ عشرين ألفاً...
«وخرج عليّ وطلحة والزبير... فتوافقوا...
«فلم يروا أمرًا أمثل من الصلح ووضع الحرب...
«فافترقوا على ذلك...
«فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها... والصلح...»!!!
هذا هو الجوّ الذي كان سائدًا بين المعسكرين... أخوة... ورغبة في الصلح...!!!
وهذا شيء لا يريده قتلة عثمان...
فتحركوا سريعًا... ونفّذوا جريمتهم الخبيثة... فماذا فعلوا؟!
«وبات الذين أثاروا أمر عثمان... بشرّ ليلة... وقد أشرفوا على الهلكة...»

«وباتوا يتشاورون...
«فاجتمعوا على إنشأب الحرب...
«فَعَدُّوا مع القُلُس... وما يشعر بهم...
«فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة...
«فقصد مضرهم إلى مضرهم...
«وربعتهم إلى ربعتهم...
«ويمنهم إلى يمنهم...
«فوضعوا فيهم السلاح...
«فثار أهل البصرة...
«وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم...»!!!
ونجح قتلة عثمان في مخططهم... وأشعلوا الحرب بين الجميع!!!

عليّ يقول: ما هذا؟!

«وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة... وهم ربيعة... أميرًا عليها... عبد الرحمن بن
الحرث...
«وإلى الميسرة... عبد الرحمن بن عتاب...
«وثبتا في القلب... وقالا: ما هذا؟!..
«قالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً...
«فقالا: قد علمنا أن عليًا غير منته حتى يسفك الدماء... وأنه لن يطاوعنا...
«فسمع عليّ... وأهل الكوفة... الصوت...
«وقد وضع السبئية^(١)... رجلًا قريبًا منه... يخبره بما يريد...
«فلما قال عليّ: ما هذا؟..
«قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلا وقوم منهم قد بيتونا... فرددناهم فوجدنا القوم
على رجل... فركبونا... وثار الناس...»

(١) أتباع عبد الله بن سبأ...

«فأرسل عليّ... صاحب الميمنة إلى الميمنة... وصاحب الميسر إلى الميسرة
وقال:

«لقد علمتُ أن طلحة والزبير... غير منتهين حتى يسفكا الدماء... وألهما
لن يطاوعانا... والسبئية لا تفتر إنشابة...
«ونادى عليّ في الناس: كفّوا فلا شيء...
إلا أن النار كانت قد اشتعلت... ولم يبق إلا أن تضطرم!!!

المعركة ١٩

ونجح قتلة عثمان في تدميرهم... والتحم الفريقان...
وقتل المسلمون... المسلمين...
وكان أمر الله... قدراً مقدوراً!!!
ولني أمسك عن سرد تفاصيل المعركة... رحمة بأعصاب الناس... حتى لا
يفتنوا...

فإن القوم قاتل بعضهم بعضاً... كأعنف ما يكون القتال...
وقاتلوا بين يدي جمل عائشة... وسقط الألوف من القتلى من الفريقين...
لماذا كل هذا...!!؟...
لا أدري... ولا أحد يدري... ولا حتى قادة المعركة يدرون...!!؟...
وليك قطرات مما أورده الراوي عن تلك المعركة.
«وأقبل كعب بن سور... حتى أتى عائشة فقال: أدركي فقد أبى القوم إلا
القتال... لعلّ الله أن يصلح بك...
فركبت... وألبسوا هودجها الأذراع...
«فلما برزت من البيوت... وهي على الجمل... بحيث تسمع الغوغاء...
وقفت...

«واقنتل الناس...
«وبينما عائشة واقفة... إذ سمعت ضجة شديدة... فقالت: ما هذا؟..

«قالوا: ضجّة العسكر...
«قالت: بخير أو بشر...
«قالوا: بشر...
«فما فجأها إلّا الهزيمة...»¹¹¹
يكفي هذا عن المعركة... لأن ذكر تفاصيلها يسوء كل مؤمن ومؤمنة¹¹²
وقُتل.. الزبير¹¹³
وقُتل.. طلحة¹¹⁴
في أي شيء قُتلا؟.. الله أعلم¹¹⁵
قال الراوي:
«ما رأيث مثل يوم الجمل...
«ما ينهزم متًا أحد...
«وما نحن إلّا كالجبل الأسود...
«وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلّا قُتل...
«حتى ضاع الخطام...
«ونادى عليّ: اعقروا الجمل... فإنه إن عُقر تفرقوا...
«فضربه رجل فسقط...»¹¹⁶
ماذا كان حصاد... هذه المعركة¹¹⁷
«وكان جميع القتلى... عشرة آلاف...
«نصفهم من أصحاب عليّ...
«ونصفهم من أصحاب عائشة...»¹¹⁸
عشرة آلاف قتيل... من خيرة فرسان الإسلام...
قُتل بعضهم بسيف بعض¹¹⁹
فأي فتنة... كانت تلكم الفتنة¹²⁰.

أمير المؤمنين عليّ...

يكرّم...

أم المؤمنين عائشة...!؟

قال الراوي:

«فلما انهزموا أمر عليّ منادياً فنادى:

«ألا لا تتبعوا مدبراً...»

«ولا تجهزوا على جريح...»

«ولا تدخلوا الدور...»!!!

هذه أخلاق عليّ العليا... ما دام الغرض قد تحقق.. فينبغي معاملتهم كإخوة...
من فرّ منهم فتركوه.. ومن كان جريحاً فدعوه... ومن هرب إلى الدور فلا
تتعبوه!!!

أخلاق رفيعة... لا يفهمها أكثر الناس!!!.

ماذا صنع بأُم المؤمنين... عائشة... رضي الله عنها!؟...

«وأمر عليّ نفرًا... أن يحملوا اليهودج من بين القتلى...»

«وأمر أخاها محمد بن أبي بكر... أن يضرب عليها قبة...»

«وقال: انظر... هل وصل إليها شيء من جراحة؟..»

«فأدخل رأسه في هودجها...»

«فقلت: من أنت؟..»

«فقال: أبغضُ أهلِكَ إليك...»

«قلت: ابن الخثعمية؟..»

«قال: نعم...»

«قلت:... الحمد لله الذي عافاك!..».

هل وصل إليها شيء من جراحة؟..
هل جرححت أم المؤمنين؟!..
سؤال كريم... يدل على خلق كريم!!!.

لست... لك... بأم؟!

«وقيل: لما سقط الجمل... أقبل محمد بن أبي بكر إليه... ومعه عمّار...
فاحتملا الهودج فنحياه...
«فأدخل محمد يده فيه...
«فقلت: من هذا؟...
«فقال: أخوك البتر...
«قلت: عَقَقْ!..
«قال: يا أختي... هل أصابك شيء؟..
«قلت: ما أنت وذاك؟
«قال: فمن إذا الضلال...؟
«قلت: بل الهداة...
«وقال لها عمّار: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمّاه؟..
«قلت: لست لك بأم...
«قال: بلى وإن كرهت...
«قلت: فخرتم أن ظفرتم... وأتيتم مثل الذي نقمتم...
«هيهات والله... لن يظفر من كان هذا دأبه!..»!!!.

علي... يقول لعائشة... كيف أنت يا أمّاه؟!

«فأبرزوا هودجها...
«فوضعوها ليس قريبها أحد...
«وأناها علي... فقال: كيف أنت يا أمّاه؟..

«قالت: بخير...»

«قال: يغفر الله لك...»

«قالت: ولك...»

«ثم أتى وجوه الناس عائشة... وفيهم القعقاع بن عمرو... فسلم عليها...»

«فقالت: إني رأيت بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا... ذلك تعرف كوفيتك؟..»

«قال: نعم... ذلك الذي قال: أعق أم نعلم... وكذب... إنك لأبر أم نعلم... ولكن لم تطاعي...»

«قالت: والله لوددت أنني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة...»

«وخرج من عندها... فأتى علياً...»

«فقال له علي: والله لوددت أنني مت من قبل اليوم بعشرين سنة...!!»

عائشة تقول: نفس القول الذي قاله علي...»

فما معنى هذا؟!...»

معناه أن الفتنة اضطرتهم إلى ما يكرهون..»

«وكان علي يقول ذلك اليوم... بعد الفراغ من القتال:

إليك أشكو عُجْرِي وئُجْرِي ومَعْشَرًا أَغْشَا عَلِيَّ بَصْرِي

قَتَلْتُ مِنْهُمْ مُضْرًا بِمُضْرِي شَفِيتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي

«فلما كان الليل... أدخلها أخوها... محمد بن أبي بكر... البصرة...!!»

علي... يطوف... في القتلى؟!

«فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي...»

«على صفية بنت الحرث...»

«وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلاً... فدخلوا البصرة...»

«فأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً...»

«وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي دَفْنِ مَوْتَاهُمْ... فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فَدَفَنُوهُمْ...»

«وَطَافَ عَلَيَّ... فِي الْقَتْلِ...»

«وَمَرَّ عَلَيَّ... طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ... وَهُوَ صَرِيحٌ...»

«فَقَالَ: لَهْفِي عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...»

«وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ أَرَى قَرِيشًا صَرَعِي...»

«أَنْتَ وَاللَّهُ... كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُعِدُّهُ الْفَقْرُ

«وَجَعَلَ كُلَّمَا مَرَّ بِرَجُلٍ فِيهِ خَيْرٌ قَالَ: زَعَمَ مِنْ زَعَمٍ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا إِلَّا

الْغَوَاةَ... وَهَذَا الْعَابِدُ الْمُسْتَجْتَهِدُ فِيهِمْ...»

«وَصَلَّى عَلَيَّ... عَلَى الْقَتْلِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ...»

«وَصَلَّى عَلَى قَرِيشٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ...»

«وَأَمْرٌ فَلُفُنْتُ الْأَطْرَافَ فِي قَبْرِ عَظِيمٍ...»

«وَجُمِعَ مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ شَيْءٍ... وَبُعِثَ بِهِ إِلَى مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ...»

«وَقَالَ: مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ... إِلَّا سَلَاخًا كَانَ فِي الْخِرَائِنِ عَلَيْهِ سَمَةٌ

السلطان...»!!!

هذه أخلاق علي...

صلى على جميع القتلى... مَنْ كَانَ مَعَهُ... وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ...

وتأسف على قائد المعركة ضيقه... طلحة بن عبيدالله...

ورد السلاح إلى أصحابه... مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ...

وترك الجرحى يتسللون إلى البصرة... ولم يتعقبهم... وقد كانوا ألوفا...

غاية الكرم... وغاية الرحمة!!!

الجميع... يبايعون؟!!

«ثم دخل علي... البصرة... يوم الاثنين... فبايعه أهلها على راياتهم... حتى

الجرحى والمستأمنة...

«وأمر عليّ على البصرة... ابن عباس... وولّى زيادًا على الخراج وبيت المال...»!!!

يا عليّ... يا قاتل الأُحبة؟!

«ثم راح إلى عائشة...
«وهي في دار عبد الله بن خلف... وهي أعظم دار بالبصرة...
«فوجد النساء يكنين على عبد الله... وعثمان... ابني خلف...
«وكان عبد الله قُتل مع عائشة...
«وعثمان قُتل مع عليّ...
«وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي...
«فلما رآته قالت له: يا عليّ!... يا قاتل الأُحبة... يا مفترق الجمع!..
«أيتم الله منك بنيك... كما أيتمت ولد عبد الله منه!..
«فلم يرده عليها شيئًا...»!!!
موقف عجيب...
امرأة تسبّه... وتدعو عليه... وهو أمير المؤمنين... المنتصر... ولكنه يصمت ولا يتكلم!!!
«ودخل على عائشة... فسلم عليها وقعد عندها... ثم قال:
«جهتُنا صفية... أما أتني لم أرها منذ كانت جارية...
«فلما خرج عليّ... أعادت عليه القول...
«فكفّ بغلته... وقال:
«لقد هممتُ أن أفتح هذا الباب...
«وأشار إلى باب في الدار...
«وأقتل من فيه...
«وكان فيه ناس من الجرحى... فأخبر عليّ بمكانهم... فتغافل عنهم...
فسكت...

«وكان مذهبه... أن لا يقتل مدبراً...»

«ولا يُدْفَن على جريح...»

«ولا يكشف سراً...»

«ولا يأخذ مالاً...»!!!

أعلى أخلاق... وأعلى مبادئ في حربه... مع الخارجيين عليه!!

واليك أقصوصة خالدة... تكشف شيئاً من أخلاقه الرفيعة...

«ولما خرج عليّ... من عند عائشة... قال له رجل من أزد: والله لا تغلبنا هذه

المرأة!..»

«فغضب وقال:

«مه!.. لا تهتك سترًا... ولا تدخلن دارًا... ولا تهيجن امرأة بأذى... وإن

شتمن أعراضكم... وسفهن أمراءكم وصلحاءكم..»

«فإن النساء ضعيفات...»

«ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهن وهن مشركات... فكيف إذا هنّ

مسلمات؟...»!!!

هذا رجل أخطأ... نطق نطق جاهلية... وعبر تعبيراً قبيحاً عن عائشة لا يليق...

فغضب عليّ غضباً شديداً...

وأعلن مبادئه السامية!!!

واليك ما هو أعجب...

«ومضى عليّ... فلحقه رجل... فقال له: يا أمير المؤمنين... قام رجلان على

الباب... فتناولوا من هو أمض شتمة لك... من صفية؟...»

«قال: ويحك... لعلها عائشة!..»

«قال: نعم... قال أحدهما: مجزيت عنا أمنا عقوقاً... وقال الآخر: يا أُمّي توبي

فقد أخطأت...»

«فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب...»

«فأقبل بمن كان عليه...»

«فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة... وهما: عجلان وسعد... ابنا عبد الله...
«فضربهما مائة سوط...
«وأخرجهما من ثيابهما...» III
هذه هي الأقصوصة الخالدة... عليّ يأمر بجلد الرجلين... رغم أنهما من
أنصاره... لأنهما قالوا ما قالوا لأُم المؤمنين III.

وعائشة... تدعو لهؤلاء... وهؤلاء؟

«وسألت عائشة يومئذ... عَمَّن قُتِلَ مِنَ النَّاسِ مَعَهَا... وَمِنْهُمْ عَلَيْهَا... وَالنَّاسُ
عِنْدَهَا...
«فكَلَّمَا نُسِيَّ وَاحِدًا مِنَ الْجَمِيعِ... قَالَتْ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ...
فَقِيلَ لَهَا: كَيْفَ ذَلِكَ؟...
«قَالَتْ: كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ... وَفُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ...
«وَقَالَ عَلِيٌّ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ... نَقَى قَلْبَهُ لِلَّهِ... مِنْ هَؤُلَاءِ... إِلَّا
أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ...» III.
هذا فقه عائشة...
وهذا فقه علي...
كل منهما يرجو الجنة... لِمَنْ قَتَلَ مَتَّنَ كَانَ مَعَهُ... أَوْ مَتَّنَ كَانَ عَلَيْهِ III.

أمير المؤمنين... يودّع... عائشة... أم المؤمنين؟

«ثم جهز عليّ... عائشة... بكل ما ينبغي لها من مركب... وزاد ومتاع... وغير
ذلك...
«وبعث معها كلَّ من نجا مَتَّنَ خرج معها... إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ..
«واختار لها أربعين امرأة... من نساء البصرة المعروفات...
«وسيرَ معها أخاها... محمد بن أبي بكر...
«فلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي ارْتَحَلَتْ فِيهِ...»

«أتأها عليّ... فوقف لها...
«وحضر الناس...
«فخرجت... وودعتهم وقالت:
«يا بني... لا يعتب بعضنا على بعض...
«إله والله... ما كان بيني وبين عليّ... في القديم... إلّا ما يكون بين
المرأة وبين أحماؤها...
«وإنه على معتبي لمن الأخيار...
«وقال عليّ: صدقت...
«والله... ما كان بيني وبينها إلّا ذلك... وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا
والآخرة...»^{III}.
أخلاق هؤلاء العظماء... فوق التصور...
أم المؤمنين... تثني على أمير المؤمنين...
وأمير المؤمنين... يثني على أم المؤمنين^{III}
صفاء تام... وتوقير تام... وتكريم تام^{III}
والجماهير تقف إجلالاً وتعظيمًا... لأئمتهم... وزوجة نبيهم^{III}
ولم يقف الأمر عند ذلك... بل ها هو عليّ... يأبى إلّا أن يسير مع موكبها
أميالاً... زيادة في التكريم والحفاوة^{III}.
«وخرجت يوم السبت... غرة رجب...
«وشيعها أميالاً...
«وسرّح بنيه معها... يومًا...
«فكان وجهها إلى مكة...
«فأقامت إلى الحج...
«ثم رجعت إلى المدينة...»^{III}.
غاية التكريم... وغاية التوقير^{III}
«وقال لها عمار... حيث ودّعها: ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد

إليك!...

«قالت: واللّه... إنك ما علمت... لقوّال بالحقّ...
«قال: الحمد لله... الذي قضى على لسانك لي...»!!!.

* * *

عائشة...

في عهد...

معاوية...؟

نحن في سنة أربعين...
في هذه السنة قُتل عليّ... في شهر رمضان... لسبع عشرة خلت منه...
وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر... وكان عمره ثلاثًا وستين
سنة...

بيعة الحسن بن عليّ؟

وفي هذه السنة... سنة أربعين... بُيع الحسن بن عليّ بعد قتل أبيه...

مبايعة معاوية بالخلافة؟

وفيها بُيع معاوية بالخلافة ببيت المقدس...
وكان قبل ذلك يُدعى بالأمير في بلاد الشام...
فلما قُتل عليّ... دُعي بأمير المؤمنين...
وكانت خلافة الحسن ستة أشهر...

تسليم الحسن بن عليّ الخلافة إلى معاوية؟

فلما رأى الحسن تفرّق الأمر عنه كتب إلى معاوية وذكر شروطًا...
وتسلّم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين...
ولما اصطالحا... وبايع الحسن معاوية... دخل معاوية الكوفة وبايعه
الناس...

ولحق الحسن بالمدينة... وأهل بيته وحشمهم...
وجعل الناس يكون عند مسيرهم من الكوفة.

موقف عائشة... عند وفاة الحسن؟!

«ثم دخلت سنة تسع وأربعين...
«وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب... عليه السلام...
«في هذه السنة...
«توفي الحسن بن علي...
«ووصى أن يُدفن عند النبي... ﷺ...
«إلا أن تخاف فتنة... فينقل إلى مقابر المسلمين...»

عائشة تأذن أن يُدفن الإمام الحسن عند النبي ﷺ؟!

«فاستأذن الحسين عائشة...
«فأذنت له...
«فلما توفي... أرادوا دفنه عند النبي... ﷺ...
«فلم يعرض إليهم سعيد بن العاص - وهو الأمير -
«فقام مروان بن الحكم... وجمع بني أمية وشيعتهم... ومنع عن ذلك...
«فأراد الحسين الامتناع...
«فقيل له: إن أخاك قال: إذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين...
وهذه فتنة...
«فسكت...
«وصلى عليه سعيد بن العاص...
«فقال له الحسين: لولا أنه سنة لما تركتك تصلي عليه...».

عائشة...

تنصح معاوية...

ألا يَقْتُل...

حُجْرًا... وأصحابه...؟!

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين...

مقتل حُجْر بن عدي... وعمرو بن الحَمِق... وأصحابهما؟!

في هذه السنة... قُتل حُجْر بن عدي وأصحابه...

- وما هي القصة -

لا تترك شتم علي؟!

وسبب ذلك أنّ معاوية استعمل المُغيرة بن سُعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلَمَّا أَمَره عليها دعاه وقال له: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لَدِي الْجُلُمَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ الْعَصَا، وَقَدْ يَجْزِي عَنْكَ الْحَكِيمُ بَغِيرَ التَّعْلِيمِ، وَقَدْ أَرَدْتُ إِيصَاءَكَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ أَنَا تَارِكُهَا اعْتِمَادًا عَلَى بَصْرِكَ، وَلَسْتُ تَارِكًا إِيصَاءَكَ بِخَصْلَةٍ: لَا تَتْرَكَ شَتْمَ عَلِيٍّ وَذَمَّهُ، وَالتَّرَحُّمَ عَلَى عُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَالْعَيْبَ لِأَصْحَابِ عَلِيٍّ وَالْإِقْصَاءَ لَهُمْ، وَالْإِطْرَاءَ بِشِيعَةِ عُثْمَانَ وَالْإِدْنَاءَ لَهُمْ. فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: قَدْ جَرَّبْتُ وَجُرَّبْتُ، وَعَمِلْتُ قَبْلَكَ لِغَيْرِكَ فَلَمْ يَذُمَّنِي، وَسَتَبَلُّوْا فَتَحْمَدُ أَوْ تَذَمُّ. فَقَالَ: بَلِ نَحْمَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَقَامَ الْمُغِيرَةُ عَامِلًا عَلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ أَحْسَنُ شَيْءٍ سِيرَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدَعُ شَتْمَ عَلِيٍّ وَالْوُقُوعَ فِيهِ وَالدَّعَاءَ لِعُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ لِحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: بَلِ إِيَّاكُمْ ذَمَّ اللَّهُ وَلَعَنَّا ثُمَّ قَامَ وَقَالَ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ تَذَمَّنَ أَحَقَّ بِالْفَضْلِ، وَمَنْ تَزَكَّنَ

أولى بالدم. فيقول له المغيرة: يا حُجْر اتقِ هذا السلطان وغضبه وسطوته، فإن غضب السلطان يُهلك أمثالك، ثم يكفّ عنه ويصفح.

أصبحت مولعاً بدمّ أمير المؤمنين؟!!

فلما كان آخر إمارته قال في عليّ وعثمان ما كان يقوله، فقام حُجْر فصاح صيحةً بالمغيرة سمعها كلّ من بالمسجد وقال له: مَرُّ لَنَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِأَرْزَاقِنَا فَقَدْ حَبَسْتَهَا عَلْنَا وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ مَوْلَعًا بِدَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق حُجْر وبيّ، مَرُّ لَنَا بِأَرْزَاقِنَا فَإِنَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ لَا يُجْدِي عَلَيْنَا نَفْعًا! وَأَكْثَرُوا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَأَمثالهِ. فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا: علام تترك هذا الرجل يجترىء عليك في سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية؟ فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته، سيأتي من بعدي أمير يحسبه مثلي فيصنع به ما ترونه يصنع بي فيأخذه ويقتله! إني قد قرب أجلي ولا أحب أن أقتل خيار أهل هذا المصير فيسعدوا وأشقى ويعزّ في الدنيا معاوية ويشقى في الآخرة المغيرة.

ثم توفي المغيرة وولي زياد، فقام في الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه. فقام حُجْر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة. ورجع زياد إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حُرَيْث، فبلغه أنّ حُجْرًا يجتمع إليه شيعة عليّ ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وأنهم حصبوا عمرو بن حُرَيْث، فشخص زياد إلى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وحُجْر جالس، ثم قال: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ غَيْبَ الْبَغِيِّ وَالْغَيْ وَخَيْمٌ، إِنَّ هَؤُلَاءِ جَمَعُوا^(١) فَأَيْشِرُوا، وَأَمْنُونِي فَاجْتَرُّوا عَلَى اللَّهِ، لَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِيَّتِكُمْ بِدَوَائِكُمْ، وَلَسْتُ بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعِ الْكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ وَأَدْعُهُ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ، وَيْلَ أَمَلِكُ يَا حُجْرَ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ.

وأرسل إلى حُجْر يدعوه وهو بالمسجد، فلما أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه:

(١) جَمَعُوا: اجتمعوا.

لا تأتيه ولا كرامة. فرجع الرسول فأخبر زيادًا، فأمر صاحب شرطته، وهو شداد بن الهيثم الهلالي، أن يبعث إليه جماعةً ففعل، فسبّهم أصحاب حجر، فرجعوا وأخبروا زيادًا، فجمع أهل الكوفة وقال: تشجعون بيدي وتأسون بأخرى. أبدانكم معي وقلوبكم مع حجر الأحمق! هذا والله من دحسكم^(١) والله ليظهرنّ لي براءتكم أو لأتيناكم بقوم أقيم بهم أودّكم وصغركم! فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا رأي إلا طاعتك وما فيه رضاك. قال: فليقم كلّ رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله. ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه. وقال زياد لصاحب شرطته: انطلق إلى حجر فإن تبعك فأتني به وإلا فشّدوا عليهم بالسيوف حتى تأتوني به.

فأتاه صاحب الشرطة يدعوه. فمنعه أصحابه من إجابته، فحمل عليهم، فقال أبو العمّرة الكنديّ لحجر: إنّه ليس معك من معه سيف غيري وما يغني عنك سيفي، قم فالحق بأهلك يمنعك قومك. وزياد ينظر إليهم وهو على المنبر، وغشيه أصحاب زياد، وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحقيق بعموده فوقع، وحمله أصحابه إلى الأزدي فاختفى عندهم حتى خرج، وانحاز أصحاب حجر إلى أبواب كندة، وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمي وكسر نابه وأخذ عمودًا من بعض الشرط فقاتل به وحمى شجراً وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة، وأتى حجر بغلته، فقال له أبو العمّرة: اركب فقد قتلنا ونفسك. وحمله حتى أركبه، وركب أبو العمّرة فرسه، ولحقه يزيد بن طريف المثلبي فضرب أبا العمّرة على فخذه بالعمود، وأخذ أبو العمّرة سيفه فضرب به رأسه فسقط، ثم برا. وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في اختلاف بين الناس.

ومضى حَجْر وأبو العمّرة إلى دار حجر واجتمع إليهما ناس كثير، ولم يأتيه من كندة كثير أحد. فأرسل زياد، وهو على المنبر، مدحج وهمدان إلى جبّانة كندة وأمرهم أن يأتوه بحجر، وأرسل سائر أهل اليمن إلى جبّانة الصائدين وأمرهم أن يمضوا إلى صاحبهم حَجْر فيأتوه به، ففعلوا، فدخل مدحج وهمدان إلى جبّانة كندة فأخذوا كلّ من وجدوا، فأئني عليهم زياد.

(١) الدحس: الإفساد.

فلما رأى حُجَير قلةً من معه أمرهم بالانصراف وقال لهم: لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب أن تهلكوا. فخرجوا، فأدركهم مذحج وهمدان فقاتلوهم وأسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون، فأخذ حُجَير طريقاً إلى بني حُوت فدخل دار رجل منهم يقال له شليم بن يزيد، وأدركه الطلب فأخذ شليم سيفه ليقاتل. فبكت بناته، فقال حُجَير: بس ما أدخلت على بناتك إذا قال: واللّه لا تؤخذ من داري أسيراً ولا قتيلاً وأنا حيّ. فخرج حَجَر من خوخة في داره فأتى النخع فنزل دار عبدالله بن الحارث أخي الأشتر، فأحسن لقاءه. فبينما هو عنده إذ قيل له: إنّ الشرط تسأل عنك في النخع. وسبب ذلك أنّ أمةً سوداء لقيتهم فقالت: من تطلبون؟ فقالوا: حُجَير بن عديّ. فقالت: هو في النخع.

فخرج حَجَر من عنده فأتى الأزد فاخفى عند ربيعة بن ناجد.

زياد يهدد؟!

فلما أعياهم طلبه دعا زياد محمّد بن الأشعث وقال له: واللّه لتأتيني به أو لأقطعن كلّ نخلة لك وأهدم دورك ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً. فاستمهله، فأمهله ثلاثاً وأحضر قيس بن يزيد أسيراً، فقال له زياد: لا بأس عليك، قد عرفت رأيك في عثمان وبلاءك مع معاوية بصيقي وأنتك إنما قاتلت مع حُجَير حميّة وقد غفرتها لك ولكن ائتني بأخيك عُمير. فاستأمن له منه على ماله ودمه، فأمنه، فأناه به وهو جريح فأثقله حديدًا، وأمر الرجال أن يرفعوه ويلقوه، ففعلوا به ذلك مرارًا، فقال قيس بن يزيد لزياد: ألم تؤمنه؟ قال: بلى قد آمنته على دمه ولسنُ أهريق له دمًا. ثم ضمّنه وخلقى سبيله.

ومكث حَجَر بن عديّ في بيت ربيعة يومًا وليلة، فأرسل إلى محمد بن الأشعث يقول له ليأخذ له من زياد أمانًا حتى يبعث به إلى معاوية. فجمع محمد جماعةً منهم: جرير بن عبدالله، وحَجَر بن يزيد، وعبدالله بن الحارث أخو الأشتر، فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية، فأجابهم، فأرسلوا حُجَير بن عديّ فحضر عند زياد، فلما رآه قال: مرحبًا بك أبا عبد الرحمن، حربُ أيام الحرب،

وحرث وقد سالم الناس، على أهلها تَجْنِي بَرَاقِشُ، فقال حُجْر: ما خلعتُ طاعةً، ولا فارقتُ جماعةً، وإني على بيعتي. فأمر به إلى السجن. فلَمَّا وُلِيَ قال زياد: واللَّهِ لأحرصنَّ على قطع خيط رقبته! وطلب أصحابه، فخرج عمرو بن الحقيق حتى أتى الموصل ومعه رِفاعَة بن شدَّاد فاخْتَفَا بِجَبَلٍ هُنَاكَ، فزَفَعَ خَبْرَهُمَا إِلَى عَامِلِ الْمَوْصِلِ، فسار إليهما، فخرجا إليه، فَأَمَّا عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع، وَأَمَّا رِفاعَة فكان شائِبًا قَوِيًّا فركب فرسه ليقاتل عن عمرو، فقال له عمرو: ما ينفعني قتالك عني؟ انج بنفسك! فحمل عليهم، فأفرجوا له، فنجاء، وأخذ عمرو أسيرًا، فسأله: مَنْ أَنْتَ؟ فقال: مَنْ إِنْ تَرَكَتُمُوهُ كَانَ أَسْلَمَ لَكُمْ، وَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ كَانَ أَضَرَّ عَلَيْكُمْ؛ ولم يخبرهم. فبعثوه إلى عامل الموصل، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يُعرَفُ بِابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ، وهو ابن أخت معاوية، فعرفه فكتب فيه إلى معاوية. فكتب إليه: إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ طَعْنَ عِثْمَانَ تَسَعُ طَعْنَاتٍ بِمِشَاقِصٍ مَعَهُ، فَاطْعَنَهُ كَمَا طَعَنَ عِثْمَانَ. فَأُخْرِجَ وَطَعَنَ، فَمَاتَ فِي الْأَوَّلَى مِنْهُنَّ أَوِ الثَّانِيَةِ.

وَاللَّهِ لَوْ شَرَّحْتَنِي بِالْمَوَاسِي؟!

وجد زياد في طلب أصحاب حُجْرٍ فهِرَبُوا، وأخذ من قدر عليه منهم. فَأَتَى بِقَبِيصَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ الْعَبْسِيِّ بِأَمَانٍ فَحَبَسَهُ، وجاء قيس بن عُبَادِ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَمْرًا مَتَا يُقَالُ لَهُ صَيْفِي مِنْ رُؤُوسِ أَصْحَابِ حُجْرٍ. فَبَعَثَ زِيَادٌ فَأَتَى بِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي أَبِي ثُرَابٍ؟ قَالَ: مَا أَعْرِفُ أَبَا ثُرَابٍ. فَقَالَ: مَا أَعْرِفُكَ بِهِ! أَتَعْرِفُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَذَاكَ أَبُو ثُرَابٍ. قَالَ: كَلَّا، ذَاكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ: يَقُولُ الْأَمِيرُ هُوَ أَبُو ثُرَابٍ وَتَقُولُ: لَا! قَالَ: فَإِنْ كَذَبَ الْأَمِيرُ أَكْذِبُ أَنَا وَأَشْهَدُ عَلَى بَاطِلٍ كَمَا شَهِدَ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ: وَهَذَا أَيْضًا، عَلِيٌّ بِالْعَصَا، فَأَتَى بِهَا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: أَحْسَنُ قَوْلٍ. قَالَ: اضْرِبُوهُ، حَتَّى لَصِقَ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: أَقْلَعُوا عَنْهُ، مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ شَرَّحْتَنِي بِالْمَوَاسِي مَا قُلْتُ فِيهِ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْي. قَالَ: لَتَلَعْنَتَهُ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ! قَالَ: لَا أَفْعَلُ. فَأَوْثَقُوهُ حَدِيدًا وَحَبَسُوهُ.

قيل: وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث في موطنه. ثم دخل الكوفة فجلس في بيته، فقال حوشب للحجاج: إنَّ هنا امرأً صاحب فتن لم تكن فتنة بالعراق إلَّا وثب فيها، وهو ثرابي يلعن عثمان، وقد خرج مع ابن الأشعث حتى هلك، وقد جاء فجلس في بيته. فبعث إليه الحجاج فقتله، فقال بنو أبيه لآل حوشب: سمعتم بصاحبنا فقالوا: وأنتم أيضًا سمعتم بصاحبنا. يعني صيفيًّا الشيباني. وأرسل زياد إلى عبد الله بن خليفة الطائي، فتواري، فبعث إليه الشرط فأخذه، فخرجت أخته الثَّوَّار فحرَّضت طيغًا، فثاروا بالشرط وخلصوه. فرجعوا إلى زياد فأخبره، فأخذ عدي بن حاتم وهو في المسجد فقال: ايتني بعبد الله! قال: وما حاله؟ فأخبروه، فقال: لا علم لي بهذا! قال: لتأتيني به. قال: لا أتيك به أبدًا، أتيك بابن عمي تقتله! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه! فأمر به إلى السجن، فلم يبق بالكوفة يماني ولا ريعي إلَّا كلَّم زيادًا وقالوا: تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله، ﷺ فقال: فإني أخرج على شرط أن يُخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي سلطان. فأجابوه إلى ذلك، وأرسل عدي إلى عبد الله يعرفه ما كان وأمره أن يلحق بجبلي طيغ، فخرج إليهما، وكان يكتب إلى عدي ليشفع فيه ليغود إلى الكوفة، وعدي يُعثيه.

تلفيق الاتهامات للأبرياء؟

قال: وجمع زياد من أصحاب عدي اثني عشر رجلًا في السجن ثم دعا رؤساء الأرباع يومئذ، وهم: عمرو بن حُرَيْث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عَرْفُطَة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى على ربع مَذْجَج وأسد، فشهد هؤلاء أن حُجْرًا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلَّا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عُذر أبي ثراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حزبه، وأن هؤلاء نفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره. ونظر زياد في شهادة الشهود وقال: لآني لأحب أن يكونوا أكثر

من أربعة، فدعا الناس ليشهدوا عليه، فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة بن عبيدالله، والمنذر بن الزبير، وعُمارة بن عُقبة بن أبي مُعيط، وعمرو بن سعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وكتب في الشهود شُرَيْح بن الحارث القاضي وشُرَيْح بن هانيء، فأما شُرَيْح بن هانيء فكان يقول: ما شهدت وقد لُئْتُه.

ترحيل المتهمين إلى معاوية؟

ثم دفع زيادٌ حُجَرَ بن عدي وأصحابه إلى وائل بن حُجَر الحضرمي وكثير بن شهاب، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، فخرجوا عشية، فلما بلغوا العَرَيْنَ لحقهم شُرَيْح بن هانيء وأعطى وائلاً كتاباً وقال: أبلغه أمير المؤمنين، فأخذه، وساروا حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق، وكانوا: حُجَر بن عدي الكندي، والأرقم بن عبدالله الكندي، وشريك بن شَداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة ابن ضُبَيْعة العبسي، وكريم بن عَفِيف الحُثُعمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء ابن شَمِي البجلي، وكدام بن حَيَّان، وعبد الرحمن بن حسان العَنَزِيُّ، ومُحَرِّز بن شهاب التميمي، وعبدالله بن خُوَيْة السعدي التميمي، فهؤلاء اثنا عشر رجلاً، وأتبعهم زياد برجلين، وهما: عُثْبَةُ بن الأحنس من سعد بن بكر، وسعد بن نمران الهمداني، فتتوا أربعة عشر رجلاً.

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجَر وكثير بن شهاب، فأدخلهما وأخذ كتابهما فقرأه، ودفع إليه وائل كتاب شُرَيْح بن هانيء، فإذا فيه: بلغني أنّ زياداً كتب شهادتي، وإنّ شهادتي على حُجَر أنّه متّين يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحجّ والعُمرَةَ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه. فقال معاوية: ما أرى هذا إلّا قد أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء. فوصل إليهم الرجلان اللذان ألحقهما زياد بحجر وأصحابه، فلما وصلا سار عامر بن الأسود العجلي إلى معاوية ليُعلمه بهما، فقام إليه حُجَر بن عدي في قيوده فقال له: أبلغ معاوية أنّ دماءنا عليه حرام، وأخبره أنّا قد أومنا وصالحناه وصالحناه، وأنّا لم نقتل أحداً من أهل القبلة فيحلّ له دماؤنا.

معاوية يفرج عن بعض المتهمين؟!

فدخل عامر على معاوية فأخبره بالرجلين، فقام يزيد بن أسد البجلي فاستوبه ابني عمه، وهما: عاصم وورقاء، وكان جرير بن عبد الله البجلي قد كتب فيهما يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما، فأطلقهما معاوية، وشفع وائل بن حجر في الأرقم فتركه له، وشفع أبو الأعور السلمى في عتبة بن الأحنس فتركه، وشفع حنظلة بن مالك الهمداني في سعد بن نمران فوهبه له، وشفع حبيب بن مسلمة في ابن حوثة فتركه له، وقام مالك بن هبيرة الشكوني فقال: دُع لي ابن عمي حنظلة. فقال له: هو رأس القوم وأخاف إن تخلّيت سبيله أن يُفسد عليّ مصره فنحتاج أن تُشخصك إليه بالعراق. فقال: والله ما أنصفتني يا معاوية! قاتلتُ معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فمنعتني! ثم انصرف فجلس في بيته.

قتل حنجر ظلماً؟!!

فبعث معاوية هذبة بن فياض القضاعي، والخصين بن عبد الله الكلبي، وأبا شريف البدّي إلى حنجر وأصحابه ليقتلوا من أمروا بقتله منهم، فأتوهم عند المساء. فلما رأى الخثعمي أحدهم أعور قال: يقتل نصفنا ويترك نصفنا، فتركوا ستة وقتلوا ثمانية، وقالوا لهم قبل القتل: إنّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له، فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم. فقالوا: لسنا فاعلي ذلك. فأمر فحفرت القبور وأحضرت الأكفان وقام حنجر وأصحابه يصلّون عامة الليل. فلما كان الغد قدّموهم ليقتلوهم فقال لهم حنجر بن عدي: اتركوني أتوضأ وأصلّي فأني ما توضأت إلا صلّيت، فتركوه، فصلّى ثم انصرف منها وقال: والله ما صلّيت صلاة قطّ أخف منها، ولولا أن تظنّوا في جزعاً من الموت لاستكثرث منها. ثم قال: اللهم إنّا نستعديك^(١) على أمتنا! فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما

(١) نستعبد بك.

والله لعن قتلتموني بها فإني لأول فارس من المسلمين هلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحت كلابها ثم مشى إليه هُدبة بن فَيَاض بالسيف فارتعد، فقالوا له: زعمت أنك لا تجزع من الموت، فأبرأ من صاحبك وندعك. فقال: وما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً، وكفتاً منشوراً، وسيقاً مشهوراً وإني والله إن جرعت من القتل لا أقول ما يُشخط الرب. فقتلوه وقتلوا ستة.

فقال عبد الرحمن بن حشاش العنزي وكريم الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فاستأذنوا معاوية فيهما، فأذن بإحضارهما. فلما دخلا عليه قال الخثعمي: الله الله يا معاوية! فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثم مسؤول عما أردت بسفك دمائنا فقال له: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك. قال: أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به؟ فسكت، وقام شير بن عبد الله من بني قُحافة بن خثعم فاستوهبه. فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة، فاختار الموصل، فكان يقول: لو مات معاوية قدمت الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر. ثم قال لعبد الرحمن بن حشاش: يا أخا ربيعة ما تقول في علي؟ قال: دغني ولا تسألني فهو خير لك. قال: والله لا أدعك. قال: أشهد أنه كان من الداكرين الله تعالى كثيراً، من الأمرين بالحق والقائمين بالقيسط والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأغلق أبواب الحق. قال: قتلت نفسك؟ قال: بل إيتاك قتلتي؛ ولا ربيعة بالوادي، يعني ليشفعوا فيه، فردّه معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة، فدفنه حيّاً.

الشهداء العظماء السبعة؟!

فكان الذين قُتلوا: حُجْر بن عديّ، وشريك بن شدّاد الحضرمي، وصيفي بن قَسِيل الشيباني، وقبيصة بن ضُبَيْعة العبسي، ومُحرز بن شهاب السعديّ التميمي، وكدام بن حَيَّان العنزي، وعبد الرحمن بن حشاش العنزي الذي دفنه زياد حيّاً، فهؤلاء السبعة قُتلوا ودفنوا وصُلّي عليهم.

قيل: ولما بلغ الحسن البصري قتل حُجْر وأصحابه قال: صلّوا عليهم وكفّنوهم

ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة؟ قالوا: نعم. قال: حجاجوهم ورب الكعبة! وأما مالك بن هُبيرة الشُّكُونِيّ فحين لم يشقّعه معاوية في حُجْر جمع قومه وسار بهم إلى عذراء ليخلص حُجْرًا وأصحابه، فلقيته قتلهم، فلما رأوه علموا أنّه جاء ليخلص حُجْرًا، فقال لهم: ما وراءكم؟ قالوا: قد تاب القوم وجئنا لتُخبر أمير المؤمنين. فسكت وسار إلى عذراء، فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم، فأرسل الخيل في إثر قتلهم فلم يدركوهم، ودخلوا على معاوية فأخبروه، فقال لهم: إنّما هي حرارة يجدها في نفسه وكأنّها طفقت، وعاد مالك إلى بيته ولم يأت معاوية، فلما كان الليل أرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم وقال: ما منعي أن أشفعك إلّا خوفًا أن يُعيدوا لنا حربًا فيكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حُجْر. فأخذها وطابت نفسه.

عائشة تشفع في المظلومين؟!

ولما بلغ خبر حُجْر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية فيه وفي أصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سُمَيّة فاحتملت. وقالت عائشة: لولا أنّا لم نُغيّر شيئًا إلّا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشدّ منه لغيرنا قتل حُجْر، أمّا والله إن كان ما علمت لمسلمًا حجاجًا معتمرًا.

وقال الحسن البصري: أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت مُوبقة: انتراؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سَكْبَرًا خَمِيرًا يلبس الحرير ويضرب بالطناير، وأدعاؤه زيادًا، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حُجْرًا وأصحاب حُجْر، فيا ويلًا له من حُجْرًا ويا ويلًا له من حُجْر وأصحاب حُجْرًا

قيل: وكان الناس يقولون: أوّل دُلّ دخل الكوفة موت الحسن بن عليّ، وقتل حُجْر، ودعوة زياد؛ وقالت هند بنت زيد الأنصارية ترثي حُجْرًا، وكانت تشيع:

تَرْفَعُ أَهْهَا الْقَمَرُ السُّنِيرُ تَبْصُرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
يَسِيرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ حُزْبٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
تَجَبَّرَتْ الْجَبَابُرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْحَوَزَتِيُّ وَالشَّدِيرُ
وَأَصْبَحَتْ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولًا كَأَنَّ لَمْ يُخَيِّهَا مُزْنٌ مَطِيرُ
أَلَا يَا حُجْرُ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّيْتُكَ السَّلَامَةَ وَالسُّرُورُ
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أُرْدَى عَدِيًّا وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زُرَيْرُ
فَإِنْ تَهْلِكَ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكَ يَصِيرُ

قصة حُجْرٍ فِي رَوَايَةِ أُخْرَى

وقد قيل في قتله غير ما تقدّم: وهو أنّ زيادًا خطب يوم الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة، فقال له حُجْر بن عديّ: الصلاة. فمضى في خطبته. فقال له: الصلاة. فمضى في خطبته. فلما خشي حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ فَوَتْ الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من حصي وقام إلى الصلاة وقام الناس معه. فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس وكتب إلى معاوية وكثر عليه، فكتب إليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله إليه. فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه، فقال حُجْر: لا ولكن سمعًا وطاعة. فشده في الحديد وحمل إلى معاوية. فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: أمير المؤمنين أنا؟ والله لا أقيلك ولا أستقيلك! أخرجوه فاضربوا عنقه! فقال حُجْر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين. فقالوا: صلّ، فصلّي ركعتين خفف فيهما، ثم قال: لولا أن تظنّوا بي غير الذي أردت لأطلتكما، وقال لمن حضره من قومه: لا تُطْلِقُوا عَنِّي حَدِيدًا وَلَا تَغْسِلُوا عَنِّي دَمًا، فَإِنِّي لَأَقِي مَعَاوِيَةَ غَدًا عَلَى الْعِجَادَةِ؛ وَضُرِبَتْ عَنْقُهُ. قال: فلقيت عائشة معاوية فقالت له: أين كان جُلْمُكَ عَنْ حُجْرٍ؟ فقال: لم يحضرني رشيد. قال ابن سيرين: بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: يومي منك يا حُجْر طویل!

أقول... هذه ملحمة مقتل حُجْر بن عديّ... ورفاقه الستة...

سبعة يقتلهم معاوية... وعلى رأسهم... حُجْر بن عديّ!!!
ولقد كتبت أم المؤمنين... عائشة... إلى معاوية في حُجْر وأصحابه...
ولكن هيهات هيهات!!!

معاوية يأخذ البيعة...

لابنه يزيد...

وموقف عائشة...

من معاوية...؟!

قال ابن الأثير:

«ثم دخلت سنة ست وخمسين...

البيعة ليزيد بولاية العهد؟!

«وفي هذه السنة بايع الناس... يزيد بن معاوية... بولاية عهد أبيه...

المغيرة يغري معاوية وابنه؟!

«وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه ليظهر للناس كراحتي للولاية. فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسيكم الآن ولاية وإمارة لا أفعل ذلك أبدًا.

ومضى حتى دخل على يزيد وقال له: إنّه قد ذهب أعيان أصحاب النبي، ﷺ، وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيًا وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة. قال: أوترى ذلك يتم؟ قال: نعم.

فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد

عثمان، وفي يزيد منك خَلَف، فاعقَدْ له فإن حدث بك حادثٌ كان كهفًا للناس وخلفًا منك ولا تُشَفِّك دماء ولا تكون فتنة. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زيادُ أهل البصرة وليس بعد هذين المصرتين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عملك وتحادث مع من تثق إليه في ذلك وترى وترى. فودَّعه ورجع إلى أصحابه. فقالوا: مئة؟ قال: لقد وضعتُ رجل معاوية في غَزَز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقتُ عليهم فتقًا لا يُرتق أبدًا؛ وتمثَّل:

بمثلي شاهدي النَّجوى وغالي بي الأعداء والخصم الغضابا
وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق إليه ومن يعلم أنه شيعة لبني أمية أمر يزيد، فأجابوا إلى بيعته، فأوفد منهم عشرة، ويقال أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة، وقدموا على معاوية فزَّينوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها. فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم. ثم قال لموسى: يَكُم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفًا. قال: لقد هان عليهم دينهم.

وقيل: أرسل أربعين رجلًا وجعل عليهم ابنه عُزْوة، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا: إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد، ﷺ، وقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشارَ الحبل فانصبت لنا علمًا وحَدًّا لنا حدًّا ننتهي إليه. فقال: أشيروا عليّ. فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين. فقال: أوفد رضىتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من وراءنا. فقال معاوية لعزوة سرًّا عنهم: يَكُم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار. قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصة. وقال لهم: ننظر ما قدمتم له ويقضي الله ما أراد، والأناة خير من العجلة. فرجعوا.

عزم معاوية على البيعة لابنه؟!

وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد، فأرسل إلى زياد يستشيرَه، فأحضر زياد عُبيد ابن كعب الثميري وقال له: إنَّ لكلَّ مستشير ثقة، ولكَ سرَّ مستودع، وإنَّ الناس قد

أبدع بهم خصلتان: إذاعة السر وإخراج النصيحة إلى غير أهلها، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثوابها، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه، وقد خبرتهما منك، وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف، إن أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا، وإنه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد، فالتقى أمير المؤمنين وأد إليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالأمر، فأحرى أن يتم لك ما تريد، لا تعجل فإن ذكرنا في تأخير خير من فوت في عجلة.

فقال له عبيد: أفلا غير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: لا تُفسد على معاوية رأيه، ولا تبغض إليه ابنه، وألقى أنا يزيد فأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له، وأنت تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه، وأنت ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الأمة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحجره، اشخص على بركة الله، فإن أصبحت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مُستعش، وتقول بما ترى، ويقضي الله بغير ما يعلم.

فقدم على يزيد فذكر ذلك له، فكف عن كثير مما كان يصنع، وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتودة وأن لا يعجل، فقبل منه.

فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم، فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص. وامتنع.

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحَكَم: إنني قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك، فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك. فقام مروان في الناس فأخبرهم به، فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن نتخير لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد، فقام مروان فيهم

وقال: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اخْتَارَ لَكُمْ فُلَمَّ يَأْلُ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ ابْنَهُ يَزِيدَ بَعْدَهُ...

تريدون أن تجعلوها هِرَقْلِيَّة؟!

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية! ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكتكم تريدون أن تجعلوها هِرَقْلِيَّة كَلِّمَا مَاتَ هِرَقْلُ قَامَ هِرَقْلُ. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَا أَلَدِيهِ أَفْ لَكُمْ﴾ الآية.

عائشة تتكلم من وراء حجاب؟!

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت: يا مروان يا مروان! فأنتصت الناس وأقبل مروان بوجهه. فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن إنه نزل فيه القرآن؟ كذبت! والله ما هو به ولكته فلان بن فلان، ولكتت أنت فضض^(١) من لعنة نبي الله.

قادة الأمة يعارضون؟!

وقام الحسين بن عليّ فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير، فكتب مروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عُمَّالِهِ بِتَقْرِيطِ يَزِيدَ وَوَصَفِهِ وَأَن يَوْفِدُوا إِلَيْهِ الْوَفُودَ مِنَ الْأَمْصَارِ، فَكَانَ فِيمَنْ أَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي وَفْدِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو لِمَعَاوِيَةَ: إِنَّ كُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَاَنْظُرْ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ. فَأَخَذَ مَعَاوِيَةُ بُهْرًا حَتَّى جَعَلَ يَتَنَفَّسُ فِي يَوْمِ شَابٍ ثُمَّ وَصَلَهُ وَصَرَفَهُ، وَأَمَرَ الْأَحْنَفَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى يَزِيدَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَ ابْنَ أَخِيكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ شَبَابًا وَنَشَاطًا وَجَلَدًا وَمَزَاحًا.

(١) أي قطعة.

ثم إن معاوية قال للضحّاك بن قيس الفهري، لما اجتمع الوفود عنده: إني متكلم فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها. فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض بيعته، فعارضه الضحّاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إني لا بدّ للناس من والٍ بعدك. وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء، وأمن للسبل، وخيراً في العاقبة، والأيام غوج رواجع، والله كلّ يوم في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحلماً، وأبعدنا رأياً، فولّه عهدك واجعله لنا علماً بعدك ومفرجاً نلجأ إليه ونسكن في ظلّه. وتكلّم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك. ثم قام يزيد بن المقفع الغدري فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومن أئبى فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: اجلس فأنت سيّد الخطباء. وتكلّم من حضر من الوفود.

فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبتنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالى وللأمة رضى فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإثما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا. وقام رجل من أهل الشام فقال: ما ندري ما تقول هذه المعديّة العراقيّة وإثما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف.

معاوية يهدد بالمدينة؟!

فتفرق الناس يحكون قول الأحنف، وكان معاوية يُعطي المُقارب ويداري المُباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه. فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أول الناس، فلما نظر إليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً! بدنة يترقرق دمها والله مهريقه! قال:

مهلاً فإني والله لست بأهل لهذه المقالة! قال: بلى ولشرّ منها. ولقيه ابن الزبير: فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! خبّ ضبّ تلمعة، يُدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ويُدقّ ظهره، نَحْيَاه عَنِّي، فاضرب وجه راحلته. ثمّ لقيه عبد الرحمن ابن أبي بكر، فقال له معاوية: لا أهلاً ولا مرحباً! شيخ قد خرف وذهب عقله؛ ثمّ أمر فاضرب وجه راحلته، ثمّ فعل باين عمر نحو ذلك، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضرُوا بابَه، فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبّون، فخرجوا إلى مكّة فأقاموا بها، وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال: مَنْ أَحَقُّ منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظنّ قوماً بمستهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أنذرتُ إن أغت الثُّدْرُ؛ ثمّ أنشد متهماً:

قد كنتُ حدّرتُك آل المصطلق وقلْتُ يا عمرو أطعني وانطلق
إنك إن كلّفتني ما لم أُطق ساءك ما سرك متي من خلُق
دونك ما استسقيته فاحس وذق

معاوية يشكو إلى عائشة؟

ثمّ دخل على عائشة، وقد بلغها أنّه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا، فشكاهم إليها، فوعظته وقالت له: بلغني أنّك تتهدّدهم بالقتل، فقال: يا أمّ المؤمنين هم أعزّ من ذلك ولكّني بايعتُ ليزيد وبايعه غيرُهم، أفترين أن أنقض بيعة قد تمّت؟ قالت: فافرقْ بهم فإنّهم يصيرون إلى ما تحبّ إن شاء الله. قال: أفعَلْ. وكان في قولها له: ما يؤمنك أن أقعد لك رجلاً يقتلك وقد فعلتُ بأخي ما فعلتُ؟ تعني أخاها محمّداً. فقال لها: كَلّا يا أمّ المؤمنين، إني في بيت آمن. قالت: أجل...

معاوية يأخذ البيعة قهراً؟

ومكث بالمدينة ما شاء الله ثمّ خرج إلى مكّة فلقية الناس، فقال أولئك النفر: نتلقاه فلعلّه قد ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مَرٍّ، فكان أوّل من لقيه الحسين،

فقال له معاوية: مرحبًا وأهلاً يا بن رسول الله وسيد شباب المسلمين! فأمر له بدابة فركب وسأيره، ثم فعل بالباقيين مثل ذلك وأقبل يسأيرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة، فكانوا أول داخل وآخر خارج، ولا يمضي يوم إلا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيئاً، حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وقرب مسيره، فقال بعض أولئك النفر لبعض: لا تُخذعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه إلا لما يريد. فأعدوا له جواباً فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزبير.

فأحضرهم معاوية وقال: وقد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وحملتي ما كان منكم، ويريد أخوكم وابن عمكم وأردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك. فسكتوا. فقال: ألا تجيبون؟ مرتين.

ثم أقبل علي بن الزبير، فقال: هات لعمرى إلك خطيبهم. فقال: نعم، نخبرك بين ثلاث خصال. قال: اعرضهن. قال: تصنع كما صنع رسول الله ﷺ، أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قبض رسول الله ﷺ، ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر. قال: ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه. قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال: لا. ثم قال: فأنتم؟ قالوا: قولنا قوله. قال: فإنني قد أحببت أن أتقدم إليكم، إنه قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح، وإني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يُقيّن رجل إلا على نفسه.

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما. ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى

عليه ثم قال: إِنَّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ سَادَةُ الْمُسْلِمِينَ وخيارهم لا يُبْتَغَى أمر دونهم ولا يُقْضَى إِلَّا عَنْ مشورتهم، ولأنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله! فبايع الناس، وكانوا يترقبون بيعة هَؤُلَاءِ النفر، ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة، فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فليَمَ أرضيتم وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل؟ قالوا: كادنا ونخفنا القتل.

وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام وجفا بني هاشم، فأناه ابن عباس فقال له: ما بالك جفوتنا؟ قال: إِنَّ صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تُنْكروا ذلك عليه. فقال: يا معاوية إني لخليق أن أُلْحَازَ إلى بعض السواحل فأقيم به ثم أنطق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج عليك. قال: يا أبا العباس تُعْطُونَ وترضون وترادون!!!.

* * *

أقول... كانت هذه الأحداث تجري بالمدينة على مقربة... من أم المؤمنين عائشة...

وكانت تتألم مما يجري حولها من الأعياب السياسية...
إلا أَنَّ الأمور قد ذهبت إلى أيدي بني أمية...
وأصبحت أم المؤمنين... لا تملك إلا الإنكار...
وإن الإنكار لا يُغَيِّرُ من الأمر شيئاً!!!.

وفاة...

أمّ المؤمنين...

عائشة...

عليها السلام...!؟

قال ابن الأثير:

«ثم دخلت سنة ثمان وخمسين...

«وفيهما توفيت عائشة... عليها السلام.»

* * *

وقال صاحب «أشد الغابة... في معرفة الصحابة»:

«وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين...

«وقيل: سنة ثمان وخمسين...

«ليلة الثلاثاء... لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان...

«وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً...

«فدفنت... وصلى عليها أبو هريرة...

«ولزل في قبرها خمسة... عبدالله... وعروة ابنا الزبير... والقاسم بن

محمد بن أبي بكر... وعبد الله بن محمد بن أبي بكر... وعبد الله بن عبد

الرحمن بن أبي بكر...».

كانت...

من أكبر...

فقهاء الصحابة...؟!

عن عائشة^(١)...

«أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...

«أَنَّ الْحَرِثَ بْنَ هِشَامٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

«سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... فَقَالَ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ... كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟...

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:

«أَخْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَافَةِ الْجَرَسِ... وَهُوَ أَكْثَدُهُ عَلَيَّ...

فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ...

«وَأَخْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا... فَيُكَلِّمُنِي... فَأَعِيبُ مَا يَقُولُ...

«قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ... فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ
جِئْتُهُ لَيَتَقَصَّدُ عَرَقًا».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«عائشة» وحكي... عيشة... لغة فصيحة...

تزوجها رسول الله... ﷺ... بمكة قبل الهجرة بستين... وقيل بثلاث... وقيل

(١) نستفتح بهذا الحديث ما اخترناه من صحيح البخاري وما اقتبسناه من شرح الإمام العيني للأحاديث المختارة.

بسنة ونصف أو نحوها في شوال^(١)...
وبنى بها في شوال أيضًا بعد وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة...
أقامت في صحبته ثمانية أعوام... وخمسة أشهر...
وتوفي عنها وهي بنت ثمانى عشرة... وعاشت خمسًا وستين سنة...

من أكبر فقهاء الصحابة؟!

وكانت من أكبر فقهاء الصحابة...
وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية...

٢٢١٠ أحاديث؟!

روي لها... ألفا حديث... ومائتا حديث... وعشرة أحاديث...
اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا...
وانفرد البخاري بأربعة وخمسين... ومسلم بثمانية وخمسين...

روى عنها جماعات من الصحابة؟!

روت عن خلق من الصحابة...
وروى عنها جماعات من الصحابة والتابعين...
قريب من المائتين...
ماتت بعد الخمسين... إما سنة خمس أو ست أو سبع أو ثمان... في
رمضان...
وأمرت أن تدفن ليلاً بعد الوتر... بالبقيع... وصلى عليها أبو هريرة...
رضي الله تعالى عنه...

(١) لاحظ هنا الاختلاف في تاريخ خطبة عائشة وسيأتي بعد سطور الخلاف في سنّها عند الوفاة...
وهذا يؤيد رأي العقاد أنها كانت قد قاربت الرابعة عشرة عند زفافها.

هل هي أفضل أم خديجة؟!

وهل هي أفضل من خديجة بنت خويلد؟...

فيه خلاف...

فقال بعضهم: عائشة أفضل...

وقال آخرون: خديجة أفضل...

وبه قال القاضي... والمتولي... وقطع ابن العربي المالكي وآخرون...

وهو الأصح...

هل هي أفضل أم فاطمة؟!

وكذلك الخلاف موجود...

هل هي أفضل أم فاطمة؟...

والأصح أنها أفضل من فاطمة...

وسمعت بعض أساتذتي الكبار... أن فاطمة أفضل في الدنيا... وعائشة

أفضل في الآخرة... والله أعلم...

هل يقال فيهنَّ أمَّهات المؤمنين؟

فإن قلت: ما أصل قولهم في عائشة وغيرها من أزواج النبي عليه الصلاة

والسلام... أم المؤمنين؟...

قلت: أخذوه من قوله تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾...

وقرأ مجاهد: وهو أبٌ لهم...

وهنَّ أمَّهات في وجوب احترامهن وبرَّهن... وتحريم نكاحهن...

لا في جواز الخلوة والمسافرة وتحريم نكاح بناتهن... وكذا النظر في في

الأصح...

وهل يقال لإخوتهن أخوال المسلمين... ولأخواتهن خالات المؤمنين...

ولبناتهن أخوات المؤمنين؟...
فيه خلاف عند العلماء... والأصح المنع لعدم التوقيف...
قالوا: ولا يقال آباؤهن وأمهاتهن أجداد المؤمنين وجداتهم...
وهل يقل فيهن أمهات المؤمنات؟...
فيه خلاف... والأصح أنه لا يقال... بناء على الأصح أنهن لا يدخلن في
خطاب الرجال... وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أم رجالكم لا أم
النساء...

هو كأيينا؟

وهل يقال للنبي عليه السلام... أبو المؤمنين؟..
فيه وجهان...
والأصح الجواز... ونص عليه الشافعي أيضًا... أي في الحرمة..
ومعنى قوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ لصلبه...
وعن الأستاذ أبي إسحاق أنه لا يقال أبونا... وإنما يقال هو كأيينا...
لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لأنا أنا لكم كالوالد»...

مِنْ علامات...

عبقرية...

عائشة...!؟

عن عائشة... قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...»

«إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ...»

«قَالُوا: إِنَّا لَنَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ... إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...»

«فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ... ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا...».

[أخرجه البخاري]

«إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ» أي إذا أمر الناس بعمل أمرهم بما يطيقون...
ظاهره أنه كان يكلفهم بما يطاق فعله...

لكن السياق دلّ على أن المراد أنه يكلفهم بما يطاق الدوام على فعله...
فإن قلت: النبي... ﷺ... معصوم عن الكبائر والصغائر... فما ذنبه الذي غفر

له...؟

قلت: المراد منه ترك الأولى والأفضل... بالعدول إلى الفاضل وترك الأفضل...
كأنه ذنب لجلالة قدر الأنبياء عليهم السلام...
ويقال: المراد منه ذنب أمته...

«أَتْقَاكُمْ» إشارة إلى كمال القوة العملية...

«وَأَعْلَمَكُمْ» إلى كمال القوة العلمية...

ولما كان عليه السلام... جامعًا لأقسام التقوى... حاويًا لأقسام العلوم...

ما خَصَّصَ التقوى ولا العلم وأطلق...
وهذا قريب مما قال علماء المعاني قد يقصد بالحذف إفادة العموم
والاستغراق...
ويعلم منه أن رسول الله... ﷺ ... كما أنه أفضل من كل واحد... وأكرم
عند الله وأكمل...
لأن كمال الإنسان منحصر في الحكمتين العلمية والعملية...
وهو الذي بلغ الدرجة العليا... والمرتبة القصوى منهما... يجوز أن يكون
أفضل وأكرم وأكمل من الجميع...
حيث قال: ﴿أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَفَكُمْ﴾ خطاباً للجميع...

استنباط الفوائد؟!

وهو على وجوه..
الأول: إن الأعمال الصالحة ترقى صاحبها إلى المراتب السنية من رفع
الدرجات ومحو الخطيئات... لأنه عليه السلام لم ينكر عليهم استدلالهم من
هذه الجهة بل من جهة أخرى...
الثاني: إن العبادة الأولى فيها القصد وملازمة ما يمكن الدوام عليه...
الثالث: إن الرجل الصالح ينبغي أن لا يترك الاجتهاد في العمل اعتماداً
على صلاحه...
الرابع: إن الرجل يجوز له الإخبار بفضيلته إذا دعت إلى ذلك حاجة...
الخامس: إنه ينبغي أن يحرص على كتمانها فإنه يخاف من إشاعتها
زوالها...
السادس: فيه جواز الغضب عند رد أمر الشرع... ونفوذ الحكم في حال
الغضب والتغير...
السابع: فيه دليل على رفق النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم... بأئمة...
وأن الدين يسر... وأن الشريعة حنيفة سمحة...

الثامن: فيه الإشارة إلى شدة رغبة الصحابة في العبادة... وطلبهم الازدياد من الخير...

* * *

أقول...

التاسع: فيه عبقرية عائشة... وقوة ملاحظتها... وتوقد ذكائها...

فَهَمَّتُ المراد من توجيه رسول الله... ﷺ...

وأشارت إلى ذلك بقولها:

«إِذَا أَمَرَهُمْ... أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ»!!!.

إنها شربت من الكأس المقدسة...

شربت شرابًا طهورًا...

إنها تفهم سريعًا... عن رسول الله... ﷺ...

بما آتاها الله من استعداد عظيم...

وبما أفاض عليها الرسول العظيم... ﷺ... من أنوار وأسرار!!!.

مَنْ هَذِهِ...

يا عائشة... ١٩

عَنْ هِشَامٍ... قَالَ:
«أَخْبَرَنِي أَبِي... عَنْ عَائِشَةَ...
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ... دَخَلَ عَلَيْهَا... وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ...
«قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟...
«قَالَتْ: فُلَانَةٌ...
«تَذَكَّرُ مِنْ صَلَاتِهَا...
«قَالَ: مَهْ... عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ...
«فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا...
«وكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ».

[أخرجه البخاري]

أخرجه البخاري أيضًا في كتاب الصلاة وقال فيه: «كانت عندي امرأة من بني أسد»...

وسماها مسلم... لكن قال فيه... إن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى... مرت بها... وعندها رسول الله... ﷺ... فقال: هذه الحولاء بنت تويت وزعموا أنها لا تنام الليل... فقال عليه الصلاة والسلام: «خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا»...
وذكره مالك في الموطأ وفيه «ف قيل له: هذه الحولاء... لا تنام الليل»... فكره ذلك رسول الله... ﷺ... حتى عرفت الكراهية في وجهه»...
«فُلَانَةٌ» أي الحولاء الأسدية...
«مَهْ» ومعناه اكفف...

«عليكم» أي الزموا من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه...
«لا يَمَلُّ اللَّهُ» من الملالة وهي السآمة والضجر...
«أَحَبُّ الدِّينِ» أي أحب الطاعة...
«دَاوَمَ» من المداومة وهي المواظبة.

المعاني؟!

قوله «مَهْ» زجر... ولكن يحتمل أن يكون لعائشة... والمراد نهيها عن مدح المرأة...

ويحتمل أن يكون المراد النهي عن تكلف عمل لا يطابق به... ولهذا قال بعده:
«عليكم من العمل ما تطيقون»...

وقال ابن التين: لعل عائشة أمنت عليها الفتنة... فلذلك مدحتها في وجهها...

قلت: جاء في رواية حماد بن سلمة عن هشام في هذا الحديث ما يدل على أنها إنما ذكرت ذلك بعد أن خرجت المرأة... أخرجها الحسن بن سفيان في مسنده من طريقه ولفظه:

«كانت عندي امرأة... فلما قامت قال رسول الله... ﷺ: مَنْ هَذِهِ يَا عَائِشَةُ؟...»

«قلت: يا رسول الله... هذه فلانة... وهي أعبد أهل المدينة»...

قوله «من العمل» يحتمل أن يريد به صلاة الليل... لوروده على سببه...
ويحتمل أن يحمل على جميع الأعمال...

قوله: ﴿فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا﴾ أي لا يترك الثواب على العمل ما لم يذكر العمل...

أو: لا يمل إذا مللتم...

أو: إن الله لا يمل أبدا... مللتم أنتم... أو لم تملوا...

استنباط الأحكام ١٩

فيه فضيلة الدوام على العمل... والحث على العمل الذي يدوم... والعمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع... لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الله سبحانه وتعالى... ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة...

وفيه بيان شفقة النبي... ﷺ... ورأفته بأمتة... لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم... وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة... لأن النفس تكون فيه ألشط... ويحصل منه مقصود الأعمال... وهو الحضور فيها... والدوام عليها... بخلاف ما يشق عليه... فإنه تعرض لأن يترك كله أو بعضه... أو يفعله بكلفة فيفوته الخير العظيم...

وفيه دليل للجمهور على أن صلاة جميع الليل مكروهة...

* * *

أقول... وفيه دليل على أن أم المؤمنين عائشة كانت تتركى من أنوار رسول الله... ﷺ... رأساً... بلا واسطة أو حجاب...

يقول لها: من هذه يا عائشة؟...

فتقول: هذه فلانة... وهي أعبد أهل المدينة...

إن عائشة تمتدح الحولاء الأسدية... أنها لا تنام الليل... هذا تصور عائشة...

لكن انظر إلى عظمة رسول الله... ﷺ... حين سمع ما قالت!!!

«فكرة ذلك رسول الله... ﷺ... حتى عرفت الكراهية في وجهه»!!!

ها هنا النبوة... أعلى نبوة!!!

ها هنا الميزان... أدق ميزان!!!

«مّة...»

«عليكم بما تطيقون...»

«قَالَ اللَّهُ... لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا...»!!!
وتلقت عائشة التوجيه الشريف... من فمه الشريف...
وعِلِمْتُ ما لم تكن تعلم...
أَنَّ قيام الليل كله في عبادة الله... ليس مطلوبًا...
وإنما بعض الليل للعبادة!!!
وبعضه لراحة البدن!!!
وبعضه لحق الزوج!!!
هنالك تعلمت عائشة رأسًا من رسول الله... ﷺ...
لتعلم من بعدها... الأمة كلها... إلى يوم القيامة!!!.

عائشة تُصَلِّي...
صلاة الكسوف...
خلف رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...!؟

إذا سأل سائل:
من أين لعائشة... هذا المستوى الرفيع... الذي كانت عليه... فقها...
وعِلْمًا... وخلقًا... ودَوْقًا؟
كان الجواب: من رسول الله... ﷺ... رأسًا بلا حجاب!!!
وإليك مشهدًا جميلًا... شهدته مع رسول الله... ﷺ...
لتتعلم منه كيف كانت عائشة تصبر نفسها على الطاعات... وتحرص
عليها!!!.

«عن فاطمة...
«عن أسماء... قالت:
«أتيت عائشة وهي تُصَلِّي...
«فقلت: ما شأن الناس؟...
«فأشارت إلى السماء...
«فإذا الناس قيام...
«فقلت: سبحان الله...
«قلت: آية؟...
«فأشارت برأسها... أي نعم...
«فقلت حتى تجلاني العشي...»

فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ...
«فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ... النَّبِيَّ ﷺ... وَأَتَى عَلَيْهِ... ثُمَّ قَالَ:
«مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيثُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي... حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ...
«فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ... أَوْ قَرِيبَ...
«لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ؟...
«مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ...
«يُقَالُ: مَا عَلِمْتُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟...
«فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ... أَوْ الْمُؤَقِّنُ...
«لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ؟...
«فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ... جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى... فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا...
«هُوَ مُحَمَّدٌ... ثَلَاثًا...
«فَيُقَالُ: نَمَّ صَالِحًا... قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ...
«وَأَمَّا الْمُنَافِقُ... أَوْ الْمُرْتَابُ...
«لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ؟...
«فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي... سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«حَتَّى تَجْلَانِي الْغُشْيُ» بِمَعْنَى الْغِشَاوَةِ... وَذَلِكَ لَطُولُ الْقِيَامِ وَكَثْرَةُ الْحَرِّ...
وَلِذَلِكَ قَالَتْ فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي أَوْ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْمَاءِ...
«تُفْتَنُونَ» تَمْتَحَنُونَ...
«الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» مِنَ الدَّجَلِ وَهُوَ الْكَذِبُ وَالتَّمْوِيهِ وَخِلَاطُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ...
وَكُلَّ كَذَّابٍ دَجَالٍ...
«فَقَالَتْ» أَيُّ عَائِشَةٍ..
«سُبْحَانَ اللَّهِ» أَنْزَمَهُ مِنَ النِّقَائِصِ وَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ...
«آيَةٌ؟» بِهَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ...
«فِي مَقَامِي» بِمَعْنَى الْمَكَانِ...

«حتى الجنة والنار» حتى الجنة مرئية والنار...
«أو الموقن» شك من الراوي... وهي فاطمة...
«قولا ثلاثا» أي ثلاث مرات... مرتين بلفظ محمد... ومرة بصفته وهو
رسول الله... عليه الصلاة والسلام... هو محمد... هو محمد... رسول الله...

المعاني؟

«ما شأن الناس؟» أي قائمين مضطربين فرعين؟...
«فأشارت» أي عائشة... رضي الله عنها... إلى السماء... تعني انكسفت
الشمس... فإذا الناس قيام أي لصلاة الكسوف...
«آية» أي علامة لكون الشمس مخلوقة... داخلية تحت النقص... مسخرة
لقدرته تعالى... ليس لها سلطنة على غيرها... بل لا قدرة لها على الدفع عن
نفسها...

«وأثنى عليه» الثناء أعم من الحمد... والشكر والمدح أيضا...
«ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته»
قال العلماء:

يحتمل أن يكون قد رأى رؤية عين... بأن كشف الله تعالى له مثلاً عن
الجنة والنار... وأزال الحجب بينه وبينها...
وأن يكون رؤية علم وروحي بإطلاعه وتعريفه من أمورهما تفصيلاً ما لم
يعرفه قبل ذلك...
وقال القرطبي:

ويجوز على هذا القول أن الله تعالى مَثَّلَ له الجنة والنار وصوَّرَهما له في
الحائط كما تُمَثَّلُ المرئيات في المرأة...
وبعضه ما رواه البخاري من حديث أنس في الكسوف... فقال عليه
الصلاة والسلام «الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار»...
وفي مسلم «إني صورت لي الجنة والنار فرأيتهما بدور هذا الحائط»...

التلفزيون قَرَبَ تلك المعجزة للعقول؟!

أقول... ولا حول ولا قوة إلا بالله...
كانوا حائرين... العلماء الأقدمون...
في تفسير قوله ﷺ: «ما مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أَرِيْهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»!!!
فجعلوا يجتهدون في حدود عصورهم... حيث لم يكن هناك راديو ولا
تلفزيون... ولا فيديو... ولا لاسلكي... ولا أقمار صناعية...
ولو وُجدت هذه الأشياء في عصرهم لِيُسْرَتْ عليهم تفهيم الناس ما أخبر
به رسول الله ﷺ... من أنه رأى الجنة والنار في عرض الحائط... بل وما
شاء الله له أن يرى من الأكوان والمخلوقات!!!
أمّا الآن... في هذا الزمان... الذي مَنَّ الله فيه على الإنسان... وعَلَّمه ما
لم يكن يعلم هو ولا آباؤه...
حيث أصبح التلفزيون ينقل إليك عن الأقمار الصناعية... المناظر بصورها
والألوان وأصواتها... من أي مكان من العالم... أو من الفضاء...
فقد أصبح فُهِم ما أخبر به النبي ﷺ ميسورًا... وقرينًا جدًّا من عقول اليوم!!!
إن الإنسان المعاصر... الذي يشهد رائد الفضاء وهو يتجول على سطح
القمر... على شاشة التلفزيون وهو في بيته يتمطى ويتشاءب!!!
إن إنسان اليوم لا يجد صعوبة في التصديق بمثل هذه المعجزات... لأنه
يشهد ما يُقَرَّب إليه هذه الخوارق!!!
أمّا الأقدمون... فإنهم أخذوها تسليماً وإيماناً... وجعلوا يقربونها الى
العقول ما استطاعوا...
ما أسعد إنسان اليوم!!!
إنَّ العلم وضع بين يديه... وتحت عينيه... ما كان حُلْمًا عند الأقدمين!!!

* * *

«بهذا الرجل؟» ما عِلْمُكَ بهذا الرجل؟... أي بمحمد عليه الصلاة والسلام...

فإن قلت: لم لا يقولان رسول الله؟... قلت: لئلا يتلقن المقبور منهما إكرام الرسول ورفع مرتبته فيعظمه تقليدًا لهما لا اعتقادًا...

«جاءنا بالبينات» أي بالمعجزات الدالة على نبوته... «فأجبنا» أي قبلنا نبوته... معتقدين حقيقتها... معترفين بها... واتبعناه فيما جاء به إلينا...

ويقال: الإجابة تتعلق بالعلم... والاتباع بالعمل... «صالحًا» أي منتفعًا بأعمالك وأحوالك... «إن كُنْتَ لَمُوقِنًا» إنك مؤمن... «وأما المنافق» أي غير المصدق بقلبه لنبوته... «أو المرتاب» أي الشاك...

استنباط الأحكام؟

الأول:

فيه كون الجنة والنار مخلوقتين اليوم... وهو مذهب أهل السنة... ويدل عليه الآيات والأخبار المتواترة... وليس للجنة سماء إلا ما جاء في الصحيح... يعني قوله: «سقفها عرش الرحمن»...

الثاني:

فيه إثبات عذاب القبر... مع غيره من الأدلة... وهو مذهب أهل السنة والجماعة...

وإحياء الميت... تواترت الأخبار بذلك... وباستعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر...

الثالث:

فيه سُنَّةُ صلاة الكسوف... وتطويل القيام فيها...

الرابع:

فيه مشروعية هذه الصلاة للنساء...

الخامس:

فيه جواز حضورهن وراء الرجال في الجماعات...

السادس:

فيه جواز التسبيح للنساء في الصلاة...

وفيما نحن فيه القصة جرت بين الأختين...

والمقصود من تخصيص التصفيق بهن أن لا يسمع الرجال صوتهن...

سؤال وجواب؟!

هل فيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام... رأى في هذا المقام... ذات
الله سبحانه وتعالى؟...

أجيب: نعم... إذ الشيء يتناوله... والعقل لا يمنعه... والعرف لا يقتضي
إخراجه!!!.

أقول... هذا الحديث الجميل مفتاح رائع من مفاتيح عظمة الشخصية...
ذلك أن عائشة خَلَفَ رسول الله... ﷺ...
تصلي خلفه صلاة طويلة... في حرٍّ شديد...

ثم تستمع إليه وهو يعلن عجائب المعجزات التي عُرضت عليه!!!
ما مِنْ شيء... لم أكن أُرِيته... إلا رأيتُه... في مقامي... حتى الجنة
والنار!!!

إنها تتعلم عملياً صلاة الكسوف...

ثم تتعلم علمياً عجائب العلوم... وغرائب الغيوب... وهي تسمعه يقول ما
يقول... وما أعظم ما يقول!!!.

من هنا... من مثل هذه المشاهد... وهذه المسامع...

كانت تتكون شخصية الصديقة بنت الصديق...
لأنها سوف تجلس في مقام الإمامة بعد وفاة النبي... ﷺ
تُعلم الأجيال إلى يوم القيامة!!!.

عائشة...

كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ...

إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ...!؟

وهذه صفة عليا... من صفات عائشة... تدل على أنها كانت حريصة على التعلم...

«حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ...

«أَنَّ عَائِشَةَ... زَوْجَ النَّبِيِّ... ﷺ...»

«كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ... إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ...»

«وَأَنَّ النَّبِيَّ... ﷺ... قَالَ:

«مَنْ خَوَّسَبَ عُذْبَ...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا

يَسِيرًا؟...»

«قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ...

«وَلَكِنْ مَنْ تُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

[أخرجه البخاري]

«زَوْجَ النَّبِيِّ» ﷺ... زوج الرجل امرأته... وزوج المرأة בעלה... قال الله

تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ»... ويقال أيضا هي زوجته... والأول هو

الأفصح...

«الْعَرَضُ» عرضت له الشيء... أي أظهرته وأبرزته إليه...

«مَنْ تُوقِشَ» من المناقشة... وهي الاستقصاء في الحساب... حتى لا يترك

منه شيء...

«قَالَتْ» أي عائشة...

«فَقَالَ» أي النبي عليه الصلاة والسلام...
«عُذِبَ» له معنيان... أحدهما أن نفس مناقشة الحساب يوم عرض الذنوب...
والتوقيف على قبيح ما سلف له تعذيب وتوبيخ... والآخر أنه مفض إلى استحقاق
العذاب إذ لاحسنه للعبد يعملها إلا من عند الله وبفضله وإقداره له عليها...
وهدايته لها... وإن الخالص لوجهه تعالى من الأعمال قليل... ويؤيده قوله
«يَهْلِكُ» مكان عُذِبَ...
«يَسِيرًا» أي سهلًا هينًا... لا يناقش فيه... ولا يتعرض بما يشق عليه... كما
يناقش أصحاب الشمال...

فإن قلت: ما وجه المعارضة ها هنا... أعني بين الحديث والآية؟...
قلت: وجهها أن الحديث عام... في تعذيب من حوسب... والآية تدل على
عدم تعذيب بعضهم... وهم أصحاب اليمين...
وجوابها... أن المراد من الحساب في الآية العرض... يعني الإبراز والإظهار...
وعن عائشة... رضي الله عنها... هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه...
«مَنْ نُوقِشَ» المعنى أن التقصير غالب على العباد... فمن استقصي عليه ولم
يسامح هلك... وأدخل النار... ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن
شاء...

وقيل... إن المناقشة في الحساب نفسها هو العذاب...
لما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من يحاسب يعذب...
فقليل: يا رسول الله فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا... قال: ذلكم العرض... من
نوقش في الحساب عُذِبَ» - وفيه نظر -

استنباط الأحكام؟!

الأول:

فيه بيان فضيلة عائشة... رضي الله عنها...
وحرصها على التعلم والتحقيق...

فإن رسول الله... ﷺ ... ما كان يتضجر من المراجعة إليه...

الثاني:

فيه إثبات الحساب والعرض...

الثالث:

فيه إثبات العذاب يوم القيامة...

الرابع:

فيه جواز المناظرة... ومقابلة السنة بالكتاب...

الخامس:

فيه تفاوت الناس في الحساب...

* * *

أقول... وهذه صفة عليا من صفات شخصية عائشة...

صفة تتبع الحقائق للوصول إلى العلم الصحيح من الأمور!!!.

رسول الله صلى الله عليه وسلم...
يقول لعائشة رضي الله عنها...:
«إِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ...
مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ»!؟...

قال الأسود:
«كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...
«فَذَكَّرْنَا الْمَوَاطِنَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْعَظِيمِ لَهَا...
«قَالَتْ: لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ...
«فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ... فَأُذِنَ...
«فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ...
«فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ... إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ
يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ...
«وَأَعَادَ...
«فَأَعَادُوا لَهُ...
«فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ...
«فَقَالَ: إِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ...
مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ...
«فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى...
«فَوَجَدَ النَّبِيَّ... ﷺ... مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً...
«فَخَرَجَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ... كَأَنِّي أَنْظُرُ رَجُلَيْهِ تَخْطَانِ الْأَرْضَ مِنْ
الْوَجَعِ...»

«فأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ...
«فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ... ﷺ ... أَنْ مَكَانَكَ...
«ثُمَّ أَتَى بِهِ...
«حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ...
«قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ... ﷺ ... يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ...
وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ...
«فَقَالَ بَرَأْسُهُ نَعَمْ».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«مَرَضَةُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ» ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ... وَاسْتَقَرَّ فِي
بَيْتِ عَائِشَةَ...

«فَأُذِّنَ» عَلَى صِيفَةِ الْمَجْهُولِ مِنَ التَّأْذِينِ...
«مُرُوا» هَذَا أَمْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ... لِأَبِي بَكْرٍ...
«فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» تَقْدِيرُهُ فَقُولُوا لَهُ قَوْلِي فَلْيُصَلِّ...
«فَقِيلَ لَهُ» قَائِلُ ذَلِكَ عَائِشَةُ... كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ...
«أَسِيفٌ» مِنَ الْأَسْفِ وَهُوَ شِدَّةُ الْحُزَنِ...
وَالْمُرَادُ أَنَّهُ رَقِيقُ الْقَلْبِ... سَرِيعُ الْبُكَاءِ... وَلَا يَسْتَطِيعُ لُغْلَبَةَ الْبُكَاءِ وَشِدَّةَ
الْحُزَنِ...

وَالْأَسْفُ عِنْدَ الْعَرَبِ شِدَّةُ الْحُزَنِ وَالنَّدَمِ...
وَمِنْهُ قَوْلُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (يَا أَسْفًا عَلَيَّ يُوشَفَ) يَعْنِي وَاحْزَنَاهُ...
وَاجْزَعَاهُ... تَأْسَفًا وَتَوَجُّعًا لِفَقْدِهِ...
وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ «فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ إِذَا
قَرَأَ غُلِبَهُ الْبُكَاءُ»...

وَمِنْ رِوَايَةِ مَالِكٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْهَا بَلْفَظٍ قَالَتْ عَائِشَةُ «قُلْتُ: إِنْ أَبَا بَكْرٍ إِذَا
قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ... فَمُرْ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»...
«وَأَعَادَ» أَيِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ... مَقَالَتَهُ فِي أَبِي بَكْرٍ بِالصَّلَاةِ...

«فأعادوا له» أي من كان في البيت... يعني الحاضرون له مقاتلهم في كون أبي بكر أسيفاً...

فإن قلت: الخطاب لعائشة كما ترى فما وجه الجمع؟...
قلت: جَمَعَ لأنهم كانوا في مقام الموافقين لها على ذلك...
ووقع في حديث أبي موسى بالإفراد... ولفظه فعادت...
وفي رواية ابن عمر فعاودته...

«فأعاد الثالثة» أي فأعاد عليه الصلاة والسلام المرة الثالثة في مقاتله تلك...
وفي رواية أخرى «فراجعته مرتين أو ثلاثاً»...
وفي اجتهد عائشة في أن لا يتقدم والدها وجهان...
أحدهما: ما هو مذكور في بعض طرقه...
(قالت) وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب
الناس من بعده رجلاً قام مقامه أبداً...
وكنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به... فأردت أن يعدل
ذلك رسول الله... ﷺ... عن أبي بكر...
الوجه الثاني:

أنها علمت أن الناس علموا أن أباهما يصلح للخلافة... فإذا رأوه استشعروا
بموت رسول الله... ﷺ... بخلاف غيره...
«إِنَّكُمْ صَوَاحِبُ يُوشَفَ» أي مثل صواحيبه... في التظاهر على ما يردن من
كثرة الإلحاح فيما يمكن إليه...
وذلك لأن عائشة وحَفْصَةَ بالغتا في المعاودة إليه في كونه أسيفاً لا يستطيع
ذلك...

والصواحب جمع صاحبة...
وقيل يراد بها امرأة العزيز وحدها... وإنما جمعها كما يقال فلان يميل إلى
النساء وإن كان مال إلى واحدة...
وعن هذا قيل: إن المراد بهذا الخطاب عائشة وحدها...

كما أن المراد زليخا وحدها في قصة يوسف...
«يَهَادَى بَيْنَ رُجُلَيْنِ» يهادى بين اثنين... إذا كان يمشي بينهما معتمداً عليهما
من ضعفه... متمائلاً إليهما في مشيه من شدة الضعف... والرجلان هما العباس
ابن عبد المطلب... وعليّ بن أبي طالب... رضي الله تعالى عنهما...
«تَخُطَّانِ الْأَرْضَ» أي لم يكن يقدر على رفعهما من الأرض...
«أَنْ مَكَانَكَ» إلزم مكانك...
«ثُمَّ أُتِيَ بِهِ» أي أُتي برسول الله... ﷺ... حتى جلس إلى جنبه... وَيُنِ
ذلك في رواية الأعمش: حتى جلس عن يسار أبي بكر...

ما يستفاد من هذه القصة؟!

- الأول:
فيه الإشارة إلى تعظيم الصلاة بالجماعة.
- الثاني:
فيه تقديم أبي بكر وترجيحه على جميع الصحابة...
- الثالث:
فيه فضيلة عمر بن الخطاب بعده...
- الرابع:
فيه ملاطفة النبي... ﷺ... لأزواجه...
وخصوصاً لعائشة!!!
- الخامس:
فيه جواز مراجعة الصغير للكبير.
- السادس:
فيه المشاورة في الأمر العام.
- السابع:
فيه الأدب مع الكبير حيث أراد أبو بكر التأخر عن الصف...

الثامن:

البكاء في الصلاة لا يطلها وإن كثر... وذلك لأنه... ﷺ... علم حال أبي بكر في رقة القلب وكثرة البكاء ولم يعدل عنه ولا نهاه عن البكاء.

التاسع:

تأكيد أمر الجماعة والأخذ فيها بالأشد وإن كان المرض يرخص في تركها...

اختلفت الروايات:

هل كان النبي ﷺ... الإمام أو أبو بكر الصديق؟...
فجماعة قالوا الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة صريح في أن النبي ﷺ... كان الإمام إذ جلس عن يسار أبي بكر... ولقوله «فكان رسول الله... ﷺ... يصلي بالناس جالساً... وأبو بكر قائماً يقتدي به»... وكان أبو بكر مبلغاً لأنه لا يجوز أن يكون للناس إمامان...

وجماعة قالوا: كان أبو بكر هو الإمام...

لما رواه شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر...
وقال البيهقي: لا تعارض في أحاديثها... فإن الصلاة التي كان فيها النبي... ﷺ... إماماً هي صلاة الظهر يوم السبت أو يوم الأحد... والتي كان فيها مأموماً هي صلاة الصبح من يوم الاثنين...

وهي آخر صلاة صلاتها ﷺ... حتى خرج من الدنيا...

وقال نعيم بن أبي هند: الأخبار التي وردت في هذه القصة كلها صحيحة... وليس فيها تعارض... فإن النبي... ﷺ... صلى في مرضه الذي مات فيه صلاتين في المسجد... في إحداهما كان إماماً... وفي الأخرى كان مأموماً...

* * *

أقول... وشرفت عائشة شرفاً عظيماً...

حين قال لها النبي... ﷺ ... ولغيرها:

«إِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ...»

«مُرُوا أَبَا بَكْرٍ...»

«فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ...» 111

وفي رواية:

«قالت عائشة:

«إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء... فمر عمر فليصل

بالناس...»

«ففعلت حَفْصَةً...»

«فقال: مه... إِنَّكَ لَأَكْثَرُ صَوَاحِبِ يُوسُفَ... مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ

بالناس...»

«فقالت لعائشة: ما كنتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا...» 111

وذهبت عائشة بذلك الشرف العظيم 111.

وأي شرف هو أعظم من أن تُبَدِي رَأْيَا أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... ثم هو عليه

السلام يوجهها إلى الوجهة المثلى 112.

كَانَ يَكُونُ... فِي مِهْنَةٍ... أَهْلِهِ...؟!

عَنِ الْأَسْوَدِ... قَالَ:
«سَأَلْتُ عَائِشَةَ...
«مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ... يَضَعُ فِي بَيْتِهِ؟...
«قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ...
«تَعْنِي خِدْمَةُ أَهْلِهِ...
«فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«مَا كَانَ» كَلِمَةٌ لِلِاسْتِفْهَامِ...
«كَانَ يَكُونُ» فَائِدَةُ تَكْرِيرِ الْكُونِ الْإِسْتِمْرَارُ وَيَبَيِّنُ أَنَّهُ ﷺ... كَانَ يَدَاوِمُ
عَلَيْهَا...
«فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ» فَسَرَهَا فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: «تَعْنِي خِدْمَةُ أَهْلِهِ»...
وَالْمِهْنَةُ الْحَدَقُ بِالْخِدْمَةِ وَالْعَمَلِ... وَفِي رَوَايَةٍ فِي مِهْنَةِ بَيْتِ أَهْلِهِ...
وَقَدْ وَقَعَ الْمِهْنَةُ مَفْسُورَةً فِي الشَّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ... مِنْ طَرِيقِ عَمْرَةَ... عَنْ
عَائِشَةَ بَلَفْظًا:

«مَا كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ...
«يَحْلِبُ شَاتِيهِ...
«وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ»...
وَلِأَحْمَدَ... وَابْنُ حِبَانَ... مِنْ رَوَايَةِ عُرْوَةَ عَنْهَا:
«يَخِيطُ ثَوْبَهُ... وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ»...

وزاد ابن حبان: «ويوقع دلو»...
وزاد الحاكم في الإكليل: «وما رأيت ضرب يده امرأة ولا خادماً».

* * *

أقول... من هنا... من هذه الزاوية... زاوية أن عائشة زوج النبي...
ﷺ... التي تعاشره وتخالطه في حياته الخاصة... ويتيسر لها أن ترى وتسمع
ما ترى الزوجة وتسمع من زوجها...
فإذا تحدثت عنه ﷺ... نقلت إلينا أموراً لا تتيسر إلا لزوج النبي ﷺ...
بحكم المعاشرة... والمخالطة...
وهذا التفوق يبقى خاصاً بعائشة... رضي الله عنها... لسببين:
أنها زوج النبي... ﷺ...
وأنها التي عندها استعداد لأداء هذا الدور بالنسبة إلى الأمة كلها من بعد
حياة النبي ﷺ!!!.

حَفْصَةُ تَقُولُ...

لِعَائِشَةَ...

«مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا»...!؟

عَنْ عَائِشَةَ... أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... أَنَّهَا قَالَتْ:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ:

«مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ

الْبُكَاءِ... فَمُرْ عُمَرَ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ...»

«فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ:

قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ... فَمُرْ

عُمَرَ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ...»

«فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ...»

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:

«مَهْ... إِنْ كُنْ لِأَتْنِ صَوَاحِبِ يُوسُفَ... مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ لِلنَّاسِ...»

«فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«مَهْ» معناه اكفف لأنه زجر... فَإِنْ وَصَلْتَ نَوْتٍ وَقَلْتَ مَهْ مَهْ...

«إِنْ كُنْ» وَيُرْوَى «فَإِنْ كُنْ» أَيَّ أَنْ هَذَا الْجَنَسُ هُنَا اللَّاتِي شَوْشَنَ عَلَى يُوسُفَ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ... وَكَدَرْنَهُ... وَأَوْقَعْنَهُ فِي الْمَلَامَةِ...

أَقُولُ... مَشْهَدٌ عَلَى الْغَايَةِ مِنَ الْجَمَالِ...

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ تَقُولُ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ...

- وكان ذلك في حجرة عائشة -
 :«قولي له... إِنَّ أبا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُشْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ...
 فَمُرْ عُمَرَ... فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»^{١١}.
 فماذا كان من حفصة... رضي الله عنها؟^{١٢}
 أطاعت عائشة... وقالت مثل ما قيل لها^{١١١}
 فماذا قال سيد الخلق... ﷺ
 «...مَهْ...
 «إِنِّكَ... لَا تَتْنِ صَوَاحِبُ يُوسُفَ... مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»^{١١١}
 قَضِي الأَمْرُ... وَأَمَرَ ﷺ بِالْحَقِّ^{١١١}
 فماذا كان من حفصة^{١٢}
 «فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ:
 «مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا»^{١١١}
 فما هو الإشعاع الذي يتشعشع من ذلك المشهد؟^{١٢}
 يتشعشع منه أن عائشة حين قالت لحفصة ما قالت... أطاعتها حفصة...
 فلما كرّر النبي ﷺ... أمره «مُرُوا أبا بَكْرٍ...»...
 أدركت حفصة أنه ما كان ينبغي لها أن تقول ما قالت...
 وجعلت تعتب على عائشة «مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا»^{١١١}.
 وواضح من المشهد أَنَّ عائشة تُوجِّه حَفْصَةَ إِلَى ما تريد...
 وليست حفصة التي تُوجِّه عائشة...
 وهذا يشير إلى أن أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة كان معترفًا لها بمقامها ذلك... مقام
 الإمامة^{١١١}.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ...
تَتَحَدَّثُ عَنْ مَرَضِ...
رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
بِالتَّفْصِيلِ...!؟

لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَشَاهِدِ حَيَاتِهَا... مَعَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... إِلَّا هَذَا
الْمَشْهَدُ... لَكَانَ حَسْبَهَا شَرَفًا وَخُلُودًا...
هَا هِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ فِي مَرَضِهِ... مَرَضِ الْمَوْتِ...
هَا هِيَ تَرَوِي كَيْفَ أُغْمِيَ عَلَيْهِ... ﷺ... ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَسْأَلُ: أَصَلَّى النَّاسُ؟
إِلَى آخِرِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْعَلِيَّ...
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... إِلَّا هَذَا الْحَدِيثُ الْجَمِيلُ الْجَلِيلُ...
لَكَانَ كَافِيًا أَنْ تَرْتَفِعَ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ...
وَهَا هُوَ الْحَدِيثُ الْجَمِيلُ...
«عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ... بْنِ عَبْدِ اللَّهِ... بْنِ عُثْبَةَ... قَالَ:
«دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ:
«أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...؟»
قَالَتْ: بَلَى... ثَقُلَ النَّبِيُّ... ﷺ...
فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟...
«قُلْنَا: لَا... هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ...
«قَالَ: صَبُّوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ...
«قَالَتْ: فَفَعَلْنَا... فَاغْتَسَلَ...»

فَذَهَبَ لَيْتُوءَ... فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ... ثُمَّ أَفَاقَ...
«فَقَالَ ﷺ: أَصَلَّى النَّاسُ؟...»
«قُلْنَا: لَا... هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...»
«قَالَ: صَبُّوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ...»
«قَالَتْ: فَقَعَدَ فَأَغْتَسَلَ... ثُمَّ ذَهَبَ لَيْتُوءَ... فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ...»
«ثُمَّ أَفَاقَ... فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟...»
«فَقُلْنَا: لَا... وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...»
«فَقَالَ: صَبُّوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ...»
«فَقَعَدَ فَأَغْتَسَلَ... ثُمَّ ذَهَبَ لَيْتُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ...»
«ثُمَّ أَفَاقَ... فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟...»
«فَقُلْنَا: لَا... هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...»
«وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ...»
يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ... ﷺ... لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ...
«فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ... ﷺ... إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ...»
«فَاتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ...»
«فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ... وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا»
يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ...
«فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ...»
«فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ...»
«ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ... ﷺ... وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا
الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ...»
وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ...
«فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ...»
«فَأَرْوَمَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ... ﷺ... بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ...»
«قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ...»

«فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ...
 «قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي...
 «وَهُوَ يَأْتُمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ... ﷺ...
 «وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ...
 «وَالنَّبِيُّ ﷺ... قَاعِدٌ...
 «قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أُعْرِضُ عَلَيْكَ
 مَا حَدَّثَنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ... ﷺ...؟
 «قَالَ: هَاتِ...
 «فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا...
 «فَمَا أَكْثَرَ مِنْهُ شَيْئًا... غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتُ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ
 الْعَبَّاسِ؟...
 «قُلْتُ: لَا...
 «قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«بلى» بمعنى نعم... أحدثك...
 «لَمَّا قُلْتُ» يعني لما اشتد مرضه.
 «فِي الْمَخْطُوبِ» وهو المَرَكَن...
 «لِيَتَوَّءَ» أي لينهض بجهد...
 «فَأُعْصِي» فيه أن الإغماء جائز على الأنبياء لأنه شبيه بالنوم... وقال النووي:
 لأنه مرض من الأمراض... بخلاف المجنون فإنه لم يجر عليهم لأنه نقص...
 قلت: العقل في الإغماء يكون مغلوبًا... وفي المجنون يكون مسلوبًا...
 «قُلْنَا: لَا» يعني لم يُصَلُّوا...
 «عُكُوفٌ» جمع العاكف أي مجتمعون...
 «تِلْكَ الْأَيَّامُ» أي التي كان رسول الله... ﷺ... فيها مريضًا غير قادر على
 الخروج...

«الصلاة الظهر» هو صريح في أن الصلاة المذكورة كانت صلاة الظهر...
«وهو يَأْتُمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ» ورواية الأكثرين «فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم» من القيام...

«بصلاة النبي ﷺ» وقد قال الشافعي بأنه عليه الصلاة والسلام لم يصل بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة وهي هذه التي صلى فيها قاعدا... وكان أبو بكر فيها إماما ثم صار مأموما يسمع الناس التكبير...

* * *

أقول:

عُبِّدَ اللَّهُ بِسَأْلِهَا: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟...
فانطلقت أم المؤمنين عائشة تروي المشهد المقدس في أمانة وصدق وحب... وتفضله تفصيلا ۱۱۱

من أين لها هذه الرواية التفصيلية... لحظة لحظة... وكلمة كلمة ۱۱؟
من أنَّ المشهد كان في حجرتها... حيث كان يُمَرِّضُ رَسُولُ اللَّهِ...
ﷺ... مرضه الأخير...
وأعجب ما في الأمر أن عائشة تحكي ما حدث مشهدا مشهدا... في ترتيب وتتابع وتسلسل...

مثال ذلك أنها قالت في أربع مرات:
الأولى: «أَصَلَّى النَّاسُ؟... قلنا: لا هم ينتظرونك»...
والثانية: «أَصَلَّى النَّاسُ؟... قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله»...
وفي الثالثة: «أَصَلَّى النَّاسُ؟... فقلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله ۱۱۱
وفي الرابعة: «أَصَلَّى النَّاسُ؟... فقلنا: لا... هم ينتظرونك يا رسول الله...
أربع مشاهد متتابعة تسجلها كما حدثت بحوارها وألفاظها وتتابعها...
غاية في الإتيان... وغاية في الصدق... وغاية في الذكاء... وقوة
الحافظة...

رغم ما هو معلوم عن النساء غالبا من كثرة النسيان...

إلا أنَّ عائشة لم تنسَ منظرًا واحدًا من المناظر... وإنما سجلتها بتمامها...
وصورتها بكمالها...

وهذه خصيصة اختص الله بها عائشة رضي الله عنها... لتكون خزانة لعلوم
الشريعة تختزنها في حياة النبي... ثم تستخرجها بعد وفاته...
لتنفع بها الأمة كلها إلى يوم القيامة...

ودليل ذلك أنَّ عُبيد الله ذهب يعرض ما حَدَّثت عائشة على عبد الله بن
عباس... فشهد ترجمان القرآن بِصدقها في جميع ما رَوَتْ...

«قال عُبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس... فقلت له: ألا أعرض
عليك ما حدثني عائشة عن مرض النبي...؟»

«قال: هات...»

«فعرضت عليه حديثها...»

«فما أنكر منه شيئًا...!!!»

فما معنى هذا؟!!

معناه أن الله أعطى عائشة استعدادًا خاصًا... يجعلها تحفظ ما تسمع...
وتعي ما تشهد... ثم تؤديه في صدق تام... إلى السائلين... والمستفسرين...
وهذه خصيصة نادرة في النساء...

فما أكثر ما ينسين وتختلط عليهن الأمور!!!

رضي الله تعالى عن الصديقة بنت الصديق!!!

عائشة تسأل...

رسول الله صلى الله عليه وسلم...

عن الالتفات في الصلاة...؟

عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:
«سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ...
«فَقَالَ: هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ».

[أخرجه البخاري]

«هو اختلاس» وهو الاختطاف بسرعة...
«يختلسه الشيطان» والمعنى أن المصلي إذا التفت يمينًا وشمالًا يظفر به
الشيطان في ذلك الوقت... ويشغله عن العبادة...
فربما يسهو أو يغلط لعدم حضور قلبه... باشتغاله بغير المقصود... ولما كان
هذا الفعل غير مرضى عنه نسب إلى الشيطان...
وعن هذا قال العلماء بکراهة الالتفات في الصلاة...
وقال الطيبي: المعنى من التفت ذهب عنه الخشوع... فاستعير لذهابه اختلاس
الشيطان تصويرًا لقبح تلك الفعل...
أو أن المصلي مستغرق في مناجاة ربه وأنه تعالى يقبل عليه... والشيطان
كالراصد ينتظر فوات تلك الحالة عنه... فإذا التفت المصلي اغتتم الفرصة...
فيختلسها منه...
وقيل: أضيف إلى الشيطان لأن فيه انقطاعًا من ملاحظة التوجه إلى الحق سبحانه
وتعالى...

ثم إن الإجماع على أن الكراهية فيه للتنزيه...
وقال مالك: الالتفات لا يقطع الصلاة...

وقال ابن القاسم: فإن التفت بجميع بدنه لا يقطع الصلاة... ووجه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأمر منه بالإعادة حين أخبر أنه اختلاس من الشيطان... ولو وجبت فيه الإعادة لأمرنا بها لأنه نُصِب معلماً... وممن كان لا يلتفت فيها الصديق والفاروق... وقال ابن مسعود: إن الله لا يزال ملتفتاً إلى العبد ما دام في صلاته ما لم يحدث أو يلتفت...

* * *

أقول... إن عائشة هنا تسأل رسول الله... رأساً...
وها هنا المقام الرفيع الذي نالته أم المؤمنين...
إذا أرادت أن تتعلم سألت رسول الله... رأساً...
تقول: سألت رسول الله... عن الالتفات في الصلاة...
فقال: «هو اختلاس... يختلسه الشيطان من صلاة العبد»...
كلمات معدودات نقلتها إلينا أم المؤمنين... عن رسول الله... رأساً...
لتصبح تلك المعدودات بعد ذلك باباً عريضاً من أبواب الفقه... فيه يصطرح الفقهاء... ويختلف العلماء...
وكُل هذا الخير... يترقق من كلمات معدودات قالها... إجابة لسؤال زوجه رضي الله عنها...
فكيف لا تكون عائشة بعد ذلك فاتحة خير عميم للأمة كلها...
وهي تنقل إليهم في أمانة... وإتقان... ما سمعت أو رأت منه... ١١٩.

عائشة تقول:

«فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ...»

خَدِّي عَلَى خَدِّهِ»...؟!!

عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ...»

«وَعِنْدِي جَارِيتَانِ تُغَيَّيَانِ بِغِنَاءٍ بُعَاثَ...»

«فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ...»

«وَحَوَّلَ وَجْهَهُ...»

«وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ... فَأَنْتَهَرَنِي وَقَالَ:

مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ...»

«فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ...»

«دَعَاهُمَا...»

«فَلَمَّا خَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا...»

«وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ... يَلْعَبُ السُّودَانُ بِاللُّدْرِقِ وَالْحِزَابِ...»

«فَإِنَّمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ...»

«وَإِنَّمَا قَالَ: أَتَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟...»

«فَقُلْتُ: نَعَمْ...»

«فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ... خَدِّي عَلَى خَدِّهِ...»

«وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ...»

«حَتَّى إِذَا مَلَأْتُ قَالَ: حَسْبُكَ...»

«قُلْتُ: نَعَمْ...»

«قَالَ: فَأَذْهَبِي...»

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«دَعَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» في رواية الزهري «في أيام منى»...
«جارتان» والجارية في النساء كالغلام في الرجال... وفي الباب الذي بعده
من جوارى الأنصار...

«تَغْيَانٍ» وفي رواية الزهري «تَدْفَانٍ» أي تضربان بالدف... وفي رواية مسلم
«تَغْيَانٌ بَدْفٌ»... وفي رواية النسائي «بَدْفَيْنِ» والْدَف هو الذي لا جلاجل فيه...
فإن كانت فيه فهو المزهر...
«تَغْيَانٌ بَغْنَاءٍ بُعَاثٌ» بما تناولت الأنصار يوم بُعَاث... أي قال بعضهم لبعض
من فخر وهجاء...

«بَغْنَاءٌ بُعَاثٌ» هو اسم حصن للأوس... ويوم بُعَاث يوم مشهور من أيام
العرب... كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج... وبقيت الحرب مائة
وعشرين سنة إلى الإسلام...

«فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ» وفي رواية الزهري «أنه تغشى بثوبه»... وفي رواية
لمسلم «تسجى» أي التف بثوبه...
«وَدَعَلَ أَبُو بَكْرٍ» قلت: يمكن أن يكون مجيئه لمنعه الجاريتين المذكورتين
عن الغناء...

«فَانْتَهَرَنِي» أي زجرني... وفي رواية الزهري «فانتهرهما»... أي الجاريتين...
والتوفيق بينهما أنه نهر عائشة لتقريرها ذلك... ونهرهما لفعلهما ذلك في بيت
النبي ﷺ...

«مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ» يعني الغناء أو الدف... وهي مشتقة من الزمير وهو الصوت
الذي له صفير... وسميت به الآلة المعروفة التي يزمر بها... وإضافتها إلى
الشيطان من جهة أنها تلهم وتشغل القلب عن الذكر... وفي رواية حماد عند
أحمد. «فقال: يا عباد الله المزمور عند رسول الله ﷺ»...؟

«فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ» أي على أبي بكر رضي الله تعالى عنه... وفي رواية الزهري
«فكشف النبي ﷺ... عن وجهه»...

«فَقَالَ دَعُهُمَا» أي فقال النبي ﷺ... لأبي بكر دع الجاريتين... أي

اتركهما... وفي رواية هشام «يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا»...
هذا تعليل لنهييه ﷺ إياه بقوله «دعهما»... وبيان لخلاف ما ظنه أبو بكر من
أنهما فعلتا ذلك بغير علمه... لكونه دخل فوجد النبي ﷺ مغطى بثوبه نائمًا... ولا
سيما كان المقرر عنده منع الغناء واللهو... فبادر إلى إنكار ذلك قيامًا عن النبي
ﷺ... فأوضح ﷺ الحال وبينه بقوله: «إن لكل قوم عيدًا»... أي إن لكل طائفة
من الملل المختلفة عيدًا... وإن هذا اليوم يوم عيدنا... وهو يوم سرور شرعي فلا
ينكر مثل هذا...

على أن ذلك لم يكن بالغناء الذي يهيج النفوس إلى أمور لا تليق...
«عَمَزْتُهُمَا» الغمز الإشارة بالعين والحاجب... أو اليد... والرمز كذلك...
«كَانَ يَوْمَ عِيدٍ» أي كان ذلك اليوم يوم عيد... وكان القائل بذلك عائشة
رضي الله تعالى عنها... ويدل عليه ما وقع في رواية الجوزقي في هذا الحديث
«وقالت عائشة كان يوم عيد»...

«فَلَمَّا سَأَلْتُ» أي التمسست من رسول الله... ﷺ النظر إليهم...
وكلمة إمّا فيه تدل على تردها فيما كان وقع منها... هل كان ﷺ أذن لها في
ذلك ابتداء منه من غير سؤال منها... أو كان عن سؤال منها إياه في ذلك؟...
«أَتَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟» أَتَشْتَهِينَ النظر إلى السودان؟...
وقد اختلفت الروايات عنها في ذلك...

ففي رواية النسائي: «سمعنا لغطًا وصوت صبيان فقام النبي ﷺ فإذا حبشية
ترفن» أي ترقص... «والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري»...
فهذا يدل على أنه سألها...

وفي رواية عند مسلم «أنها قالت... وددت أني أراهم»...
ففي هذا يحتمل أن يكون السائل هو النبي ﷺ... وأن تكون عائشة - لا كما
جزم به البعض - أنها سأله...

ورواية للنسائي من طريق أبي سلمة عنها:
«دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

يا حميراء تحبين أن تنظري إليهم؟... فقلت: نعم...
إسناده صحيح... قال بعضهم: ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا...

«خَدِّي عَلَى خَدِّهِ»... وقد اختلفت الروايات في هذا اللفظ...
ففي رواية مسلم «فوضعت رأسي على منكبيه»...
وفي رواية أبي سلمة «فوضعت ذقني على عاتقه»... وأسندت وجهي إلى خَدِّهِ...

وفي رواية عبيد بن عمير عنها «أنظر بين أذنيه وعاتقه»...
وفي رواية الزهري «فيسترني وأنا أنظر»...
«وهو يقول: دُونَكُمْ» أي الزموا ما أنتم فيه... وعليكم به...
«يا بني أَرَفْدَةٌ» وهو لقب للحبشة... أو اسم أبيهم الأقدم... وقيل جنس منهم...

وفي رواية الزهري عن عروة «فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ أَمْنَا
بني أَرَفْدَةَ» أي ائمنوا أمنا ولا تخافوا...
«حتى إذا مَلَلْتُ» من الملل وهو السآمة...
وفي رواية الزهري «حتى أكون أنا الذي أسأم»...
ولمسلم من طريقه «حتى أكون أنا الذي أنصرف»...
وفي رواية عند النسائي «أما شبعث؟... أما شبعث؟... قالت: فجعلت أقول لا... لأنظر منزلتي عنده»...

وله من رواية أبي سلمة عنها:
«قلت: يا رسول الله... لا تعجل...
«فقام لي...
«ثم قال: حسبك...
«قلت: لا تعجل...
«قلت: وما بي حُبَّ النظر إليهم»...

«ولكن أحبيت أن تبلغ النساء مقامه لي...
«ومكانه مني»...
قوله «حشبتك» أي أحشبتك؟... أي أكافيك هذا القدر؟...

ما يستفاد منه؟!

في رواية ابن حبان أن ذلك وقع لما قدم وفد الحبشة... وكان قدومهم
سنة سبع... فيكون عمرها حينئذ خمس عشرة سنة...
فيه مشروعية التوسعة على الأولاد في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم به
بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة...
فيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعائر الدين...
فيه الرفق بالمرأة واستجلاب مودتها...
فيه بيان أخلاق النبي... ﷺ... الحسنة... ولطفه... وحسن شمائله
ﷺ....

* * *

أقول... حديث رائع... فيه جمال عجيب!!!
الكلام عنه لا يغني عن التأمل فيه... وكيف كانت أم المؤمنين عائشة؟
وكيف كانت أخلاق النبي... ﷺ...؟
وأترك للقارئ بعد ذلك أن يفهم ما شاء الله له أن يفهم!!!.

عائشة تقول:

«فَإِنْ كُنْتُ يَقْظَى...»

تَحَدَّثَ مَعِيَ...؟!...

عن عائشة... أم المؤمنين... رضي الله عنها...
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... كَانَ يُصَلِّي جَالِسًا... فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ...
«فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً... قَامَ فَقَرَأَهَا وَهُوَ قَائِمٌ...»

«ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ...
«يَفْعَلُ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ...
«فَإِذَا قَضَى صَلَاتَهُ نَظَرَ...
«فَإِنْ كُنْتُ يَقْظَى تَحَدَّثَ مَعِيَ...
«وَإِنْ كُنْتُ نَائِمَةً اضْطَجَعْتُ».

[أخرجه البخاري]

هذا طريق آخر من حديث عائشة...
وقال الترمذي عن أحمد وإسحاق... من أن حديثي عائشة معمول بهما... وهو قول الجمهور... وبقية الأئمة الأربعة وغيرهم... خلافاً لمن منع الانتقال من القيام إلى القعود عند عدم الضرورة لذلك وهو غلط...
وروى الترمذي أيضاً «عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: سألتها عن صلاة النبي ﷺ... عن تطوعه... قالت: كان يصلي ليلاً طويلاً قائماً... وليلاً طويلاً قاعداً... فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم... وإذا قرأ وهو جالس ركع وسجد وهو جالس...»
«عن أبي سلمة... عن أم سلمة قالت: والذي نفسي بيده ما مات رسول الله

ﷺ حتى كان أكثر صلاته قاعداً إلا المكتوبة...

* * *

أقول... تقول أم المؤمنين رضي الله عنها:

«إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ نَظَرَ...»

«فَإِنْ كُنْتُ يَقْضِي تَحَدَّثَ مَعِي...»

«وَأِنْ كُنْتُ نَائِمَةً اضْطَجَعَ...»!!!

ما أسعدها في تلك اللحظات!!!

حين يتحدث معها!!!

أو حين يضطجع وهي إلى جواره!!!

يا عائشة...

إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانِ...
وَلَا يَنَامُ قَلْبِي...!؟

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره...
«أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
«كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ فِي رَمَضَانَ؟...
«فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ... وَلَا فِي غَيْرِهِ...
عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً...
«يُصَلِّي أَرْبَعًا... فَلَا تَسَلُّ عَنْ حُسْنِيَّهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ...
«ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا... فَلَا تَسَلُّ عَنْ حُسْنِيَّهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ...
«ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا...
«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتِرَ؟...
«فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ... إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانِ... وَلَا يَنَامُ قَلْبِي.»

[أخرجه البخاري]

«في رمضان» أي في ليالي رمضان...
«فَلَا تَسَلُّ عَنْ حُسْنِيَّهِنَّ» معناه هنَّ في نهاية من كمال الحسن والطول...
مستغنيات لظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنهن والوصف...
«أَرْبَعًا» أي أربع ركعات...
«أَتَنَامُ» الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار والاستعلام...
«وَلَا يَنَامُ قَلْبِي» ليس فيه معارضة لما مضى في باب الصعيد الطيب وضوء
المسلم... أنه ﷺ نام حتى فاتت صلاة الصبح وطلعت الشمس... لأن طلوع
الشمس متعلق بالعين لا بالقلب... إذ هو من المحسوسات لا من المعقولات...

ما يستفاد منه؟!

فيه أن عمله ﷺ... كان ديمة... في شهر رمضان وغيره... وأنه كان إذا عمل عملاً أثبتته وداوم عليه...
وفيه تعميم الجواب عند السؤال عن شيء... لأن أبا سلمة إنما سأل عائشة رضي الله تعالى عنها... عن صلاة رسول الله ﷺ... في رمضان خاصة...
فأجابت عائشة بأعم من ذلك... وذلك لتلا يتوهم السائل أن الجواب مختص بمحل السؤال...
وفيه أنه ﷺ... لا ينتقض وضوؤه بالنوم... لكون قلبه لا ينام...
وهذا من خصائص الأنبياء... عليهم الصلاة والسلام...
كما ثبت في الصحيح من قوله: «وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»...
وفيه أن صلاته ﷺ... كانت متساوية في جميع السنة... بين ما يستفتح به الصلاة وما بعد ذلك...

الأسئلة والأجوبة؟!

منها أنه ثبت في الصحيح من حديث عائشة أنه ﷺ «كان إذا دخل العشر الأواخر يجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره»...
وفي الصحيح أيضًا من حديثها «كان إذا دخل العشر... أحيا الليل... وأيقظ أهله... وجدّ وشدّ المنزر»...
وهذا يدل على أنه كان يزيد في العشر الأخير على عادته...
فكيف يجمع بينه وبين حديث الباب؟...
فالجواب: إن الزيادة في العشر الأخير... تُحمل على التطويل دون الزيادة في العدد...

ومنها... أن الروايات اختلفت عن عائشة في عدد ركعات صلاة النبي...
ﷺ... بالليل... وفي مقدار ما يجمعه منها بتسليم...
والجمع بين هذا الاختلاف... أنه ﷺ... فعل جميع ذلك في أوقات
مختلفة....

ومنها... أنه اختلفت أيضًا الأحاديث الواردة في هذا الباب... في عدد
صلاته...

الجواب: بأن ذلك بحسب ما شاهد الرواة كذلك...
فربما زاد... وربما نقص... وربما فرق قيام الليل مرتين... أو ثلاثًا...
ومن عد ذلك تسعًا أسقط ركعة الوتر...
ومن زاد على ثلاث عشرة ركعة... فيكون قد عدّ سنة العشاء... أو
ركعتي الفجر... أو عدّهما جميعًا!!!

* * *

أقول... روايات عديدة مستفيضة... عن عائشة رضي الله عنها... في
كيفية صلاة رسول الله... ﷺ... بالليل... في رمضان... وفي غير
رمضان...

والعلماء يفيضون في شرحها... وتأويلها... واستنباط الأحكام الفقهية
منها...

فأي ثروة هي أعظم؟

وأي بحر هو أوسع؟

مما تركت عائشة زوج رسول الله... ﷺ... للأمة كلها؟... أمّا العلماء
فمن أقوالها يستنبطون... وأمّا سائر الناس... فإنهم يتبعون ويهتدون!!!

عندما كَشَفَ أَبُو بَكْرٍ...
عن وجهه صلى الله عليه وسلم...
ثُمَّ قَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ...
ثُمَّ بَكَى...!!؟

أين كان هذا المشهد المقدس؟
كان في حجرة عائشة!!!
تلك الحجرة الخالدة الشريفة... التي أراد الله لها أن تبقى إلى يوم
القيامة... شاهداً على أحداث تتصل بحياة النبي... ﷺ... ومرضه...
وموته... ودفنه!!!
«أخبرني أَبُو سَلَمَةَ...
«أَنَّ عَائِشَةَ... رضي الله عنها... زَوْجَ النَّبِيِّ... ﷺ... أَخْبَرَتْهُ... قَالَتْ:
«أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ... رضي الله عنه... عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكِنِهِ بِالسُّنْحِ...
«حَتَّى نَزَلَ... فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ... فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ
رضي الله تعالى عنها...
«فَتَيَمَّمِ النَّبِيُّ ﷺ... وَهُوَ مُسَجًى بِبُزْدِ حَبْرَةٍ...
«فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ...
«ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ...
«ثُمَّ بَكَى... فَقَالَ:
«يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ... لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ... أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا...».

[أخرجه البخاري]

«بالسُّنْح» وهو منازل بني الحارث بن الخزرج... بينها وبين منزل رسول الله... ﷺ ... ميل...

«فَتَيْمَم» أي قصد النبي... ﷺ ...

«وهو مُسَجَّى» معنى مسجى هنا مغطى...

«بَبُرْدٍ جَبْرَةٍ» هو نوع من الثياب... ثوب يمانى يكون من قطن أو كتان مخطط...

«ثم أكبَّ عليه فقبَّله» أي بين عينيه... وقد ترجم عليه النسائي... وأورده صريحاً حيث قال تقبيل الميت وأين يُقبَّل منه...

قال... عن عروة «عن عائشة أن أبا بكر قبَّل بين عيني النبي ﷺ وهو ميت»...

«بأبي ألت» أي أنت مفدى بأبي...

«لا يجمع الله عليك موتتين» لم يجمع الله عليك شدة بعد هذا الموت... لأن الله تعالى قد عصمك من أهوال القيامة...

«التي كتَّبتَ الله» أي قدر الله...

«مُتَّهَا» بضم الميم وكسر ها...

ما يستفاد منه؟!

فيه استحباب تسجية الميت...

وفيه جواز تقبيل الميت لفعل أبي بكر... رضي الله تعالى عنه... وكان أبو بكر في تقبيله النبي ﷺ... لم يفعله إلا قدوة به عليه الصلاة والسلام... لما روى الترمذي مصححاً «أن رسول الله ﷺ... دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت... فأكب عليه وقبَّله... ثم بكى... حتى رأيت الدموع تسيل على وجنتيه»...

وفيه جواز البكاء على الميت من غير نوح...

وفيه أن الصديق أعلم من عمر...

وهذه إحدى المسائل التي ظهر فيها ثاقب علمه... وفضل معرفته...
ورجاجة رأيه... وبارع فهمه... وحسن إسماعه بالقرآن... وثبات نفسه...
وفي اهتمام عائشة رضي الله تعالى عنها... بأمر الشريعة...
وأنها لم يشغلها ذلك عن حفظها ما كان من أمر الناس في ذلك اليوم...
وفيه الدخول على الميت بغير استئذان... ويجوز أن يكون عند عائشة
غيرها... فصار كالمحفل لا يحتاج الداخل إلى إذن... وروي أنه استأذن فلما
دخل أذن للناس...

* * *

أقول... حافظة عجيبة... وعقل رفيع المستوى...
المشهد مشهد تذوب له القلوب حزنًا...
مشهد وفاة النبي... ﷺ...
زوجها... وفي حجرتها... وجسده الشريف مسجى بجوارها...
والداخل أبوها... أبو بكر... أكب على النبي... ﷺ... فقَبَلَهُ... بين
عينيه... ثم بكى...
والناس جميعًا في ذهول وحزن يعقل العقول... وعلى رأسهم عُمر بن
الخطاب...
ومع هذه الأحزان كلها... وهذه الشدائد كلها... لم تفقد عائشة توازنها
بسبب الحزن... على أحب الخلق إليها...
والما هي ثابتة واعية... تسجل حافظتها كل صغيرة وكبيرة...
حتى نقلتها إلينا نقلًا أمينًا!!!.

عائشة...

تُصَحِّح رواية...

رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ...

صلى الله عليه وسلم...؟!!

فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ...

«دَخَلَ صُحَيْبٌ يَتَكِي يَقُولُ: وَأَخَاهُ... وَاصَاحِبَاهُ...

» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا صُحَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ... وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:

إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؟...

«قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

» ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... فَقَالَتْ:

«رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ...

» وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ

عَلَيْهِ... وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ

أَهْلِهِ عَلَيْهِ...

» وَقَالَتْ: حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...

«قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... عِنْدَ ذَلِكَ... وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ

وَأَبْكَى...».

[من حديث أخرجه البخاري]

وقد مال إلى قول عائشة... الشافعي... فيما رواه البيهقي في سننه عنه

فقال:

«وما رَوَتْ عائشة... عن رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم... أشبه أن يكون محفوظاً عنه... عليه الصلاة والسلام...»

«بدلالة الكتاب... ثم الشئنة...»

«أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾... وقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾...»

«وقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾... وقوله تعالى ﴿لِشَجَزَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾...»

«وأما الشئنة... فقوله ﷺ لرجل: هذا ابنك؟... قال: نعم... قال: أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه...»

«فأعلم رسول الله ﷺ مثل ما أعلم الله من أن جناية كل امرئ عليه... كما عمله لا لغيره...»

«وأما قول من حمل ذلك على الوصية بذلك... نقله النووي عن الجمهور أنهم تأولوا ذلك على من وصى أن يبكي عليه ويناح بعد موته فنقضت وصيته...»

«فلما أصيب عُمرُ يعني بالجراحة التي جرح بها... والتي مات فيها.

«أتبكي علي؟».. الهمزة للاستفهام على سبيل الإنكار...»

«رَحِمَ اللَّهُ عُمرَ» من الآداب الحسنة... على منوال قوله تعالى ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾...»

«فاستغريت من عمر ذلك القول... فجعلت قولها رحم الله عمر تمهيداً ودفعاً لما يوحش من نسبته إلى الخطأ...»

«والله ما حدث رسول الله ﷺ وجه جزم عائشة بذلك أنها لعلها سمعت صريحاً من رسول الله... اختصاص العذاب بالكافر... أو فهمت الاختصاص بالقرائن...»

«حَسْبُكُمْ» أي كافيكم من القرآن أيها المؤمنون هذه الآية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾...»

«قال ابن عباس عند ذلك» أي عند انتهاء حديثه عن عائشة قال: «والله هو

أضحك وأبكى... أي أن العبرة لا يملكها ابن آدم... ولا تسبب له فيها...
فضلاً عن الميت... فكيف يُعاقب عليها؟
والحاصل أن العلماء ذكروا في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الميت
يعذب ببكاء أهله» ثمانية أقوال...
أصحها... وهو تأويل الجمهور... على أنه محمول على من أوصى به...
والله ذهب البخاري...

* * *

أقول... ها هي عائشة... التي أعطاه الله استعداداً عالياً لفقهه...
وتفهم... وتبدي رأيها في قضية خطيرة!!!
وتقطع وتجزم فتقول:
«والله ما حدث رسول الله... ﷺ... إن الله ليُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ
عَلَيْهِ...
«ولكن رسول الله... ﷺ قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله
عليه...»!!!
ما هذا الفقه... وما هذا الفهم الرفيع المستوى؟!!!
إنها ابنة أبي بكر!!!

كانت...

عائشة...

من أجود الناس...!؟

عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:

«دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ...

«فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا...

«غَيْرَ تَمْرَةٍ...

«فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا...

«فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا... وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا...

«ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ...

«فَدَخَلَ النَّبِيُّ... عَلَيْنَا... فَأَخْبَرْتُهُ...

«فَقَالَ: مَنْ ابْتَلَى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ» الظاهر أنها إشارة إلى أمثال المذكورات من أصحاب الفقر

والفاقة...

ويحتمل أن يراد به الإشارة إلى جنس البنات مطلقاً...

والنما قال سترًا ولم يقل أسترًا... لأن المراد الجنس فيتناول القليل

والكثير...

«بِشَيْءٍ» أي أحوال البنات... أو من نفس البنات...

أي من ابتلي منهن بأمر من أمورهن... أو... من ابتلي ببنت منهن...

سماه ابتلاء لموضع الكراهة لهن... كما أخبر الله تعالى...

وفيه حصّ على الصدقة بالقليل...

وإعطاء عائشة التمرة لثلاث سائل خائبات... وهي تجد شيئاً...
وروي أنها أعطت سائلاً حبة عنب... فجعل يتعجب...
فقالت: كم ترى فيها مثقال ذرة؟...
ومثله قوله ﷺ لأبي تميمة الهجيمي «لا تحقرن شيئاً من المعروف ولو أن
تضع من دلك في إناء المستسقي»...
وفي قصة المرأة التمرة بين ابنتيها... لما جعل الله في قلوب الأمهات من
الرحمة...
وفيه أن النفقة على البنات والسعي عليهن من أفضل أعمال البر المنجية
من النار...
وكانت عائشة... رضي الله تعالى عنها... من أجود الناس...
أعطت في كفارة يمين أربعين رقبة...
وقيل فعلت ذلك في نذر مبهم...
وكانت ترى أنها لم توف بما يلزمها فيه...
وأعانت المنكدر في كتابته بعشرة آلاف درهم!!!.

عائشة تقول:

«طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ...»

بأطيب ما أجِدُ...؟!«

عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:
«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطَّيِّبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... وَهُوَ مُخْرِمٌ».

[أخرجه البخاري]

أخرجه الطحاوي من ثمانية عشر طريقًا عن الأسود عن عائشة مثل رواية البخاري... غير أن لفظه في مفرق رسول الله ﷺ...

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة... أنها كانت تطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأطيب ما تجده من الطيب... قالت: حتى أرى وبيص الطيب في رأسه ولحيته...

وعن عروة عن عائشة قالت:

طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَطْيَبِ مَا أَجِدُ...

وعن القاسم عنها قالت: طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي لِإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْرُمَ...

وعن ابن عمر عنها قالت: كُنْتُ أَطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَالِيَةِ الْجَيِّدَةِ عِنْدَ إِحْرَامِهِ...

وعن القاسم عنها قالت: طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَرَمِهِ حِينَ أَحْرَمَ...

وعن عطاء عنها: طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَلِّ وَالْإِحْرَامِ...

«كأنِّي أنظرُ» أرادت بذلك قوة تحققها لذلك بحيث أنها لشدة استحضارها له كأنها ناظرة إليه...

«إلى وَيَص» وهو البريق... والمراد أثر الطيب لا جرمه... وقيل: الويص زيادة على البريق والمراد به التلألؤ...
«في مفارق» جمع مفرق وهو وسط الرأس.

ما يستفاد منه؟

احتج به أبو حنيفة... وأبو يوسف... وزفر... في أن المحرم إذا تطيب قبل إحرامه بما شاء، الطيب منكأ كان أو غيره، فإنه لا بأس به... ولا شيء عليه... سواء كان مما يبقى عليه بعد إحرامه أو لا... ولا يضره بقاؤه عليه...

وبه قال الشافعي وأصحابه... وأحمد... والثوري... والأوزاعي... وهو قول عائشة... راوية الحديث، وسعد بن أبي وقاص... وابن عباس... وابن الزبير... وابن جعفر... وأبي سعيد الخدري... وجماعة من التابعين بالحجاز والعراق... الخ...

* * *

أقول... ليس الذي يعيننا في هذا الكتاب الأحكام الشرعية التي أسسها الفقهاء على حديث عائشة حتى قال أبو عمر:

«حديث عائشة هذا حديث صحيح... ثابت... لا يختلف أهل العلم في صحته وثبوته... وقد روي عن عائشة من وجوه»...

أقول... لا يعيننا في هذا الكتاب عظمة الأحكام الشرعية التي استنبطت من الحديث... رغم أهميتها بالنسبة للأمة كلها في أحكام فريضة الحج... وإنما الذي يعيننا ونركز عليه هو دلالة الحديث على شدة حُبِّ عائشة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم...
استمع:

«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... وَهُوَ مُخْرِمٌ»!!!
وفي رواية «طَيِّبَتْ رَسُولُ اللَّهِ... صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... بِيَدِي
لِإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْرِمَ»!!!.

وفي رواية: «كَثُثَ أَطْيَبُ رَسُولِ اللَّهِ... صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...
بِالْغَالِيَةِ الْجَيِّدَةِ عِنْدَ إِحْرَامِهِ»!!!.

وفي رواية: «طَيِّبَتْ رَسُولُ اللَّهِ... صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... بِأَطْيَبِ مَا
أَجَدَ»!!!.

أنظر إلى التعبير «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»!!!
إِنَّ عَيْنَهَا دَائِمَةُ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ... مِنْ شِدَّةِ حُبِّهَا... وَشِدَّةِ حَنَانِهَا!!!
إِنَّهَا تَرَوِي الْمَشْهَدَ بَعْدَ سِنِينَ مِنْ وَقْعِهِ... وَلَكِنهَا تَذْكُرُهُ جَيِّدًا...
وَتُسْتَعِيدُهُ كَأَنَّهُ تَرَاهُ الْآنَ أَمَامَهَا...
إِنَّهُ الْحُبُّ...

حُبٌّ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ... الْحَبِيبِ... أَغْلَى حَبِيبٍ!!!

الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ حَبِيبٌ!!!

أَوْ أَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهَا: «بِيَدِي»...

كَأَنَّهُ تَعْلَنَ إِلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... أَنْ كَانَ لَهَا أَعْظَمُ الشَّرَفِ

حِينَ طَيَّبَتْهُ ﷺ بِيَدِهَا!!!

أَوْ أَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهَا: «بِالْغَالِيَةِ الْجَيِّدَةِ»...

إِنَّهَا تَرِيدُ أَنْ تَطْيِيبَهُ بِأَغْلَى الطَّيِّبِ... أَغْلَى مَا يَتَصَوَّرُ وَيَسْتَطَاعُ لَهَا!!!

كَمَا قَالَتْ: «بِأَطْيَبِ مَا أَجَدَ»!!!

فَمَا مَعْنَى هَذَا كُلِّهِ؟!!

مَعْنَاهُ أَنَّ حُبَّ عَائِشَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ... فَاقَ كُلَّ تَصَوُّرٍ... وَبَلَغَ غَايَةَ لَيْسَ

وَرَاءَهَا غَايَةً!!!

تَلْمَسُ ذَلِكَ فِي كَلِمَاتِهَا وَهِيَ تَرَوِي وَتَصَوِّرُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ الْمُقَدَّسَ...

مَشْهَدَ تَطْيِيبِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... بِيَدِهَا!!!

عائشة...

تطوف بالبيت...

وتجاور بمكة...؟!

أخبرني عطاء...

«إِذْ مَنَّ ابْنُ هِشَامِ النُّسَاءِ الطُّوَّافَ مَعَ الرِّجَالِ...»

«قَالَ: كَيْفَ تَمْنَعُهُنَّ؟... وَقَدْ طَافَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ... مَعَ الرِّجَالِ؟...»

«قُلْتُ: أَبْغَدَ الْحِجَابِ؟... أَوْ قَبْلُ؟...»

«قَالَ: إِي لَعْمَرِي لَقَدْ أَذْرَكْتُه بَعْدَ الْحِجَابِ...»

«قُلْتُ: كَيْفَ يُخَالِطُنَ الرِّجَالُ؟...»

«قَالَ: لَمْ يَكُنْ يُخَالِطُنَ...»

«كَانَتْ عَائِشَةُ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... تَطُوفُ حَبْرَةً مِنَ الرِّجَالِ... لَا

تُخَالِطُهُمْ...»

«فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: انْطَلِقِي نَسْتَلِمُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ...»

«قَالَتْ: عَنْكَ...»

«وَأَبَتْ...»

«فَكُنَّ يَخْرُجْنَ مُتَتَكِرَاتٍ بِاللَّيْلِ فَيَطْفَنَ مَعَ الرِّجَالِ...»

«وَلَكِنَّهُنَّ كُنَّ إِذَا دَخَلْنَ الْبَيْتَ فَمَنْ حَتَّى يَدْخُلْنَ... وَأُخْرِجَ الرِّجَالُ...»

«وَكُنْتُ آتِي عَائِشَةَ أَنَا... وَغَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ... وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ فِي جَوْفِ ثَيْبٍ...»

«قُلْتُ: وَمَا حِجَابُهَا؟...»

«قَالَ: هِيَ فِي قُبَّةٍ تُزَكِّي لَهَا غِشَاوَةً... وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذَلِكَ... وَرَأَيْتُ

عَلَيْهَا دِرْعًا مُورَدًا...»

[أخرجه البخاري]

«إِذْ مَنَّ» أي حين منح ابن هشام... وابن هشام هو والي المدينة...
«أَبْغَدَ الْحِجَابِ؟» بعد آية الحجاب...
«إِي لَعْمَرِي» بمعنى نعم...
«حَبْرَةَ» معتزلة... وقيل بمعنى محجورًا بينها وبين الرجال بثوب...
«فَقَالَتْ امْرَأَةً» كانت تطوف مع عائشة بالليل...
«وَأَيْتُ» أي منعت عائشة الاستلام...
«مُتَّكَرَاتٍ» مستترات...
«إِذَا دَخَلْنَ الْبَيْتَ قُمْنَ حَتَّى يَدْخُلْنَ» أي إذا أردن الدخول وقفن قائمات...
حتى يدخلن حال كون الرجال مخرجين...
«وَكُنْتُ آتِي عَائِشَةَ» أي قال كنت أجيء إلى عائشة أنا وعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ
الحجازي... قاضي مكة... ولد في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم...
«وهي مجاورة» أي مقيمة...
«ثَبِيرٍ» هو جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الداهب منها إلى منى... وعلى
يمين الداهب من منى إلى عرفات...
«هي في قُبَّةٍ» أي عائشة في قبة... وهي خيمة...
«وَرَأَيْتُ عَلَيْهَا» أي على عائشة...
«دِرْعًا مَوْزَدًا» أي قميصًا لونه لون الورد...

ما يستفاد منه؟

فيه طواف النساء متكررات...
وفيه طواف الليل...
وفيه ستر نساء النبي ﷺ بعد ذلك وحجبهن...
وفيه المجاورة بمكة وهو نوع من الاعتكاف...
وهو ضربان... مجاورة ليلاً ونهاراً... ومجاورة نهاراً فقط...
وفيه جواز المجاورة في الحرم كله... وإن لم يكن في المسجد الحرام...

وفيه نظر لأن ثبيرًا خارج من مكة...
وفيه طواف النساء من وراء الرجال...

* * *

أقول... كان هذا المشهد بعد وفاة النبي ﷺ... وفي عهد بني أمية...
وكانت أم المؤمنين عائشة... وهي بمكة تعتكف في قُبَيْهَا في جوف جبل
ثبير... تعبد الله تعالى...

فإذا أرادت الطواف بالبيت... طافت حَجْرَةً... أي معتزلة...
فما معنى هذا؟

معناه أن أم المؤمنين عائشة... كانت على أعلى مستوى من عبادة الله
تعالى بعد وفاة النبي ﷺ...
كما كانت في حياته ﷺ. ١١١.

عبقريه عائشه...

في تفسير وتأويل...

آيات القرآن العظيم...!؟

قال عُرْوَةُ:

«سَأَلْتُ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... فَقُلْتُ لَهَا:

«أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى...

إِنَّ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ

أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا...

«فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصُّفَا وَالْمَرْوَةِ؟...

«قَالَتْ:

«بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي!...

«إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَيْتَهَا عَلَيْهِ... كَانَتْ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ

بِهِمَا...

«وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَنْصَارِ... كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يُهْلُونَ لِمَنَاءِ الطَّاعِيَةِ

الَّتِي كَانُوا يَغْبِطُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلَّلِ...

«فَكَانَ مَنْ أَهْلٌ يَخْرُجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصُّفَا وَالْمَرْوَةِ...

«فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ عَنْ ذَلِكَ...

«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ... إِنَّا كُنَّا نَخْرُجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ...

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى... «إِنَّ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...»

الآيَةُ...

«قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا... فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ

الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا...

«ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ... فَقَالَ:

«إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ... مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ...

«وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّاسَ... إِلَّا مَنْ ذَكَرَتْ

عَائِشَةُ... مِمَّنْ كَانَ يُهْلُ بِمَنَاءَةٍ... كَانُوا يَطُوفُونَ كُلَّهُمْ بِالصَّفا وَالْمَرْوَةِ...

فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ فِي الْقُرْآنِ...

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ... كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفا وَالْمَرْوَةِ... وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوَافَ

بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفا... فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفا وَالْمَرْوَةِ؟...

«فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى... «إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ... الْآيَةُ...»

«قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَسْمَعُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا... فِي الَّذِينَ

كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّفا وَالْمَرْوَةِ... وَالَّذِينَ يَطُوفُونَ ثُمَّ

تَحَرَّجُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِمَا فِي الْإِسْلَامِ... مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالطَّوَافِ

بِالْبَيْتِ... وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفا... حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا ذَكَرَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ...»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«أَرَأَيْتَ» أَخْبِرْنِي عَنْ مَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ... إِذْ مَفْهُومُهَا عَدَمُ وَجُوبِ السَّعْيِ بَيْنَ

الصَّفا وَالْمَرْوَةِ... إِذْ فِيهِ عَدَمُ الْإِثْمِ عَلَى التَّرْكِ؟...

فَقَالَتْ عَائِشَةُ... رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: مَفْهُومُهَا لَيْسَ ذَلِكَ... بَلْ عَدَمُ

الْإِثْمِ عَلَى الْفِعْلِ... وَلَوْ كَانَ عَلَى التَّرْكِ لَقِيلَ أَنْ لَا يَطُوفَ... بِزِيَادَةٍ لَا...

وَالْتَحْقِيقُ هُنَا أَنَّ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَوَّلَ الْآيَةِ بِأَنْ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ فِي

تَرْكِه... لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ أَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَبَاحِ دُونَ الْوَاجِبِ...

وَأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا... أَجَابَتْ بِأَنَّ الْآيَةَ سَاكِنَةٌ عَنِ الْوَاجِبِ

وَعَدَمِهِ... لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَصٍّ فِي سَقُوطِ الْوَاجِبِ... وَلَوْ كَانَتْ نَصًّا لَكَانَ

يَقُولُ... فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا... لِأَنَّ هَذَا يَتَضَمَّنُ سَقُوطَ الْإِثْمِ

عَمَّنْ تَرَكَ الطَّوَافَ...

«يُهْلُونَ» أَيِ يَحْجُونَ...

«لَمَنَاءَ» اسم صنم كان في الجاهلية... وسميت مناة لأن النسائك كانت
تُمنى بها أي تُراق...

«الطاغية» صفة لمناة...

«عند المُشَلَّل» موضع قريب من قديد من جهة البحر...

«يَتَحَرَّجُ» أي يحترز من الحرج ويخاف الإثم...

«فلَمَّا أَسْلَمُوا» أي الأنصار...

«إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ» إلى آخره... وفي رواية مسلم... أن الأنصار كانوا قبل أن
يسلموا هم وغسان يُهلُّون لمناة... فتَحَرَّجُوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة...
وكان ذلك شُئًا في آبائهم من أحرم لمناة لم يطف بين الصفا والمروة... وإنما
كان ذلك لأن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر يقال
لهما إساف ونائلة... ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة... ثم يحلقون...
فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعونه في الجاهلية...
فأنزل الله تعالى الآية...

«وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» أي شرع... وجعل زكنا...

وقال بعضهم: أي فرضه بالشئ...

وليس مراد عائشة نفي فرضيتها... ويؤيده قولها... لم يتم الله حج أحد
ولا عمرته لم يطف بينهما...

«إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ» بفتح اللام التي هي للتأكيد...

وفي رواية الأكثرين: إِنَّ هَذَا الْعِلْمُ...

أشار به إلى كلام عائشة...

ما يستفاد منه؟!

احتجت بها الحنفية على أن السعي بين الصفا والمروة واجب...

لأن قول عائشة رضي الله تعالى عنها...

وقد سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... الطواف بينهما... فليس لأحد أن يترك

الطواف بينهما... يدل على الوجوب.
ورفع الجناح في الآية والتخير... ينفي الفرضية... لا سيما من مذهب
عائشة...
وما ذهب إليه الحنفية هو مذهب الحسن وقتادة والثوري... حتى يجب
بتركه دم...
وقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وداود... هو فرض لا
يصح الحج إلا به...

* * *

أقول... وهكذا تالأت عبقرية أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى
عنها!!!

عُرْوَةُ فَهَمَ فَهَمًا فِي الْآيَةِ...
وعلى الفور... توقّدت قريحة عائشة... وتشعّشت أنوارها...

«بَشَسَ مَا قُلْتُ!!!»

«يَا ابْنَ أُخْتِي!!!»

«إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَتْهَا عَلَيْهِ...»

«كَانَتْ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا...»

«وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَنْصَارِ...» الخ...

ما هذا؟!!!

هذه عبقرية عائشة... إنها تُصَحِّح لِعُرْوَةَ تأويله للآية... وتبين له أنه عكس
معناها...

ثم تُفتي فتواها الخالدة...

التي صارت حُكْمًا بعد ذلك... يتناقله الفقهاء والعلماء... فتقول:

«وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا...»

«فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا»!!!.

ما هذا؟!!!

هذا مقام أم المؤمنين عائشة!!!
هذا مقام زوج رسول الله... ﷺ!!!
هذا مقام عبقرية الصديقة بنت الصديق...
شفافية... ذكاء... سرعة فهم... مقدرة على التأويل والإفتاء!!!
فهي تُصَحِّح لَعُزَّةَ ما فَهَمَّتْ من الآية...
ثم تُلقِي إليه وإلى جميع الأمة... الحُكْمَ النهائي... في القضية...
ثم يجلس الفقهاء والأئمة الأعلام بعد ذلك منها مجلس التلاميذ...
يحتجون بحديثها في وجوب السعي بين الصفا والمروة!!!.

افْعَلِي...

كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ...

غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ...

حَتَّى تَطْهُرِي...!؟

عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...

أَنَّهَا قَالَتْ:

«قَدِمْتُ مَكَّةَ وَأَنَا حَائِضٌ...

وَلَمْ أَطُفْ بِالْبَيْتِ... وَلَا يَتَنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ...

«قَالَتْ: فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...

«قَالَ: افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ... غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا فِي بَابِ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْحَيْضِ «سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

تَقُولُ خَرَجْنَا لَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ»...

«حَتَّى تَطْهُرِي» حَتَّى تَغْتَسِلِي وَتَطْهُرِي بِالْغَسْلِ... وَيُؤَيِّدُهُ أَنْ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ

«حَتَّى تَغْتَسِلِي»...

وَالْعُلَمَاءُ مُجْمِعُونَ أَنَّ الْحَائِضَ تَشْهَدُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا غَيْرَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ...

وَقِيلَ: إِنَّمَا مَنَعَتْ الْحَائِضُ مِنَ الطَّوَافِ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ تَنْزِيهًا لِلْمَسْجِدِ عَنِ

النَّجَاسَاتِ...

وَلَأَمْرُهُ ﷺ الْحَيْضُ فِي الْعِيدَيْنِ بِالْإِعْتِرَالِ...

وَقَوْلُ عَائِشَةَ «لَمْ أَطُفْ بِالْبَيْتِ» تَرِيدُ أَنْ طَوَّافَ الْعِمْرَةِ مَنَعَهَا مِنْهُ حَيْضُهَا...

أَقُولُ... شَكَتْ عَائِشَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...

فقال: أفعل كما يفعل الحاج... غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري...
فأصبح ذلك حكماً إلى يوم القيامة... وبوب عليه العلماء... واستنبط منه
الفقهاء!!!.

وقال البخاري: «تفضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت»...
وأجمع العلماء أن الحائض تشهد المناسك كلها غير الطواف بالبيت!!!.

عائشة تقول:

وددتُ أني كُنتُ...

أستأذنتُ رسولَ الله... ﷺ ...

كما استأذنته سودة...!؟

عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:

«نزلنا المزدلفة...

فاستأذنت النبي... ﷺ ... سودة...

«أن تدفع قبل حطمة الناس...

وكانت امرأة بطيئة...

«فأذن لها...

«فدفعت قبل حطمة الناس...

«واقمنا حتى أصبحنا نحن... ثم دفعنا بدفعه...

«فلأن نكون استأذنت رسول الله... ﷺ ... كما استأذنت سودة... أحب

إلي من مفروح به».

[أخرجه البخاري]

«أن تدفع» أي تتقدم قبل حطمة الناس والحطمة بالفتح الرحمة...

«ثم دفعنا بدفعه» أي بدفع رسول الله... ﷺ ...

«من مفروح به» أي من ما يفرح به من كل شيء...

وسودة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها...

وفي حديث مسلم:

«عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

«وددت أني كنت استأذنت رسول الله... ﷺ ... كما استأذنته سودة...
«فأصلي الصبح بمنى...
«فأرمي الجمرة قبل أن يأتي الناس...
«فقبل لعائشة: فكانت سودة استأذنته؟...
«قالت: نعم... كانت امرأة ثقيلة بطة... فاستأذنت رسول الله... ﷺ ...
فأذن لها...»

«تَبَطَّة» أي بطيئة الحركة...
وفيه جواز الرمي قبل طلوع الشمس بعد طلوع الفجر للذين يتقدمون قبل
الناس...

وقال عياض: مذهب الشافعي رمي الجمرة من نصف الليل...
ومذهب مالك أن الرمي يحل بطلوع الفجر... الخ...

* * *

أقول... تفصيل هذه الأحكام الجليلة يُرجع فيه إلى السادة الفقهاء...
وإنما اللطيفة التي نلتقطها في موضوع الكتاب...
أن عائشة كانت هناك...
وألها مع النبي... ﷺ ... بالمزدلفة...
وأنها شهدت سودة... أم المؤمنين... وهي تستأذن رسول الله... ﷺ ...
أن تدفع بالليل قبل زحمة الناس وهم يتدافعون إلى منى... فأذن لها...
وأن عائشة بقيت حتى أصبحت مع رسول الله... ﷺ ... ثم دفعت بدفعه
إلى منى...

وأنها ودّت حين عاينت الزحام لو فعلت كما فعلت سودة...
فاستأذنت رسول الله... ﷺ ... كما استأذنته سودة...
فتقول: «وددت أني كنت استأذنت رسول الله... ﷺ ... كما استأذنته
سودة...
«فأصلي الصبح بمنى...»

«فأرمني الجمرة قبل أن يأتي الناس...»!!!
وهكذا كانت عائشة هناك... تشهد وتشارك...
ثم تروي ما رأت وما سمعت... في دقة وصدق...
فيأخذ عنها الفقهاء والعلماء... ويستنبطون... ويستخرجون بدائع
الأحكام!!!.

عائشة تقول:

لَيْسَ كَمَا قَالَ...

ابْنُ عَبَّاسٍ...!؟

عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ... أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ...
«كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...
«أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... قَالَ:
«مَنْ أَهْدَى هَذَا حَرَمَ عَلَيْهِ مَا يَحْزُمُ عَلَى الْحَاجِّ حَتَّى يُنَحَرَ هَذِيه...
«قَالَتْ عَمْرَةُ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ...
«أَنَا فَتَلْتُ قَلَائِدَ هَذِي رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ... بِيَدِي...
«ثُمَّ قَلَّدَهَا رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... بِيَدِيه...
«ثُمَّ بَعَثَ بِهَا مَعَ أَبِي...
«فَلَمْ يَحْزُمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ... شَيْءَ أَحَلَّهُ اللَّهُ... حَتَّى تُحْزَرَ
الْهَذِي».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ» اسْتَلْحَقَهُ مَعَاوِيَةَ... وَأَمَّرَهُ عَلَى الْعِرَاقِينَ الْبَصْرَةَ
وَالْكُوفَةَ... جَمَعَهُمَا لَهُ... وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ...
«مَنْ أَهْدَى» أَيِ مَنْ بَعَثَ الْهَذِي إِلَى مَكَّةَ...
«قَالَتْ عَمْرَةُ» أَيِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورَةِ فِي السَّنَدِ...
«ثُمَّ بَعَثَ بِهَا» أَيِ ثَمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَذِي...
«مَعَ أَبِي» وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ... رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ... وَكَانَ بَعَثَهُ ﷺ
بِهَذِيهِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ تِسْعٍ... عَامَ حِجِّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ...
«حَتَّى تُحْزَرَ الْهَذِي» أَيِ حَتَّى تُنَحَرَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذِي...

قالوا:

خالف ابن عباس... رضي الله تعالى عنه في هذا جميع الفقهاء...
واحتجت عائشة بفعل رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم...
وما روته في ذلك يجب أن يُصار إليه...
ولعل ابن عباس... رضي الله تعالى عنه رجع عنه...
وفيه ردّ بعض العلماء على بعض...
وفيه رد الاجتهاد بالنص...
وفيه أن الأصل في أفعال النبي... ﷺ... التأسّي حتى تثبت
الخصوصية...
واللهذي اسم لما يُهْدَى إلى الحرم... من الإبل والبقر والغنم... ذكورها
وإناثها...

* * *

أقول... كتب زياد أمير البصرة والكوفة... إلى أم المؤمنين عائشة
رضي الله عنها... يسألها فيما ذهب إليه عبدالله بن عباس... رضي الله
عنهما...

فماذا كان جوابها؟

«ليس كما قال ابن عباس»!!!

ولم تقف عند هذا... ولكن بيّنت أحسن بيان عملي:

«أنا فَتَلْتُ قَلْبِي هَذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي»!!!

ثم ماذا؟

«كَمْ قَلَّدَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي»...

ثم ماذا؟

«ثم بَعَثَ بِهَا مع أبي»...

ثم ماذا؟

ثم أصدرت أم المؤمنين حُكْمَهَا في القضية:

«فَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ... شَيْءٌ أَحَلَّهُ اللَّهُ... حَتَّى نُجِزَ
الْهَدْيُ»!!!

كل ذلك كان من أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ... فِي كَمَالٍ وَأَخْلَاقٍ رَفِيعَةٍ...
لَمْ تَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَتْ: «لَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ»!!!

يَا أُمَّاهُ...

يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ...

أَلَا تَسْمَعِينَ...؟!

عن مُجَاهِدٍ... قَالَ:

«دَخَلْتُ أَنَا وَعُزْرَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ...

«فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ...

«وَإِذَا أَنَاسٌ يَصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الضُّحَى...

«قَالَ: فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ؟...

«فَقَالَ: بِدَعَةٍ...

«ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَمْ اغْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...؟...

«قَالَ: أَرْبَعٌ... إِخْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ...

«فَكَرِهْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ...

«قَالَ: وَسَمِعْنَا اشْتِيَانِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحُجْرَةِ...

«فَقَالَ عُزْرَةُ: يَا أُمَّاهُ...

يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ... أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟!

«قَالَتْ: مَا يَقُولُ؟...

«قَالَ: يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... اغْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرَاتٍ... إِخْدَاهُنَّ فِي

رَجَبٍ!...

«قَالَتْ: يَزْعُمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ... مَا اغْتَمَرَ عُمْرَةً إِلَّا وَهُوَ شَاهِدُهُ...

وَمَا اغْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«الْمَسْجِدَ» يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ...

«فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ» أي فسألنا ابن عمر عن صلاة هؤلاء الذين يصلون في المسجد...

«بِدْعَةٍ» أي صلاتهم بدعة... وإنما قال بدعة... وإنما البدعة إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله... ﷺ... وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم... صلى صلاة الضحى في بيت أم هانئ... وقيل أراد أن إظهارها في المسجد والاجتماع لها هو البدعة... لا أن نفس تلك الصلاة بدعة... «أَرْبَعٌ عُمَرُ...»

«استئذان عائشة» استئذانها سواكها... وقيل استعمالها الماء... سنتت الماء على وجهي: إذا أرسلته لإرسالاً...

«يَا أُمَّاءُ» فَإِنْ قُلْتَ: ما فائدة قوله...
«يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ» بعد أن قال: «يَا أُمَّاءُ؟»...
قلت: أراد بقوله: «يَا أُمَّاءُ» المعنى الأخص لكون عائشة خالته... وأراد بقوله: «يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ» المعنى الأعم... لكونها أم المؤمنين...
«أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ» هو كنية عبدالله بن عمر...
«عُمَرَاتٍ» يجوز ضم الميم فيها وسكونها...
«إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ» أي إحدى العمرات كانت في شهر رجب...
«يَزْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ» ذكرته بكنيته تعظيماً له...
«مَا اغْتَمَرَ» أي النبي... ﷺ... عُمَرَةُ... قَطُّ... إلا وهو... أي ابن عمر... شاهده... أي حاضر معه...

وقالت ذلك مبالغة في نسبته إلى النسيان...
ولم تنكر عائشة على ابن عمر إلا قوله «إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ»...
قال المحب الطبري: «إن الثلاث كانت في ذي القعدة... وأما العُمرة الرابعة فهي التي مع حجته صلى الله عليه وسلم... وكانت أفعالها في الحجة بلا خلاف...»

* * *

أقول... فزع مجاهد وعُزُورَةُ... إلى عائشة أم المؤمنين...

وقال غزوة:

«يا أمّاه...»

«يا أمّ المؤمنين...»

«ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟»

قالت: ما يقول؟...

قال: يقول إنّ رسول الله... ﷺ ... اعتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ فِي

رَجَبٍ...!!

فماذا كان قول أم المؤمنين؟

كان قولاً غاية في الكمال.. وغاية في رعاية حقوق أصحاب رسول الله...

ﷺ...

«يَزَحُمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ...»

«ما اعتَمَرَ عُمَرَةً إِلَّا وَهُوَ شَاهِدُهُ...»

«وما اعتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ...»!!!

وهكذا صَحَّحت أم المؤمنين ما قال عبد الله بن عمر... رضي الله

عنهما...

ولكن في قَوْلٍ حَسَنٍ!!!

وأدب هو غاية الأدب!!!

فَدَخَلَ عَلَيَّ ...

النبي ﷺ ...

وَأَنَا أَبْكِي ...؟!

عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:
«خَرَجْنَا مُهْلِينَ بِالْحَجِّ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ... وَفِي حُرْمِ الْحَجِّ...
فَنَزَلْنَا بِسَرَفٍ...
فَقَالَ النَّبِيُّ... ﷺ... لِأَصْحَابِهِ:
«مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَذِي فَأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ...
وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَذِي فَلَا...
وَكَانَ مَعَ النَّبِيِّ... ﷺ... وَرِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ذَوِي قُوَّةٍ الْهَذِي...
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُمْرَةٌ...
فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ... وَأَنَا أَبْكِي...
فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟...
قُلْتُ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ لِأَصْحَابِكَ مَا قُلْتَ... فَمُيِعْتُ الْعُمْرَةَ...
قَالَ: وَمَا سَأَلْتُكَ؟...
قُلْتُ: لَا أَصَلِّي...
قَالَ: فَلَا يَضُرُّكَ...
أَنْتِ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ...
كُتِبَ عَلَيْكَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِنَّ...
فَكُونِي فِي حُجَّتِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكَهَا...
قَالَتْ: فَكُنْتُ حَتَّى نَفَرْنَا مِنْ مِنًى...
فَنَزَلْنَا الْمُحْصَبَ...

«فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: إِخْرُجْ بِأَخِيكَ إِلَى الْحَرَمِ... فَلْتَهْلُ بِعُمْرَةٍ... ثُمَّ
 أَفْرَعَا مِنْ طَوَافِكُمَا... أَنْتَظِرْ كَمَا هَهُنَا...
 «فَأْتَيْنَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ...
 «فَقَالَ: فَرَعْتُمَا؟...
 «قُلْتُ: نَعَمْ...
 «فَنَادَى بِالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ...
 «فَارْتَحَلَ النَّاسُ... وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ... ثُمَّ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا
 إِلَى الْمَدِينَةِ.»

[أخرجه البخاري]

«وَفِي حُرْمِ الْحَجِّ» وَهِيَ الْحَالَاتُ وَالْأَمَاكُنُ وَالْأَوْقَاتُ الَّتِي لِلْحَجِّ...
 «بَسْرَفٍ» وَهُوَ مَكَانٌ بِقَرَبِ مَكَّةَ...
 «لَا أَصْلِي» كِنَايَةٌ عَنِ الْحَيْضِ... وَهِيَ مِنَ الْطُفْلِ الْكُنَايَاتُ !!!
 «فَنَزَلْنَا الْمُحْصَبَ» وَهُوَ الْأَبْطَحُ...
 وَفِي رَوَايَةٍ مُسْلِمٌ «حَتَّى نَزَلْنَا وَنِي فَتَطَهَّرْتُ ثُمَّ طَفْتُ بِالْبَيْتِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 الْمُحْصَبَ»...
 «فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ» هُوَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ... أَخُو عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ...

* * *

أَقُولُ... وَذَهَبَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ طَهَّرَتْ مِنَ الْحَيْضِ... مَعَ أَخِيهَا عَبْدَ
 الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ... وَقَضَتْ عُمرَتَهَا...
 ثُمَّ عَادَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...
 وَقَالَ لَهَا: فَرَعْتُمَا؟...
 قَالَتْ عَائِشَةُ: نَعَمْ !!!
 أَنْظِرْ إِلَى جَمَالِ السُّؤَالِ: فَرَعْتُمَا؟...
 كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ !!!
 غَايَةُ الْإِيجَازِ وَغَايَةُ الْإِعْجَازِ !!!

قالت عائشة: نَعَمْ!!!
لقد كانت سعيدة غاية السعادة!!!.

عائشة تقول:

«يا رسول الله

أَلَا نَغْزُو مَعَكُمْ»...؟!]

أَذِنَ عُمَرُ... رضي الله عنه... «لأزواج النبي ﷺ... في آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا...
«فَبَعَثَ مَعَهُنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ... وعبد الرحمن... رضي الله عنهما».

[أخرجه البخاري]

وفي حديث «عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: منعنا عمر الحج والعمرة
حتى إذا كان آخر عام فأذن لنا»...

* * *

أقول... وخرجت أم المؤمنين عائشة... مع أمهات المؤمنين للحج...
روي «أن عمر رضي الله تعالى عنه أذن لأزواج النبي ﷺ في الحج...
فبعث معهن عثمان وعبد الرحمن رضي الله تعالى عنهما... فنادى الناس
عثمان: ألا لا يدنو منهن أحد... ولا ينظر إليهن إلا مدّ البصر... وهن في
الهودج على الإبل... وأنزلهن صدر الشَّعب... ونزل عثمان وعبد الرحمن بن
عوف بدنبه... فلم يقعد إليهن أحد»!!!.

«عَنْ عَائِشَةَ... أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:

«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَلَا نَغْزُو أَوْ لُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟...»

«فَقَالَ: لَكُنَّ أَحْسَنُ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ الْحَجُّ حَجٌّ مَبْرُورٌ...»

«فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَا أَدْعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ...»

ﷺ.

[أخرجه البخاري]

«أَلَا نَغْزُو مَعَكُمْ» ألا كلمة تستعمل في مثل هذا الموضع للعرض والتحفيز... ويجوز أن تكون للتمني...

«أو نجاهد» شك من الراوي...

وأخرج النسائي هذا الحديث «ألا نخرج فنجاهد معك؟»...

وأخرج ابن خزيمة «فإننا نجد الجهاد أفضل العمل»...

وأخرجه الإسماعيلي: «لو جاهدنا معك؟» قال: لا... جهادك حج

مبرور»...

«لكن» عن عائشة بنت طلحة بلفظ «استأذنته نسأؤه في الجهاد فقال يكفيكن

الحج»...

وروى ابن ماجه: «قلت: يا رسول الله على النساء جهاد؟» قال: نعم...

جهاد لا قتال فيه... الحج والعمرة»...

«حج مبرور» اختلفوا في المراد بالحج المبرور... فقليل: هو الذي لا يخالطه

شيء من مأثم... وقيل: هو المتقيل... وقيل: هو الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا

رفث ولا فسوق... وقيل: الذي لم تتعقبه معصية...

«فلا أدع» أي فلا أترك...

* * *

أقول... ها هنا إشارتان خطيرتان تشيران إلى عظمة شخصية عائشة...

الأولى... سؤالها: يا رسول الله... ألا نغزو معكم؟

إنها تريد أن تقاتل... وتخرج للقتال...

إنها ترغب في الشهادة لما فيها من مقامات عالياً!!!

فما معنى هذا؟

معناه أنها سيدة على الغاية من الحيوية والغاية من الإحساس بالقيم العليا

من الحياة الدنيا...

فهي ترغب صادقة أن تقاتل في سبيل الله... إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل...

وهذا جانب رائع من شخصية أم المؤمنين عائشة...

إِنَّ زَوْجَةَ أَعْظَمَ بَطْلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ...
 يَتَحْتَمُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى أَعْظَمَ صِفَاتِ الْبَطُولَةِ!!!
 وَالثَّانِيَةُ... قَوْلُهَا بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ تَوْجِيهَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
 «لَكُنِّي... أَحْسَنُ الْجِهَادِ... وَأَجْمَلُهُ... الْحَجُّ... حَجٌّ مَبْرُورٌ».
 فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلَا أَدْعُ الْحَجَّ...
 «بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا...
 «مِنْ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ»...!!!.
 إِنَّهَا حَرِيصَةٌ كُلِّ الْحَرَصِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ... ﷺ... عَلَى مَدَاوِمَةِ الْحَجِّ...
 لَقَدْ سَمِعَتْ فِي هَذَا تَوْجِيهَ الْحَبِيبِ إِلَى قَلْبِهَا... ﷺ...
 فَهِيَ تَسْعِدُ كُلَّمَا قَامَتْ بِأَدَاءِ الْحَجِّ بَعْدَ وَفَاةِ... ﷺ...
 وَتَجِدُ فِي أَدَائِهَا امْتِثَالًَا لِتَوْجِيهِ الرَّسُولِ... ﷺ...
 «لَكُنِّي...
 «أَحْسَنُ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ...
 «الْحَجُّ... حَجٌّ مَبْرُورٌ»...!!!.
 كُلَّمَا حَجَّتْ مَرَّةً... سَعِدَتْ مَرَّتَيْنِ...
 مَرَّةً... لِامْتِثَالِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...
 وَمَرَّةً... وَهِيَ تَتَذَكَّرُ قَوْلَ الْحَبِيبِ... ﷺ...!!!.

ثُمَّ ...

ضَحِكَتُ...!؟

عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:
«إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... لَيَقْبَلُ بَغْضَ أَزْوَاجِهِ... وَهُوَ صَائِمٌ...
ثُمَّ ضَحِكَتُ.»

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«ثُمَّ ضَحِكَتُ» قِيلَ: كَانَ ضَحْكُهَا تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهَا صَاحِبَةُ الْقَضِيَّةِ... لِيَكُونَ
أَبْلَغَ فِي الثِّقَةِ بِحَدِيثِهَا...

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: يَحْتَمِلُ ضَحْكُهَا التَّعَجُّبَ مِمَّنْ خَالَفَهُ فِيهِ... أَوْ: مِنْ نَفْسِهَا
حَيْثُ جَاءَتْ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يَسْتَحْيِ مِنْ ذِكْرِهِ... لَا سِيَّمَا حَدِيثَ الْمَرْأَةِ
عَنْ نَفْسِهَا لِلرِّجَالِ... لَكِنَّا اضْطَرَرْنَا إِلَى ذِكْرِهِ لِتَبْلِيغِ الْحَدِيثِ...

فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ضَرُورَةِ الْحَالِ الْمَضْطَّرَّةِ لَهَا إِلَى ذَلِكَ...
وَقِيلَ: ضَحِكَتُ سُرُورًا بِتَذَكُّرِ مَكَانِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... وَحَالِهَا
مَعَهَا!...

* * *

«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:
«كَانَ النَّبِيُّ... ﷺ... يَقْبَلُ وَيُيَاسِرُ وَهُوَ صَائِمٌ...
وَكَانَ أَمْلَكُكُمْ لِإِزِيهِ.»

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«يُيَاسِرُ» الْمُبَاشَرَةُ اللَّمَسُ بِالْيَدِ... وَهُوَ مِنَ التَّقَاءِ الْبَشَرَتَيْنِ... وَلَا يُرَادُ بِهِ
الْجَمَاعُ...

«لِإِزِيهِ» وَمَعْنَى كَلَامِهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكُمْ الْإِحْتِرَازَ عَنِ الْقُبْلَةِ... وَلَا تَتَوَهَّمُوا

بأنفسكم مثله في استباحتها... لأنه يملك نفسه... ويأمن الوقوع فيما يتولد منه من الإنزال... وأنتم لا تملكون ذلك... وطريقكم الانفكاك عنه...

* * *

أقول... لا أحد يقوم مقام عائشة... زوج رسول الله... ﷺ... في هذا الخصوص... لماذا؟

لأنها هي الزوجة... التي تطلع من شؤون رسول الله... ﷺ... ما لن يتيسر إلا لمثلها...

ومن هنا تنفرد رضي الله عنها... بهذه الخصوصية... فتحدث عن أدق شؤون الزوجية... حديث التجربة لا حديث الرواية عن الغير...

وهذا يعطي حديثها أولوية في الرجوع إليه والأخذ عنه قبل روايات غيرها...
«عن حكيم بن عقال أنه قال:

«سألت عائشة: ما يحرم عليّ من امرأتي وأنا صائم؟...
«قالت: فرجها».

«وعن مسروق قال:

«سألت عائشة أم المؤمنين:

ما يحل للرجل من امرأته صائماً؟...
«فقالت: كل شيء إلا الجماع».

وهكذا ذهبت عائشة بهذا الفضل... فضل تبليغ الناس ما تعلم من شؤون رسول الله... ﷺ... في بيته... ومع نسائه...

ثم جاء دور الفقهاء والمذاهب... فاصطرعوا في أحكام هذا الباب... وكان اصطراعهم غاية في الجمال... وغاية في حرية الفكر... التي يتميز بها الفكر الإسلامي...

وإليك قطرات من هذا البحر المواجه:

«ومن كره القبلة للصائم... عبد الله بن مسعود... وعبد الله بن عمر...

وعروة بن الزبير...

«وكره مالك القبلة للصائم في رمضان للشيخ والشاب...
«وعن عطاء... عن ابن عباس: أنه أَرخص فيها للشيخ وكرهها للشاب...
وقال عياض:
«منهم من أباحها على الإطلاق... وهو قول جماعة من الصحابة
والتابعين... وإليه ذهب أحمد... وإسحاق... وداود من الفقهاء...
«ومنهم من كرهها على الإطلاق... وهو مشهور قول مالك...
«ومنهم من كرهها للشاب... وأباحها للشيخ... وهو المروي عن ابن
عباس...
«ومذهب أبي حنيفة... والشافعي... والثوري... والأوزاعي... وحكاة
الخطابي عن مالك...
«ومنهم من أباحها في النفل... ومنعها في الفرض... وهي رواية ابن وهب
عن مالك...
«وقال النووي: إن حركت القبلة الشهوة فهي حرام على الأصح عند
أصحابنا... وقيل مكروه كراهة تنزيه... انتهى...
«وقال أصحابنا الحنفية في فروعهم: لا بأس بالقبلة والمعانقة إذا أمن على
نفسه... أو كان شيخاً كبيراً... ويكره له مس فرجها...
«وعن أبي حنيفة: تكره المعانقة والمصافحة والمباشرة الفاحشة بلا
ثوب... والتقبيل الفاحش مكروه... وهو أن يمضغ شفتيها...»¹¹¹.
ما هذا؟

هذه بعض بدائع روائع فقهاء هذه الأمة المباركة...
أقصى الحرية... في الاستتباط... واستخراج الأحكام...
والأمة كلها ترشف من سلسيلهم... فلا حرج على أحد...
كل ذلك الخير... مؤسس كثير منه على ما روت أم المؤمنين عائشة عن
رسول الله... ﷺ...
فأي مقام مقامها... رضي الله تعالى عنها؟¹¹².

عائشة...

تفعل الشيء...

وهنَّ يُقْلِدُنَهَا...؟

عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:
«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... يَغْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ...
وَإِذَا صَلَّى الْعَدَاةَ دَخَلَ مَكَانَهُ الَّذِي اعْتَكَفَ فِيهِ...
»قال: فاستأذنته عائشة أَنْ تَعْتَكَفَ...
»فَأَذِنَ لَهَا...
»فَضَرَبَتْ فِيهِ قُبَّةً...
»فَسَمِعَتْ بِهَا حَفْصَةَ... فَضَرَبَتْ قُبَّةً...
»وَسَمِعَتْ زَيْنَبَ بِهَا... فَضَرَبَتْ قُبَّةً أُخْرَى...
»فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... مِنَ الْعِدَّةِ... أَبْصَرَ أَرْبَعَ قِيَابٍ...
»فَقَالَ: مَا هَذَا؟...
»فَأُخْبِرَ خَبْرَهُنَّ...
»فَقَالَ: مَا حَمَلَهُنَّ عَلَى هَذَا... أَلَيْسَ؟...
»انْزِعُوها... فَلَا أَرَاهَا...
»فَنَزَعَتْ...
»فَلَمْ يَغْتَكِفْ فِي رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي آخِرِ الْعَشْرِ مِنْ شَوَّالٍ».

[أخرجه البخاري]

«دَخَلَ مَكَانَهُ» من الدخول... وفي رواية حل مكانه من الحلول وهو النزول... ومكانه هو موضعه الخاص من المسجد الذي خصصه منه للاعتكاف... وهو موضع خيمته...

«أَزَيْعُ قِيَابٍ» واحدة منها لرسول الله... ﷺ ...
وثلاث لعائشة... وحفصة... وزينب...
«انزِعُوها» أي القِيَاب المذكورة.. من التزع وهو القلع...

* * *

أقول... واضح هنا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها... هي الباذئة...
وأن أمهات المؤمنين... قلّدنّها فيما فعلت... فما معنى هذا؟...
معناه واضح جداً... أن عائشة سبّاقة إلى الخير...
وهنّ من ورائها... أي لها القيادة...
وفي رواية أخرى للبخاري... نلمس ذلك أكثر وضوحاً:
«عن عائشة... رضي الله عنها... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ ... ذَكَرَ أَنَّ
يَغْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ...
«فَاسْتَأْذَنَتْهُ عَائِشَةُ... فَأُذِنَ لَهَا...
«وَسَأَلَتْ حَفْصَةَ عَائِشَةَ أَنْ تَسْتَأْذِنَ لَهَا... فَفَعَلَتْ...
«فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ أَمَرَتْ بِنَاءً فَبَنِيَ لَهَا...
«قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ... إِذَا صَلَّى الصَّوْفَ إِلَى بَنَائِهِ...
«فَبَضُرَ بِالْأُبْنِيَّةِ... فَقَالَ: مَا هَذَا؟...
«قَالُوا: بِنَاءُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَزَيْنَبَ...
«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ ...: أَلَيْسَ أَرَدَنْ بِهَذَا؟... مَا أَنَا بِمُغْتَكِفٍ...
«فَرَجَعَ... فَلَمَّا أَفْطَرَ اغْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَالٍ...
والذي تُرَكِّزُ عليه ها هنا هو:
«وَسَأَلَتْ حَفْصَةَ عَائِشَةَ أَنْ تَسْتَأْذِنَ لَهَا فَفَعَلَتْ...
إن حفصة تذهب إلى عائشة لتستأذن لها¹¹⁹
«فلما رأت ذلك زينب ابنة جحش أمرت ببناء فبني لها»¹¹¹
وهكذا نجد عائشة هي التي تبدأ الفعل... وأنهنّ يتبعنها.

* * *

«عن عائشة... رضي الله عنها...
«أنها كانت تُرَجِّلُ النبي... ﷺ... وهي حَائِضٌ...
«وهو مُعْتَكِفٌ في المسجد...
«وهي في حُجْرَتِهَا...
«يُناوِلُهَا رَأْسُهُ».

[أخرجه البخاري]

«تُرَجِّلُ» أي تمشط شعر رأسه... ﷺ...
«وهو مُعْتَكِفٌ» أي النبي... ﷺ... معتكف...
«يُناوِلُهَا» أي يميل رأسه إليها لتمشطه...
وكان باب الحجرة إلى المسجد...
وكانت عائشة تقعد في حجرتها... من وراء القبة...
ويقعد رسول الله... ﷺ... في المسجد... خارج الحجرة...
فيميل رأسه إليها... والله أعلم بحقيقة الحال...

* * *

أقول... إِنَّ عائشة... رضي الله عنها... كانت تتابعه في اعتكافه...
هو... ﷺ... في المسجد... وهي... في حجرتها... من وراء القبة...
فيميل رأسه إليه لِتُرَجِّلَهُ!!!
كَمْ كانت سعادتها... وهي تمشط شعر رأسه ﷺ!!!
لقد نالت عائشة... ما لم ينله أحد!!!

عائشة تقول:

«يا رسول الله...»

ماذا أذنبْتُ؟...؟!

عَنْ عَائِشَةَ... أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... أَلَّهَا أَخْبَرَتْهُ...
«أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمُرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ...»
«فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ...»
«فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ...»
فَقُلْتُ:

«يا رَسُولَ اللَّهِ...»

«أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ...»

«وَالِي رَسُولِهِ... ﷺ...»

«ماذا أذنبْتُ؟...»

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ: مَا بَالُ هَذِهِ النُّمُرُقَةِ؟...»

«قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ... لِنَقْعَدَ عَلَيْهَا وَقَوَسَدَهَا...»

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ...»

فَيَقَالُ لَهُمْ أَخْيُوا مَا خَلَقْتُمْ...»

«وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«نُمُرُقَةٌ» هي وسادة صغيرة...

«الصُّورُ» جمع صورة... ترد في كلام العرب على ظاهرها... وعلى معنى

حقيقة الشيء وهيئته... وعلى معنى صفته... يقال صورة الفعل كذا...»

«أَخْيُوا» أمر تعجيز من الإحياء...

«ما خَلَقْتُمْ» أي صَوَّرْتُمْ...
«لا تَدْخُلْهُ الملائكة» أي غير الحفظة...
وقيل ملائكة الوحي...
وقال النووي: أما الملائكة الذين لا يدخلون بيثا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والاستغفار...

* * *

مشهد له أثر عميق في تكوين شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها!!!
اشترت عائشة نَمْرَقَةً... وسادة صغيرة فيها بعض التصاوير المألوفة في مثل
هذه الأقمشة...

فماذا حَدَّثَتْ؟

«فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... قام على الباب فلم يَدْخُلْهُ»!!!

مقام ليس كمثله مقام!!!

إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...

ثم ماذا؟

ثم يأتي دور ذكاء عائشة... وفطنتها... وسرعة إدراكها...

«فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ»!!!

هكذا؟... بدون كلام منها!!!

إلها ابنة أبي بكر!!!

وفزعت أم المؤمنين وقالت:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ...»

«أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ...»

«وإلى رسولي ﷺ...»

«ماذا أَذْنَبْتُ؟»...

تأمل... منتهى الخوف... ومنتهى الأدب... ومنتهى الأمل في رفق رسول
الله... ﷺ!!!

قَدِّمَتْ أَوَّلًا التَّوْبَةَ...

ثم سألت: ماذا أَذْثَبْتُ ۱۱؟

هنالك أدركتُ عائشة أن رسول الله... ﷺ ... مقامه أعلى وأعلى
وأعلى... من هذه التفاهات التي يهشّ ويهشّ لها أهل الدنيا ۱۱۱.

من بدائع فقهها...

في أسباب النزول... ١٩!

سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ...

«يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ...»

«أَنَّ سَمِعَ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... تَقُولُ «وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ

وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»...»

«أُنْزِلَتْ فِي وَالِي الْيَتِيمِ الَّذِي يُقِيمُ عَلَيْهِ... وَيُضْلِحُ فِي مَالِهِ...»

«إِنْ كَانَ فَقِيرًا أَكَلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ».

[أخرجه البخاري]

«وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» هذا في سورة

النساء...

وأول الآية «وَابْتَغُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا

فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا

عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا»...

«وَابْتَغُوا الْيَتَامَى» أي اختبروهم...

«حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ» يعني الخُلُم...

«فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا» يعني صلاحًا في دينهم... وحفظًا لأموالهم...

ثم نهى الله عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية... إسرافًا ومبادرة قبل

بلوغهم...

«وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا» أي من كان في غنية عن مال اليتيم فليستغف عنه ولا

يأكل منه شيئًا...

﴿أُنزِلَتْ﴾ أي هذه الآية في والي اليتيم وهو الذي يلي أمره ويتولاه...
﴿الَّذِي يُقِيمُ عَلَيْهِ﴾ يلazمة ويعتكف عليه... أو يقيم نفسه عليه...
﴿أَكَلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني بقدر قيامه عليه...
وقال الفقهاء: له أن يأكل أقل الأمرين أجرة مثله... أو قدر حاجته...
﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني بعد بلوغهم الحُلم وإيناس الرشد...
فحينئذ سلّموهم أموالهم...
فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم لتلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما
قبضه وتسلمه...
﴿وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾ أي محاسبًا... وشاهدًا... ورقيًا... على الأولياء...
حال تسلمهم الأموال... هل هي كاملة وفرة... أو ناقصة مبخوسة؟...

* * *

أقول... هذه الأمور... غالبًا بل دائمًا... لا تلتفت إليها النساء... لأنها
أمور مادية تتعلق بالولاية على اليتامى... ودفع أموالهم إليهم عند الرشد...
فما للنساء وهذه الأمور؟
ولكن عائشة مؤهلة... لأن تكون ذات فقه واسع... في كل أمر من أمور
هذا الدين!!!
إنَّ الله أهلّها لذلك المقام... مقام تعليم الأمة ما تيسر لها من علوم
الدين!!!

عائشة...

تُفسِّر آيَةً...

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...!؟

أخبرنا هشام بن عروة... عَنْ أَبِيهِ...

«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...

فِي هَذِهِ الْآيَةِ...

«وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشْرِزًا أَوْ إِغْرَاضًا...»

«قَالَتْ: الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْبِرٍ مِنْهَا...

يُرِيدُ أَنْ يَفَارِقَهَا...

«فَقَالَتْ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حَلٍّ...

«فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ.»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ» إِلَى آخِرِهِ... مَقُولُ الْقَوْلِ...

«لَيْسَ بِمُسْتَكْبِرٍ مِنْهَا» لَيْسَ بِطَالِبِ كَثْرَةِ الصَّحْبَةِ مِنْهَا...

وَيُرِيدُ مَفَارِقَتَهَا... إِمَّا لِكِبَرِهَا... أَوْ لِدِمَامَتِهَا... أَوْ لَشَوْءِ خُلُقِهَا... أَوْ لَكَثْرَةِ

شَرِّهَا... أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ...

«فَقَالَتْ» أَيِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ...

«أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي» أَيِ مِنْ أَجْلِ شَأْنِي... فِي حَلٍّ مِنْ مُوَاجِبِ الزَّوْجِيَّةِ

وَحَقُوقِهَا...

«فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ» أَيِ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا» الْآيَةُ...

«فِي ذَلِكَ» أَيِ فِي أَمْرِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ...

«وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ» أَيِ وَإِنْ خَافَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْلِهَا... أَيِ مِنْ زَوْجِهَا...

﴿نُشُورًا﴾ والنشور منه أن يُسيء عشرتها ويمنعها النفقة...
﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الإعراض منه كراهته إياها... وإرادته مفارقتها... فإذا كان
كذلك...

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُضْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ وهو أن يقبل ما تسقطه من
حقها من نفقة أو كسوة أو مييت عندها... أو غير ذلك من حقوقها عليه...
فلا جناح عليها في بذلها له ذلك... ولا عليه في قبوله منها...
ولهذا قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُضْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾...
ثم قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي من الفراق...
ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة...
وعزم رسول الله... ﷺ على فراقها...
صالحته أن يمسكها...

وتترك يومها لعائشة... رضي الله تعالى عنها...
فقبل رسول الله... ﷺ منها... وأبقاها على ذلك...
عن ابن عباس... رضي الله تعالى عنهما قال:
«خشيت سودة أن يطلقها رسول الله... ﷺ...»
«فقلت: يا رسول الله... لا تطلقني... واجعل يومي لعائشة...»
«ففعّل... فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾
الآية...»

«قال ابن عباس: فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز».
وقال سعيد بن منصور...
«عن هشام بن عروة عن أبيه قال:
«أنزلت في سودة وأشباهاها ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾...»
«وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسئت...»
«ففرقت أن يفارقها رسول الله... ﷺ...»
«وضئت بمكانها منه...»

«وعرفت من حب رسول الله... ﷺ ... عائشة...
ومنزلتها منه...
«فوهبت يومها من رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم... لعائشة...
«فقبل النبي... صلى الله تعالى عليه وسلم»...
عن ابن سيرين قال:
«جاء رجل إلى عمر... رضي الله تعالى عنه... فسأله عن آية... فكره ذلك
وضربه باللدرة...
«فسأله آخر عن هذه الآية ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشْوَرًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾...
«فقال: عن مثل هذا فسلوا...
«ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنّها... فتزوج المرأة
الشابة يلتمس ولدها... فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز»...
وعن خالد بن عروة قال:
«جاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب... رضي الله تعالى عنه...
«فسأله عن قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشْوَرًا أَوْ
إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾...
«قال عليّ: يكون الرجل عنده المرأة (فسوا^(١)) عيناه عنها من دماستها أو
كبرها أو سوء خلقها أو قدرها...
«فتكره فراقه...
«فإن وضعت له من مهرها شيئاً حلّ له...
«وإن جعلت له من أيامها فلا حرج»...
وكذا فشره ابن عباس... وغير واحد من السلف والأئمة...
ولا أعلم في ذلك خلافاً في أن المراد بهذه الآية هذا... والله أعلم...

* * *

(١) هكذا بالأصل ولعل الصواب كلمة تفيد إعراض عيناه عنها.

أقول... وهكذا فُشِرت أم المؤمنين عائشة هذه الآية...
فكان تفسيرها رائعا... جامعا... وتناقله الفقهاء من بعدها وأجمعوا
عليه!!!.

عائشة...

تدفعها الغيرة...

إلى تحطيم القصة...!؟

عَنْ أَنَسٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

«أَنَّ النَّبِيَّ... ﷺ...

كَانَ عِنْدَ بَعْضِ يَسَائِهِ...

«فَازْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ... مَعَ خَادِمٍ بِقِصَّةٍ فِيهَا طَعَامٌ...

«فَضْرَبَتْ بِيَدِهَا...

«فَكَسَرَتْ الْقِصَّةَ...

«فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ... وَقَالَ: كُلُوا...

«وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقِصَّةَ حَتَّى فَرَّغُوا...

«فَدَفَعَ الْقِصَّةَ الصَّحِيحَةَ...

«وَحَبَسَ الْمَكْشُورَةَ».

[أخرجه البخاري]

وروى الترمذي... عن أنس قال:

«أَهْدَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ... ﷺ... طَعَامًا فِي قِصَّةٍ...

«فَضْرَبَتْ عَائِشَةُ الْقِصَّةَ بِيَدِهَا... فَأَلْقَتْ مَا فِيهَا...

«فَقَالَ النَّبِيُّ... ﷺ: طَعَامٌ بِطَعَامٍ... وَإِنَاءٌ بِإِنَاءٍ»...

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح...

وإنما أبهمت عائشة تفخيماً لشأنها...

قيل: إنه مما لا يخفى ولا يلتبس أنها هي... لأن الهدايا إنما كانت تهدى إلى

النبي... ﷺ... في بيتها...

ولم يقع في رواية أحد من البخاري والترمذي وابن ماجه تسمية زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم... التي أهدت له الطعام...
وقد ذكر ابن حزم... «عن أنس أن التي أهدته إليه زينب بنت جحش... أهدت إلى رسول الله... وهو في بيت عائشة ويومها... جفنة من حيس... فقامت عائشة فأخذت القصعة... فضربت بها... فكسرتها...
«فقام رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم... إلى قصعة لها... فدفعها إلى رسول زينب...»

«فقال: هذه مكان صحفتها.»

وفي الأوسط للطبراني... «عن أنس... أنهم كانوا عند رسول الله... في بيت عائشة... إذ أتى بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة... فوضعنا أيدينا... وعائشة تصنع طعامًا عجلة... فلما فرغنا جاءت به... ورفعت صحفة أم سلمة... فكسرتها...»

«مع خادم» يطلق الخادم على الذكر والأنثى... وهنا المراد الأنثى...
«فيها طعام» ذكر في حديث زينب أنه حيس... وهو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن... وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت... وفي حديث الطبراني خبز ولحم...

«فضمها» أي ضم القصعة التي انكسرت رسول الله...
«وقال كُلُوا» أي قال صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه الذين كانوا معه...
«وحبس الرسول» أي أوقف الخادم الذي هو رسول إحدى أمهات المؤمنين...

«والقصعة» أي حبس القصعة المكسورة أيضًا عنده...
«حتى فرغوا» أي حتى فرغت الصحابة الذين كانوا معه من الأكل...
«فدفع» أي أمر بإحضار قصعة صحيحة من عند التي هو في بيتها... فدفعها إلى الرسول...
«وحبس المكسورة» وحبس القصعة المكسورة عنده...

ما يستفاد منه؟

فيه بسط عذر المرأة في حالة الغيرة... لأنه لم يقل أنه ﷺ... عاتب عائشة على ذلك...
فلما قال: «غارت أمكم»...
ويقال إنما لم يؤديها ولو بالكلام... لأنه فهم أن المهدية كانت أرادت بإرسالها ذلك إلى بيت عائشة أذاها... والمظاهرة عليها...
فلما كسرتها لم يزد على أن قال: «غارت أمكم» وجمع الطعام بيده وقال: «قصعة بقصعة وأما طعام بطعام»...

* * *

أقول... مشهد جميل!!!
إن عائشة هنا تعبر عن غيرتها تعبيراً طبعياً...
إنها تحطم الإناء... القصعة!!!
وإن رسول الله... ﷺ... يعالج الأمر علاجاً جميلاً!!!.

عُمَرُ يَقُولُ لِحَفْصَةَ...
 «لَا يَغُرُّكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ...
 هِيَ أَوْضَأُ مِنْكَ...
 وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ...
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»...
 يُرِيدُ عَائِشَةَ...؟!

نحن الآن أمام حديث جامع... رائع... يصلح أن يكون بمفرده موضوع
 كتاب ضخمة...
 ولكن نستبسط منه ما يلقي ضوءاً جديداً... في هذا المبحث المبارك إن
 شاء الله...

ابن عباس... حنبل الأئمة... يسأل عُمَرَ...

عَمَلُ الْحَقِّ؟!

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... قَالَ:
 «لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...
 «عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ... ﷺ...
 «الَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا «إِنْ تَتَوَّأَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»...
 «فَحَبَّجْتُ مَعَهُ... فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ...
 «فَتَبَرَّرَ حَتَّى جَاءَ... فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ...»

«فَتَرَضًا...»

«فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ... مِنَ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ... ﷺ... اللَّتَانِ
قَالَ لَهُمَا «إِنْ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ»؟...
«فَقَالَ: وَاعْجَبَنِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ...
«عَائِشَةُ... وَحَفْصَةُ...»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«فَقَدَلَ» أَيِ عَنِ الطَّرِيقِ...

«بِالْإِدَاوَةِ» وَهِيَ إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يَتَخَذُ لِلْمَاءِ - بُلْغَةُ الْيَوْمِ الزَّمْزِمِيَّةُ -
«فَتَبَرَّزَ» خَرَجَ إِلَى الْفَضَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ...
«وَاعْجَبَنِي لَكَ» بِالْأَلْفِ فِي آخِرِهِ... وَهُوَ إِمَّا تَعْجَبُ مِنْ جَهْلِهِ بِذَلِكَ وَهُوَ كَانَ
مَشْهُورًا بَيْنَهُمْ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ... وَإِمَّا مِنْ حِرْصِهِ عَلَى سَوَالِهِ عَمَّا لَا يَنْتَبِهَ لَهُ إِلَّا
الْحَرِيصُ عَلَى الْعِلْمِ... مِنْ تَفْسِيرِ مَا لَا يُحْكَمُ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ...
«عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ» أَيِ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنْ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ»
الْآيَةُ... هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ...

عُمَرُ يَقُولُ لِحَفْصَةَ: أَتُغَاضِبُ إِخْدَاكُنَّ... رَسُولَ اللَّهِ...

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

«ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَشْوَقُهُ... فَقَالَ:
«إِنِّي كُنْتُ وَجَارًا لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ... وَهِيَ مِنْ عَوَالِي
الْمَدِينَةِ...»

«وَكُنَّا لَتَتَاوَبُ التَّوْبَةَ عَلَى النَّبِيِّ... ﷺ...
«فَيَنْزِلُ هُوَ يَوْمًا... وَأَنْزِلُ يَوْمًا...
«فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَيْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ... وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ
مِثْلَهُ...»

«وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ... فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ...
«فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ...
«فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاغَعَنِي...
«فَأَلْكَزْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي...
«فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكَرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ... فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ... ﷺ...
لَيُرَاجِعُنَهُ... وَإِنْ إِخْدَاهُنَّ لَتَهْجُرَهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ...
«فَأَلْزَعَنِي... فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ...
«ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ نِيَابِي... فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ...
«فَقُلْتُ: أَيُّ حَفْصَةَ... أَتُغَاضِبُ إِخْدَاكُنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟...
«فَقَالَتْ: نَعَمْ...
«فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ...
أَفَتَأْمُرُ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِعَظْبِ رَسُولِهِ... ﷺ... فَتَهْلِكِينَ؟...
«لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ... وَلَا تَهْجُرِيهِ...»

عُمَرُ يَقُولُ أَنَّ عَائِشَةَ أَجْمَلُ؟!

«وَأَسْأَلُنِي مَا بَدَا لَكَ...
«وَلَا يَقْرَأُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكَ...
«وَأَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ...
«يُرِيدُ عَائِشَةَ...».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ» هُوَ عَتَبَانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَمْرِو الْعَجْلَانِيِّ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ...»

«من عوالي المدينة» وهي القرى بقرب المدينة...
 «معشر قريش» أي جمع قريش...
 «بعظيم» أي بأمر عظيم...
 «ثم جمعت علي ثيابي» أي ليستها...
 «أني حفصة» أي يا حفصة...
 «ما بدا لك» أي ما كان لك من الضرورات...
 «أن كانت جارتك» أي بأن كانت...
 «ولا يغرك كون جارتك... أضوا منك... أي أزهر وأحسن...
 «ويروى أوضاً من الوضأة... أي من أجمل وأنظف...
 «والمراد من الجارة الضرة...
 «والمراد بها عائشة... رضي الله تعالى عنها...
 «وفسر ذلك بقوله: «يُرِيدُ عائشة»

* * *

أقول: قالوا: فيه فضل عائشة رضي الله تعالى عنها...
 وأضيف وفيه شهادة عمر... وما أدراك ما عمر!!!
 أن أم المؤمنين عائشة... كانت أجمل...
 «لا يغرك أن كانت جارتك...
 «هي أوضاً منك...
 «وأحب إلى النبي... ﷺ»...
 قال الراوي: يُرِيدُ عائشة!!!

عائشة...

محررة العبيد...

من ذل الرق...؟

عن عائشة... قالت:

«جاءتني بريدة... فقالت:

«كاتبني أهلي على تسع أواق... في كل عام أوقية... فأعيني...»

«فقلت إن أحبوا أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي ففعلت...»

«فذهبت بريدة إلى أهلها فقالت لهم... فأبوا عليها...»

«فجاءت من عندهم... ورسول الله... جالس...»

«فقلت: إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء

لهم...»

«فسمع النبي...»

«فأخبرت عائشة النبي...»

«فقال: خذوها واشترطي لهم الولاء... فإنما الولاء لمن أعتق...»

«ففعلت عائشة...»

«ثم قام رسول الله... في الناس...»

«فحمد الله... وأثنى عليه... ثم قال:

«ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله...»

«ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل...»

«وإن كان مائة شرط...»

«فضاء الله أحق...»

«وشروط الله أوثق...»

«وَأَلَمَّا الْوَلَاءُ لِمَنْ أُعْتَقَ».

[أخرجه البخاري]

وقد مضى هذا في مواضع متعددة^(١)... وهذا هو الموضع الرابع عشر الذي يذكر فيه خبر بَرِيرَةَ...

«فَأَعْيِنِي» وفي رواية فَأَعْيَتْنِي من الإعياء وهو العجز، والمعنى فَأَعْيَتْنِي تسع أواق لعجزني عن تحصيلها... وفي رواية فَأَعْتَقْنِي... من الإعتاق...
«وَأَشْتَرِطِي» المراد التويخ لهم... لأنه ﷺ قد بين لهم أن هذا الشرط لا يصلح... فلما لَجَّوا في اشتراطه قال ذلك... أي لا تبالي به سواء شرطته أم لا... والأصح أنه من خصائص عائشة لا عموم له... والحكمة في إذنه ثم إبطاله أن يكون أبلغ في قطع عاداتهم وزجرهم عن مثله...

* * *

أقول... واشترت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها... بَرِيرَةَ...
ودفعت إليهم الثمن...

وحررتها... وأعتقتها...

كما أمرها رسول الله... ﷺ... في إحدى روايات البخاري للحديث:

«خُذِيهَا... فَأَعْتَقِيهَا...»!!!

وفي رواية للبخاري أيضًا:

«اشْتَرِيهَا... فَأَعْتَقِيهَا...»!!!

(١) أي من صحيح البخاري

عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر...
يقول لخالتيه...
«يا خالة...»

ما كان يُعِيشُكُمْ...!!؟

إذا قال التاريخ...

إنَّ عائشة... أم المؤمنين... رضي الله تعالى عنها...
كانت... وكانت... على أعلى مستوى من الفضائل والأخلاق...
سألَ الناس: ألي لها هذا؟!
الجواب: ما سوف تقرأ!!!

«عن عُرْوَةَ...»

«عن عائشة... رضي الله عنها... أنها قالت لعُرْوَةَ...
«ابن أختي...»

«إنَّ كُنَّا لَنَنْتَظِرُ إلى الهَلَالِ... ثُمَّ الهَلَالِ... ثُمَّ الهَلَالِ... ثَلَاثَةَ أَهْلِي فِي
شَهْرَيْنِ...»

«وَمَا أَوْقَدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... نَارٌ...»

«فَقُلْتُ: يَا خَالَةَ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟...»

«قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ... التَّمْرُ وَالْمَاءُ...»

«إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ... ﷺ... جِيزَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ

مَنَائِحُ... وَكَانُوا يَمْتَنِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... مِنْ أَلْبَابِهِمْ...»

«فَيَسْقِينَا...»

[أخرجه البخاري]

«لَعَزُوزَةٌ» عروة بن الزبير بن العوام...
«ابن أختي» يعني يابن أختي...
وفي رواية مسلم «والله يابن أختي»...
وَأُمُّ عَزُوزَةٍ... أسماء بنت أبي بكر الصديق... وهي أخت عائشة... بنت
أبي بكر... رضي الله تعالى عنهم...
«ثَلَاثَةُ أَهْلَةٍ» نرى ثلاثة أهلة... ونكملها في شهرين...
وفي رواية ابن ماجه «كان يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته
الدخان»...

«وما أوقدت» من الإيقاد...
«يا خالَةَ» بضم التاء لأنه منادى مفرد...
«ما كان يُعَيِّشُكُمْ»؟ من أعاشه الله تعالى عيشة...
«الأسودانِ الثَّمَرُ والماءُ» وهو من باب التغليب... إذ الماء ليس أسود...
وأطلقت عائشة على التمر أسود لأنه غالب تمر المدينة...
«مَنَائِحُ» هي ناقة أو شاة تعطىها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك...
«يَمْنَحُونَ» من المنح وهو العطاء...
وذلك لأنهم كانوا يهدون إلى رسول الله ﷺ... من ألبان منائحهم...
وفي الحديث... زهد النبي ﷺ... في الدنيا... والصبر على الثقل...
وأخذ البلغة من العيش... وإثارة الآخرة على الدنيا...
وأضيف... وفيه منبع من المنابع العليا التي ترئت عليها أم المؤمنين
عائشة... رضي الله تعالى عنها!!!
ثلاثة أهلة... في شهرين... وما أوقدت في آيات رسول الله ﷺ...
نارا!!!

وبيت عائشة... هو أحد هذه البيوت!!!.
شهران يُمُرَّان... على أم المؤمنين عائشة...
وما يوقد في بيتها نارا!!!.

ما هذا؟؟

هذه حياة عائشة!!!

هذه عظمة عائشة!!!

هذه أخلاق عائشة!!!

عليها السلام!!!.

فاطمة... بنت رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
تؤدّي رسالة...

من أمّهات المؤمنين...؟!

عن عائشة... رضي الله عنها...
«أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ... كُنَّ حَزْبَيْنِ...
«فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ... وَحَفْصَةُ... وَصَفِيَّةُ... وَسَوْدَةُ...
«وَالْحِزْبُ الْآخَرُ... أُمُّ سَلَمَةَ... وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ...
«وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ... عَائِشَةُ...
«فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ...
أَخْرَجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ... فِي بَيْتِ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ
عنها... بَعَثَ صَاحِبَ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... فِي بَيْتِ عَائِشَةَ...
رَضِيَ اللَّهُ عنها...

«فَكَلَّمَ حِزْبَ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا:
كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ... يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ... هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ...
«فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ...
«فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا...
«فَسَأَلَتْهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا...
«فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ...
«قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا...

«فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا...
«فَسَأَلَتْهَا... فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا...
«فَقُلْنَ لَهَا: كَلِمَتِهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ...
«فَدَارَ إِلَيْهَا... فَكَلَّمَتْهُ...
«فَقَالَ لَهَا: لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ...
«فَإِنَّ الرُّوحِي لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبٍ (١) امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةُ...
«قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...
«ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ... بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ...
«فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ... تقول: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ
فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ...
«فَكَلَّمَتْهُ... فَقَالَ: يَا بَنِيَّةُ... أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟
«قَالَتْ: بَلَى...
«فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ... فَأُخْبِرْتُهُنَّ...
«فَقُلْنَ: ازْجِئِي إِلَيْهِ...
«فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ...
«فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ... فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ
اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ...
«فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَالَتْ عَائِشَةَ... وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّهَا...
«حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ... لِيَنْظُرَ إِلَى عَائِشَةَ: هَلْ تَكَلَّمُ؟...
«قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ... تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَشْكُتْهَا...
«قَالَتْ: فَتَنَظَرَ النَّبِيُّ... إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ:
«إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ».

[أخرجه البخاري]

(١) يريد بالثوب البيت في بعض التفسيرات.

«حِزْبَيْنِ» تشية حزب... وهو الطائفة... ويجمع على أحزاب...
«عائشة» هي بنت أبي بكر الصديق...
«وَحَفْصَةُ» هي بنت عمر بن الخطاب...
وصفيّة بنت حبي الخيرية... وسودة بنت زمعة العامرية...
«أُمّ سَلَمَةَ» هي بنت أبي أمية...
«وسائر نساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم».
أي وبقية نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم... وهي الأربع... زينب بنت جحش
الأسدية... وميمونة بنت الحارث الهلالية... وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان
الأموية... وجويرية بنت الحارث المصطلقية...
«حين دارَ إليها» أي إلى عائشة... أراد يوم كونه صلى الله تعالى عليه وسلم
في نوبة عائشة في بيتها...
«فكلمته» أي فكلمت أُمّ سَلَمَةَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم... فقال
لها رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم...
«لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ» كلمة في ههنا للتعليل... كما في قوله تعالى
﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾...
«قَالَتْ: فَقَالَتْ» أي قالت عائشة: فقالت أُمّ سَلَمَةَ: أتوب إلى الله...
«ثم إلهن» أي إن نساء النبي اللاتي هن الحزب الآخر...
«دَعَوْنَ» أي طلبن فاطمة رضي الله تعالى عنها...
«تَقُولُ» أي فاطمة تقول لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم...
«إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُكَ اللَّهُ الْعَدْلَ» أي يسألك بالله العدل...
ومعناه التسوية بينهن في كل شيء من المحبة وغيرها...
ولكن المعنى التسوية بينهن في المحبة المتعلقة بالقلب...
لأنه كان يسوي بينهن في الأفعال المقدورة...
وأجمعوا على أن محبتهم لا تكليف فيها...
ولا يلزمه التسوية فيها... لأنها لا قدرة عليها...

وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال...
حتى اختلفوا في أنه هل يلزمه القسم بين الزوجات أم لا؟...
«فأنته» أي فأنت زينب رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم...
«فأغلظت» أي في كلامها...
«وهي قاعدة» أي عائشة قاعدة...
«وقال: إنها بنت أبي بكر» أي إنها شريفة... عاقلة... عارفة... كأبيها...
وقيل معناه: هي أجود فهما... وأدق نظرا منها...
وفيه لطيفة أخرى...
وهي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نسبها إلى أبيها في معرض المدح...
ونسبت فيما تقدم إلى أبي قحافة... حيث لما أريد النيل منها ليخرج أبو
بكر رضي الله تعالى عنها من الوسط إذ ذاك... ولئلا يهيج ذكره المحبة.

ما يستفاد منه؟!

فيه فضيلة عظيمة لعائشة... رضي الله تعالى عنها...
وفيه أنه لا حرج على الرجل في إثارة بعض نسائه بالتحف... وإنما اللازم
العدل في المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة...
واعترض على ذلك بأنه ﷺ لم يفعل ذلك... وإنما فعله الذين أهدوا
له... وإنما لم يمنعهم النبي ﷺ لأنه ليس من كمال الأخلاق التعرض لمثل
هذا...

على أن حال النبي ﷺ يشعر بأنه كان يشركهن في ذلك...
ولم تقع المنافسة إلا لكون العطية تصل إليهن من بيت عائشة...
وفيه تحري الناس بالهدايا في أوقات المسرة ومواضعها من المهدى إليه
ليزيد بذلك في سروره...

وفيه إشارة إلى التفضيل بالشرف والعز...
وفيه ما كان عليه أزواج النبي ﷺ من مهابة والحياء منه حتى راسلته

بأعزّ الناس عنده... فاطمة رضي الله تعالى عنها...

* * *

أقول... لست أدري ماذا أقول بعد الذي قال ساداتنا الأقدمون؟
لا زيادة لمستزيد... وإنما الأمر ساطع قاطع... أن عائشة رضي الله تعالى
عنها كانت...

أحبّ نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم إليه...
وأنّ محاولات بعض أمهات المؤمنين... ليحبهنّ مثل حُبّه لعائشة رضي الله
تعالى عنها...

لم تحقق شيئاً!!!.

صلى الله تعالى عليه وسلم!!!.

عائشة...

تشارك...

في غزوة أُحُد...!؟

عن أَنَسٍ ... رضي الله عنه... قال:
«لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ... انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ... ﷺ... قَالَ:
«وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ... وَأُمِّ سَلِيمٍ...
«وَأَيْتُهُمَا لَمْشَمَرَتَانِ...
«أَرَى خَدَمَ شَوْقِيهِمَا...
«تَنْقُزَانِ الْقَرْبَ...
«وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُزَانِ الْقَرْبَ...
«عَلَى مُتَوْنِيهِمَا...
«ثُمَّ تُفْرِغَا فِيهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ...
«ثُمَّ تَرْجِعَانِ... فَتَمْلَأُهَا...
«ثُمَّ تَجِئَتَانِ فَتُفْرِغَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ».

[أخرجه البخاري]

قيل:

بؤب البخاري على غزوهن وقتالهن... وليس في الحديث أنهن قاتلن...
فإما أن يريد أن إعانتهم للغزاة غرو...
وإما أن يريد أنهن ما ثبتن للمداواة ولسقي الجرحى... إلا وهن يدافعن عن
أنفسهن...
وهو الغالب... فأضاف إليهن القتال لذلك...
قلت: كلا الوجهين جيد...

ويؤيد الوجه الأول ما رواه أبو داود في سننه من حديث حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه... أنها خرجت مع رسول الله... صلى الله تعالى عليه وآله وسلم... في غزوة خيبر - الحديث - وفيه... فخرجن لغزول الشعر... ونعين في سبيل الله... ومعنا دواء الجرح... ونناول السهام... ونسقي السوق... فقال لهن خيرا... حتى إذا فتح الله خيبر أسهم لنا كما أسهم للرجال - الحديث - فهذا فيه نناول السهام يعني للغزاة... والمناول للغازي أجره مثل أجر الغازي... كما للمناول السهم للرامي في غير الغزاة... وأجر المناول في الغزاة بطريق الأولى...

ويؤيد الوجه الثاني ما رواه مسلم من حديث أنس أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين... فقالت: اتخذته إن دنى مني أحد من المشركين بقرت بطنه... فهذه أم سليم اتخذت عدة لقتل المشركين... وعزمت على ذلك... فصار حكمها حكم الرجال المقاتلين... «وَأُمُّ سَلِيمٍ» هي أم أنس بن مالك...

«لَمْشَرَّتَانِ» من التشمير... يقال شمر إزاره إذا رفعه... «خَدَمَ سَوْقَهُمَا» الخَدَم: الخلاخيل... وقد سمي موضعها من الساقين خَدَمَةً... وقيل: الخدمة: مخرج الرجل من السراويل... والشوق: جمع ساق... «تَنَقَّرَانِ» معناه يسرعان المشي كالهرولة... وقيل معناه الوثوب... «الْقَرَبَ» أي تحركان القرب بشدة عدوهما... فكانت القرب ترتفع وتنخفض مثل الوثب على ظهورهما...

«وَقَالَ غَيْرُهُ تَنَقَّلَانِ» أي قال البخاري قال غير أبي معمر عن عبد الوارث: تنقلان القرب...

«ثُمَّ تُفَرِّغَانِي» أي تصبانه... فإن قلت: ما وجه قوله أرى خَدَمَ سَوْقَهُمَا؟... قلت: قال النووي: الرؤية للخَدَم لم يكن فيها نهي... لأن يوم أُحُد كان قبل أمر النساء بالحجاب... أو لأنه لم يقصد النظر إلى بعض الساق... فهو محمول على أن

تلك النظرة وقعت فجأة بغير قصد إليها...
واختلف في المرأة: هل يسهم لها؟...
قال الأوزاعي: يسهم للنساء لأنه ﷺ... أسهم لهن بخير... وأخذ المسلمون
بذلك...

* * *

أقول... إنَّ عائشة تساهم في معركة أُحُد...
إنها تنقل الماء في القرب... تحمله على ظهرها... وتفرغه في أفواه
القوم...

ثم ترجع... فتملأ القربة...
ثم تعود... فتفرغها في أفواه القوم...
ومعها أمّ سليم... مشمرتان!!!
عمل... نشاط... توجّه إلى الله...
وهكذا إيجابية صاعدة!!!
إنها مثال رائع لما ينبغي أن تكون عليه كل امرأة في الإسلام!!!

عائشة تقول...

للنبي صلى الله عليه وسلم:

«هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ...»

كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ...؟

«حدثني عُرْوَةُ...»

«أَنَّ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... زَوْجَ النَّبِيِّ... حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ

لِلنَّبِيِّ...»

«هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ...»

«قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ...»

«وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ...»

«إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ... فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ...»

«فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ...»

«فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ...»

«فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي...»

«فَنَظَرْتُ... فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ...»

«فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ... وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ...»

«وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ...»

«فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ... فَسَلَّمَ عَلَيَّ... ثُمَّ قَالَ:

«يَا مُحَمَّدُ...»

«فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ...»

«إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ...»
«فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَخَدَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.»

[أخرجه البخاري]

«يوم أُحُد» يوم غزوة أُحُد... كانت في سنة ثلاث من الهجرة...
«يوم العَقَبَةِ» هي التي تنسب إليها جمرة العقبة... وهي بمنى...
«إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي» أي حين عرضت نفسي... كان ذلك في شوال سنة
عشر من المبعث...

وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة... رضي الله تعالى عنهما...
وفي المغازي... أن النبي ﷺ لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن
يؤوه... فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم ساداتهم... وهم أخوة عبد ياليل...
وحبيب ومسعود بنو عمرو... فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه
قومه... فردوا عليه أقبح رد...

«عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلٍ» وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف...
عن مجاهد في قوله تعالى «عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ». قال: نزلت في
عتبة ابن ربيعة... وابن عبد ياليل الثقفي...
«على وَخَيْهِ» أي على الجهة المواجهة...
«بقرن الثعالب» وهو موضع بقرب مكة... وقال النووي: هو ميقات - أهل
نجد...

«مَلَكَ الْجِبَالِ» أي بعث الله إليك ملك الجبال... وهو الملك الذي سخر
الله له الجبال وجعل أمرها بيده...
«ذَلِكَ» أي ذلك كما قال جبريل... أو كما سمعت منه... أو: الأمر ذلك...
«فِيمَا شِئْتَ» أي إن شئت لفعلت...
«ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ» وفي رواية: فقال يا محمد إن الله بعثني إليك
وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت...

«أن أطبق» بأن أطبق لفعلت بإطباق الأخشيين عليهم...
والأخشبان هما جبلا مكة... أبو قبيس والذي يقابله قيقعان...
وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهم...
ويقال رجل أخشب إذا كان صلب العظام...
والمراد من قوله «أن أطبق عليهم» أن يلتقيا على من بمكة فيصيران كطبق واحد
عليهم...
«بل أزجو» وفي رواية: أنا أرجو...

* * *

أقول... تأمل هنا السؤال الذي سألت عائشة:
هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ... كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟!!
إنه سؤال عميق... عن قضية عميقة... لا يلتفت إليها النساء!!!
ما شأن النساء وهذه المقارنات بين مشهد شديد وآخر أشد؟!!
ولكن عائشة... التي لم تبلغ ثمان عشرة سنة تسأل هذا السؤال!!
فما معنى هذا؟!!
معناه أن تفكيرها تفكير رفيع... وأن أفقها أفق أعلى من آفاق كثير من
النساء!!!
لقد شهدت يوم أُحُد... وكانت تنقل فيه على ظهرها قرب الماء تفرغه في
أفواه القوم...
وشهدت الفظائع التي حدثت فيه حين انهزم المسلمون...
وها هي تسأل رسول الله... ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ
أُحُدٍ؟!!
فأجابها النبي... ﷺ: «وكانَ أَشَدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبَةِ»!!!
ونقلت إلينا أم المؤمنين بعد ذلك تلك الإجابة المقدسة نقلاً أميناً رائعاً
مُحكماً... في ألفاظ جامعات...
لتبقى إلى يوم القيامة شاهداً على صدق الصديقة بنت الصديق!!!

«يا عائشُ...»

هَذَا جَبْرِيلُ...

يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...!؟

عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...

«أَنَّ النَّبِيَّ... ﷺ... قَالَ لَهَا:

«يَا عَائِشَةُ...»

«هَذَا جَبْرِيلُ...»

«يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...»

«فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ...»

«تَرَى مَا لَا أَرَى...»

«ثَرِيدُ النَّبِيِّ ﷺ».

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«يَا عَائِشَةُ» وَرَوَى يَا عَائِشُ بِالْتَرخِيمِ...

«يَقْرَأُ» وَيُرْوَى يُقْرَأُكَ...

وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا...

فَإِنْ قُلْتُ: هَلَا وَاجَهَهَا جَبْرِيلُ كَمَا وَاجَهَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟...

قُلْتُ: وَجْهَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّرَ وَجُودَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا مِنْ أَبٍ... نَصَبَ

جَبْرِيلَ لِيَعْلَمَهَا بِكُونِهِ قَبْلَ كُونِهِ... لَتَعْلَمَ أَنَّهُ يَكُونُ بِالْقُدْرَةِ... فَتَسْكُنُ فِي زَمَنِ

الْحَمْلِ... ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِكُونِهَا فِي وَحْدَةٍ... فَقَالَ: لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ

رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا... فَكَانَ خُطَابُ الْمَلِكِ لَهَا فِي الْحَالَتَيْنِ لَتَسْكُنَ وَلَا تَنْزَعِجَ...

وَجَوَابَ آخَرَ... أَنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ خَالِيَةً مِنْ زَوْجٍ... فَوَاجَهَهَا بِالْخُطَابِ...

وَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ احْتَرَمَتْ لِمَكَانِ سَيِّدِ الْأُمَّةِ... كَمَا احْتَرَمَ الشَّارِعَ قَصْرَ عَمَرَ...

رضي الله تعالى عنه... الذي رآه في المنام خوفاً من الغيرة...
وهذا أبلغ في فضل عائشة... لأنها إذا احترمها جبريل عليه الصلاة
والسلام الذي لا شهوة له حفظاً لقلب زوجها سيد الأمة... كان عمّا قيل فيها
في الإفك أبعد...
وجواب آخر... أنه خاطب مريم لكونها نبيّة - على قول - وعائشة لم
يذكر عنها ذلك...

وفيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى الملك ولا يراه من معه...
وفيه زيادة عائشة في الرد على سلام جبريل عليه الصلاة والسلام...
بقولها: ورحمة الله وبركاته...
وهي سنة... قاله ابن عباس...

وفيه جواز سلام الأجنبي على الأجنبية إذا لم يخشَ ترتب مفسدة...
أقول... كما قالوا: وفيه منقبة عظيمة... لعائشة... رضي الله تعالى عنها!!!

* * *

كَانَتْ...

لَا تُمَسِّكُ شَيْئًا...

مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ...؟!

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ... قَالَ:

«كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ الْبَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...

» بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ...

» وَأَبَى بِكَر...

» وَكَانَ أَهْرَ النَّاسِ بِهَا...

» وَكَانَتْ لَا تُمَسِّكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ... تَصَدَّقَتْ...

» فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهَا...

» فَقَالَتْ: أَلْيُؤْخَذُ عَلَى يَدَيَّ؟!

» عَلَيَّ نَذْرٌ إِنْ كَلُمْتُه...

» فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهَا بِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ... وَأَخْوَالَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ...

خَاصَّةً...

» فَاذْتَنَعَتْ...

» فَقَالَ لَهُ الزُّهْرِيُّونَ أَخْوَالَ النَّبِيِّ ﷺ... مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ

عَبْدِ يَغُوثٍ... وَالْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ:

» إِذَا اسْتَأْذَنَّا فَأَقْتَحِمِ الْجَنَابَ...

» فَفَعَلَ... فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِعَشْرِ رِقَابٍ فَأَعْتَقَهُمْ...

» ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تُعْتِقُهُمْ حَتَّى بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ...

» فَقَالَتْ: وَدِدْتُ أَلِيَّ جَعَلْتُ حِينَ خَلَفْتُ عَمَلًا أَعْمَلُهُ فَأَقْرَعَ مِنْهُ...».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

وتوضيحه أن عبد الله بن الزبير بن العوام... هو ابن أخت عائشة... رضي الله تعالى عنها...

لأن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق... رضي الله تعالى عنهما...
فأسماء أخت عائشة من الأب...

وكانت عائشة تحب عبد الله بن الزبير غاية المحبة...
وكان أحب الناس إليها... بعد النبي ﷺ... وبعد أبي بكر... رضي الله تعالى عنه...

وكان عبد الله يتر إليها كثيراً...
وكانت عائشة كريمة جداً...

لا تمسك شيئاً!!!

وبلغها أن عبد الله قال: والله لتنتهين عائشة... أو لأحجرن عليها...
فقالت: عليّ نذر إن كلمته... وبقية الكلام تظهر من تفسير الحديث...
«ينبغي أن يؤخذ على يديها» أي تمنع من الإعطاء... ويحجر عليها... وفي رواية للبخاري... «والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها...»
«فقالت: أئؤخذ عليّ يدي؟» ولما بلغ عائشة ما قاله عبد الله بن الزبير من الحجر عليها قالت: أئؤخذ على يدي... يعني أئحجر عبد الله عليّ؟... فغضبت من ذلك فقالت: عليّ نذر إن كلمته...

«فاستشفع» أي عبد الله إليها... أي إلى عائشة... أي لما بلغ عبد الله بن الزبير غضب عائشة من كلام عبد الله وبلغه نذرهما بترك الكلام له... خاف على نفسه من غضبها فاستشفع إليها لترضى عنه... فامتنعت عائشة ولم ترض بذلك...
«فقال له الزهريون» أي فلما امتنعت عائشة عن قبول الشفاعة.. قال لعبد الله الجماعة الزهريون وهم المنسوبون إلى زهرة...

«أحوال النبي ﷺ» لأن أمه عليه السلام كانت من بني زهرة لأنها بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة...
«منهم» أي من الزهريين عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث...

«والمِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ» ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
القرشي الزهري...

«إِذَا اسْتَأْذَنَّا» يعني إذا استأذنا على عائشة في الدخول عليها... فافتحم
الباب... أي أرمِ نفسك فيه من غير استئذان ولا روية...

يقال افتحم الإنسان الأمر العظيم إذا رمى نفسه فيه من غير تثبيت ولا روية...
وأراد بالحجاب الستارة التي تضرب بين عائشة وبين المستأذنين للدخول عليها...
«فَفَعَلَ» أي فعل عبدالله بن الزبير ما قاله الزهريون من اقتحام الباب...

«فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِعَشْرِ رِقَابٍ» أي لما شفع الزهريون في عبدالله عند عائشة...
رضيت عليه... ثم أرسل عبدالله بعشر عبيد وجوارٍ إليها لأجل أن تعتق ما أرادت
منهم كفارة ليمينها...

فأعتقت عائشة جميعهم!!!

ثم لم تزل عائشة تعتق... حتى بلغ عتقها أربعين رقبة!!!

للاحتياط في نذرها!!!

«فَقَالَتْ: وَدِدْتُ» إلى آخره... معناه أنني نذرت مبهمًا... وهو يحتمل أن
يطلق على أكثر مما فعلت... فلو كنت نذرت نذرًا معينًا لكنت تيقنت بأنني أديته
وبرئت ذمتي!!!

وحاصل المعنى أنها تمتت لو كان بدل قولها «عَلَيَّ نَذْرٌ» على إعتاق رقبة أو
صوم شهر ونحوه من الأعمال المعينة حتى تكون كفارتها معلومة معينة... وتفرغ
منها بالإتيان به... بخلاف لفظ «عَلَيَّ نَذْرٌ» فإنه مبهم لم يطمئن قلبها بإعتاق رقبة أو
رقبتين... وأرادت الزيادة عليه في كفارته!!!

«عَمَلًا أَعْمَلُهُ فَأَفْرِغَ مِنْهُ» أي فأنا أفرغ منه...

واختلف العلماء في النذر المبهم المجهول...

فذهب مالك إلى أنه يتعقد ويلزم به كفارة يمين...

* * *

أقول... حيث شرعت في كتابة «حياة عائشة»... لم يخطر على قلبي...

أن يبلغ الكتاب ما بلغ من السعة والتشعب...
فلما بدأت أسبح في ذلك البحر... فتح الله آفاقاً غلياً... تتزاحم أمامي...
فاشتدت حيرتي وقلت: سبحان الله!!!
وكان شأني شأن طفل وجد نفسه فجأة أمام جبل من حبات ألماس...
فجعل يلتقط منها لآلئاً بمقدار ما تسع يده...
ولا يدري ماذا يفعل في ذلك الجبل العريض!!
وهأنذا وقد اشتدت حيرتي... ماذا آخذ وماذا أدع!!
كل الآثار جميلة... وكل الأحوال رائعة...
فإن أثبت كل ما يتعلق بحياة عائشة... طال الأمر على القارئ... وإن
التقطت بعضاً منها... فهناك الكثير والكثير!!!
اللهم أهدني لأقرب من هذا رشداً!!!.

أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟... قال: «عائشة»...؟!!

حدَّثني عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ... رضي الله عنه...
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ... بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ... فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:
«أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟...
«قال: عائشة...
«فقلت: مِنَ الرِّجَالِ؟...
«فقال: أبوها...
«قلت: ثُمَّ مَنْ؟...
«قال: ثُمَّ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ...
«فَعَدَّ رِجَالًا.»

[أخرجه البخاري]

كون أحب الناس إلى النبي ﷺ... أبا بكر... يدل على أن له فضلًا كثيرًا...
وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ...
«ذات السلاسل» اسم مكان سمي بذلك لأنهم كانوا مبعوثين إلى أرض بها
رمل ينعقد بعضه على بعض كالسلسلة... وكانت غزوة ذات السلاسل سنة
سبع...

«أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ» هذا السؤال من عمرو، وإنما كان لما وقع في نفسه
حين أمره على الجيش وفيهم أبو بكر وعمر، أنه مقدم عنده في المنزل عليهم
فسأله لذلك...

«فَعَدَّ رِجَالًا» ويروى فعَدَّ رجالًا... يحتمل أن يكون منهم أبو عبيدة بن
الجراح... على ما أخرجه الترمذي... قال: قلت لعائشة: أي أصحاب رسول الله

ﷺ كان أحب إليه؟... قالت: أبو بكر... قلت: ثم من؟... قالت: عمر... ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح... قلت: ثم من؟... فسكتت...

* * *

أقول... سئل ﷺ: «أي الناس أحب إليك؟...»

«قال: عائشة»!!!

هنيئاً لأمتنا... أم المؤمنين...

زوج رسول الله... ﷺ... في الدنيا والآخرة!!!.

لماذا...

خَرَّتْ عَائِشَةُ...

مَغْشِيًا عَلَيْهَا...؟!

عن مشروقي... قال:

«سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ... وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ... عَمَّا قِيلَ فِيهَا مَا قِيلَ؟...»

«قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَةَ جَالِسَتَانِ...»

«إِذْ وَلَجَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهِيَ تَقُولُ: فَعَلَ اللَّهُ بِفُلَانٍ وَفَعَلَ...»

«قَالَتْ: فَقُلْتُ: لِمَ؟...»

«قَالَتْ: إِنَّهُ لَمَيَّ ذِكْرَ الْحَدِيثِ...»

«فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَيُّ حَدِيثٍ؟...»

«فَأَخْبَرْتَهَا...»

«قَالَتْ: فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ... وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ!؟...»

«قَالَتْ: نَعَمْ...»

«فَخَرَّتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا...»

«فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَيٌّ بِنَافِضٍ...»

«فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ... فَقَالَ:

«مَا لِهَذِهِ؟...»

«قُلْتُ: حُمَيٌّ أَخَذَتْهَا مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ تُحَدِّثُ بِهِ...»

«فَقَعَدَتْ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَئِنْ خَلَفْتُ لَا تُصَدِّقُونِي... وَلَئِنْ اعْتَذَرْتُ لَا

تَعَذِّرُونِي...»

«فَمَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ... فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ...»

«فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ...»

«فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَا أَتَزَلُ...»

«فَأَخْبَرَهَا...»

«فَقَالَتْ: بِحَمْدِ اللَّهِ... لَا بِحَمْدِ أَحَدٍ...».

[أخرجه البخاري]

«عَمَّا قِيلَ فِيهَا» أي في عائشة ما قيل من الإفك...»

«إِذْ وَلَبَّحَتْ» أي دخلت...»

«فَعَلَّ اللَّهُ بِفُلَانٍ وَفَعَلَّ» أرادت الأنصارية المذكورة بفلان يشطّحاً... وهو

يشطّح بن أثانة...»

«إِنَّهُ نَمَى» من التسمية وهي رفع الخبر... يقال نَمَتِ الحديث أنميّه إذا بلغته

على وجه الإصلاح وطلب الخير... فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة قلت

نَمَيْتِهِ...»

«بِنَافِضٍ» أي ملتبسة بارتعاد... والنافض من الحمى هي ذات الرعدة...»

«مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ» هو حديث الإفك...»

«فَمَثَلِي» أي صفتي كصفة يعقوب عليه الصلاة والسلام حيث صبر صبراً

جَمِيلاً وقال (والله المستعان)...»

«مَا أَتَزَلُ» وهو قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» العشر

الآيات... فقال لها النبي ﷺ: «يا عائشة أما الله فقد برأك»... فقالت أمها:

قومي إليه... فقالت: والله لا أقوم إليه... ولا أحمد إلا الله عز وجل... وهو

معنى قولها (بحمدِ الله لا بحمدِ أحد)...»

* * *

أقول... قالت عائشة في استغراب:

«فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ...»

«وَرَسُولُ اللَّهِ...» 1119

قالت المرأة: نعم 111.

هنالك بلغ البلاء ذروته 111.

«فَحَرَّتْ مَغْشِيَةً عَلَيْهَا»!!!
ثم ماذا بعد الإغماء الشديد... من هول الصدمة الأليمة!!!
«فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ»!!!
إنها ترتعد... وترتعش... وتتلوى من الآلام!!!
هنالك قامَ برهانٌ أمامَ العالمِ أجمع إلى يوم القيامة...
أَنَّ عائشةَ مُبْرَأَةٌ مِمَّا يَصِفُونَ!!!
عليها السلام!!!

عائشة...

تري جبريل عليه السلام...
وهو ينفض رأسه من الغبار...؟!

عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:
«أصيب سعد يوم الخندق... رماه رجل من قریش يقال له حبان بن
العرقة... رماه في الأكل...»
«فصرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب...»
«فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق... وضع السلاح واغتسل...»
«فأتاه جبريل عليه السلام... وهو ينفض رأسه من الغبار...»
«فقال: قد وضعت السلاح؟... والله ما وضعت... اخرج إليهم...»
«قال النبي ﷺ: فأين؟...»
«فأشار إلى بني قريظة...»
«فأتاهم رسول الله ﷺ...»
- إلى آخر الحديث -

[أخرجه البخاري]

«أصيب سعد» وهو سعد بن معاذ...
«في الأكل» وهو عرق في وسط الدراع.
«وهو ينفض» روى الطبراني والبيهقي «عن عائشة قالت: سلم علينا رجل
ونحن في البيت... فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم... فرعاً...
فقلت في إثره... فإذا بدحية الكلبي... فقال: هذا جبريل يأمرني أن أذهب
إلى بني قريظة... وذلك لما رجع من الخندق... قالت: فكأنني برسول الله
ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام...»

وروى أحمد... عن عائشة: فجاءه جبريل وإن على ثنياه لنقع الغبار...
وعند ابن سعد: فقال له جبريل:
عفا الله عنك... وضعت السلاح ولم تضعه ملائكة الله...
«أخرج» أمر من الخروج...
«فأنهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم» أي فحاصرهم...

* * *

أقول... وشهدت عائشة جبريل عليه السلام...
وقالت: فكأنني برسول الله... ﷺ ... يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه
السلام!!!
إن عائشة تشهد المشاهد المقدسة... وترويهما للأمة رواية صادقة أمينة!!!.

أعظم لحظات...

حياة...

عائشة... ١٩

وأخذه بُحَّةُ ١٩

«عن عائشة قالت:

«كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ لَبِّي حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...»

«فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ...»

«وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ... يَقُولُ:

«مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... الْآيَةَ...»

«فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ.»

[أخرجه البخاري]

«بُحَّةٌ» هي شيء يعترض في مجاري النفس فيتغير به الصوت فيغلظ...

«فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ» أي خيّر بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة...

وروى أحمد من حديث أبي مويبة قال: قال لي رسول الله ﷺ: إني أوتيت

مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة... فخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي

والجنة... فاخترت لقاء ربّي والجنة...

وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه... خيّرت بين أن أبقى حتى أرى ما

يفتح على أمّتي وبين التعجيل... فاخترت التعجيل...

في الرفيق الأعلى؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... قَالَتْ:

«لَمَّا مَرَضَ النَّبِيُّ... ﷺ... الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ...
«جَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

[أخرجه البخاري]

«في الرفيق الأعلى» المراد به الأنبياء عليهم السلام...

* * *

وَرَأْسُهُ عَلَى فَيْحِ عَائِشَةَ؟!

«قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ...

«إِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ:

«إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ... ثُمَّ يُحْيَا أَوْ يُخَيَّرُ...

«فَلَمَّا اشْتَكَى... وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ... وَرَأْسُهُ عَلَى فَيْحِ عَائِشَةَ... غُشِيَ

عَلَيْهِ...

«فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ:

«اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى...

«فَقُلْتُ: إِذَا لَا يَجَاوِزُنَا...

«فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ».

[أخرجه البخاري]

«ثُمَّ يُحْيَا» أي ثم يسلم إليه الأمر... أو يُمَلِّك في أمره... أو يسلم عليه تسليم

الوداع...

«شَخَصَ بَصَرُهُ» أي ارتفع... يقال شَخَصَ بصره إذا فتح عينه وجعل لا

يطرف...

«إِذَا لَا يُجَاوِزُنَا» مِنَ الْمَجَاوِرَةِ... وَرَوَى إِذَا لَا يَخْتَارُنَا مِنَ الْاِخْتِيَارِ...

* * *

وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ... عَلَى النَّبِيِّ ﷺ....

وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي...»

«وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِوَالَكَ رَطَبٌ يَمَسُّهُ بِهِ...»

«فَأَبْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ بَصَرَهُ...»

«فَأَخَذْتُ السَّوَالِكَ فَقَضَيْتُهُ... وَنَفَضْتُهُ... وَطَيَّبْتُهُ... ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ...»

ﷺ...

«فَاسْتَنْتَ بِهِ...»

«فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... اسْتَنْتَ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ...»

«فَمَا عَدَا أَنْ فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... رَفَعَ يَدَهُ - أَوْ إِضْبَعَهُ - ثُمَّ قَالَ:

«فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى - ثَلَاثًا -

ثُمَّ قَضَى...»

«وَكَاثَتْ تَقُولُ: مَاتَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ حَاقِئَتِي وَذَاقِئَتِي.»

[أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«فَأَبْدَهُ» أَيُّ مَدُّ بَصَرِهِ إِلَيْهِ...»

«فَقَضَيْتُهُ» أَيُّ مَضِغَتِهِ... وَالْقَضْمُ الْأَخْذُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ...»

«وَطَيَّبْتُهُ» أَيُّ بِالْمَاءِ...»

«فَمَا عَدَا أَنْ فَرَّغَ» أَيُّ مَا عَدَا الْفَرَاغَ مِنَ السَّوَالِكِ...»

«رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِضْبَعَهُ» شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي...»

«حَاقِئَتِي» دُونَ التَّرْقُوتِ مِنَ الصَّدْرِ...»

«وَذَاقِئَتِي» وَهِيَ طَرَفُ الْحَلْقُومِ... وَقِيلَ مَا يَنَالُهُ الذَّقْنُ مِنَ الصَّدْرِ...»

والحاصل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مات ورأسه بين عنقه
وصدرها...

فإن قلت: هذا يعارض حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على فخذه...؟
قلت: يحتمل أنها رفعته عن فخذه إلى صدرها...

وَأَضَعَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ؟

«عن عباد بن عبد الله بن الزبير...

«أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ...

«أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ...

«وَأَضَعَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ...

«وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرُهُ... يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ».

[أخرجه البخاري]

«وَأَضَعَتْ إِلَيْهِ» من الإصغاء... يقال أصغيت إليه إذا أملت سمعك نحوه...

«بالرفيق» ويروى بالرفيق الأعلى...

وَاللَّهُ لَبِينَ حَاقِنِّي وَذَاقِنِّي؟

«عن عائشة... قالت:

«مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ...

«وَاللَّهُ لَبِينَ حَاقِنِّي وَذَاقِنِّي...

«فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ».

[أخرجه البخاري]

«فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ» قد بينت عائشة شدة الموت بقولها... وبين يديه

ركوة أو عتبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنْ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٌ...»

وروى أحمد والترمذي... عن عائشة... رأيتُه وعنده قدح فيه ماء وهو يموت...
فيدخل يده في القدح... ثم يمسح وجهه بالماء... ثم يقول «اللهم أعني على
سكرات الموت.»

* * *

النظرة الأخيرة كانت من حُجرتها؟!!

«حدثني أنس بن مالك... رضي الله عنه...
«أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين... وأبو بكر يُصلي
لهم...»

«لم يَفْجَأْهم إلا رسول الله ﷺ... قد كشف ستر حُجْرَةِ عائشة...
«فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ...
«ثُمَّ تَبَسَّمَ... يَضْحَكُ...
«فَتَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبَيْهِ... لِيَصِلَ الصَّفَّ...
«وَوَظَنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ...
«فَقَالَ أَنَسٌ: وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ يَفْتَتِلُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ...
ﷺ...»

«فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ...
«ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ...
«وَأَزْخَى الشُّرَّ.»

[أخرجه البخاري]

«فَتَكَصَّ» أي تأخر إلى ورائه...
«وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ» أي قصدوا إبطال الصلاة بإظهار السرور قولاً أو فعلاً...
«وَأَزْخَى الشُّرَّ» أي الستارة...
وزاد أبو اليمان عن شعيب: وتوفي من يومه ذلك...

تُوْفِّي فِي بَيْتِي ... وَفِي يَوْمِي ... وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ... وَأَنْ اللَّهَ
جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ ... عِنْدَ مَوْتِهِ؟!

«أَنْ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ:
«إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ ...
«أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ...
«تُوْفِّي فِي بَيْتِي ...
«وَفِي يَوْمِي ...
«وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ...
«وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ ... عِنْدَ مَوْتِهِ ...
«دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَالِكُ ...
«وَأَنَا مُشْبِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ...
«فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ...
«وَعَرَفْتُ أَنََّّهُ يُحِبُّ السَّوَالِكُ ...
«فَقُلْتُ: أَخِذْهُ لَكَ؟ ...
«فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ...
«فَتَنَاوَلْتُهُ ... فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ...
«وَقُلْتُ: أَلَيْتُهُ لَكَ؟ ...
«فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ...
«فَأَلَيْتُهُ ... وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَحْمَةٌ ...
أَوْ غُلْبَةٌ - يَشْكُ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ ...
«فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ ... فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ:
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ ...
«ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ ... فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ...
«حَتَّى قُبِضَ ...»

«وَمَا لَئِذَا يَدُّهُ».

[أخرجه البخاري]

«إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ» جمع نعمة...

«سَخْرِي» الرئة...

«وَنَخْرِي» والنحر موضع القلادة من الصدر...

«رَكْوَةٌ أَوْ غُلْبَةٌ» شك من الراوي.

«يَشْكُ عُمر» هو عمر بن سعيد... الراوي...

«فَجَعَلَ يَدْخُلُ» من الإدخال...

«سَكْرَاتٍ» جمع سكرة وهي الشدة...

* * *

فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا؟

«عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:

«تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ...»

«فِي بَيْتِي...»

«وَفِي يَوْمِي...»

«وَبَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي...»

«وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّدُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرَضَ...»

«فَذَهَبَتْ أُعَوِّدُهُ...»

«فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ:

«فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى... فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى...»

«وَمَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ...»

«فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ...»

«فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً...»

«فَأَخَذْتُهَا فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا...»

وَنَفَضْتُهَا ... فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ...
 «فَاسْتَنْ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنَّا...
 «ثُمَّ تَأَوَّلِيهَا...
 «فَسَقَطَتْ يَدُهُ...
 «أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ...
 «فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ...
 «فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا... وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ».

[أخرجه البخاري]

«فِي آخِرِ يَوْمٍ» أَي مِنْ أَيَّامِ النَّبِيِّ ... صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

* * *

أقول: هل هناك مجال للحديث؟
 أعتقد أن مقتضى الأدب يفرض علينا أن نصغي إلى أُمَّنَا... أم المؤمنين...
 وهي تُحَدِّثُنَا عَنْ مَشَاهِدٍ عَاشَتْهَا...
 وَلِحِظَاتٍ عَظِيمَةٍ ذَاقَتْهَا...
 وَمَشَاعِرٍ غَلِيَا مُقَدَّسَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا بِهَا...
 وَخَصَّهَا بِشَرْفِهَا...
 وَرَسُولَ اللَّهِ... ﷺ ... مَسْنَدَتَهُ إِلَى صَدْرِهَا...
 «إِنَّ مِنْ يَقَمِ اللَّهُ عَلَيَّ...
 «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ ...
 «ثَوَّقَنِي فِي بَيْتِي!!!
 «وَفِي يَوْمِي!!!
 «وَبَيْنَ سَخَرِي وَنَخَرِي!!!
 «وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ»!!!.
 إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهَا...
 إِنَّ الْحَبِيبَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... يَرْفَعُ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ... وَيَقُولُ:

«في الرفيق الأعلى...»

«في الرفيق الأعلى...»

«في الرفيق الأعلى»!!!

حَتَّى قُبِضَ!!!.

وَمَالَتْ يَدُهُ ﷺ!!!.

كيف كانت مشاعر عائشة... رضي الله عنها... آنذاك؟!!

لا يعلم ذلك إلا علام الغيوب... سبحانه!!!.

وَدِدْتُ...

أَنِّي كُنْتُ...

نَسِيًا مَّنْسِيًّا...!؟

«استأذن ابن عباس... قبل موتها... على عائشة... وهي مغلوبة...»

«قالت: أخشى أن يُثني علي...»

«ف قيل: ابن عم رسول الله... ﷺ... ومن وجوه المسلمين...»

«قالت: إنذروا له...»

«فقال: كيف تجدينك؟...»

«قالت: بخير إن اتقيت الله...»

«قال: فأنت بخير إن شاء الله...»

«ورؤيت رسول الله... ﷺ... ولم يتكبح بكراً غيرك... ونزل عذرك من

السماء...»

«ودخل ابن الزبير خلافة...»

«فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي...»

«ووددت أني كنت نسيًا منسيًا...»

[أخرجه البخاري]

«وهي مغلوبة أي مغلوبة من كرب الموت...»

«ف قيل ابن عم رسول الله ﷺ أي هو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم... وإنما قال ذلك لأنه فهم منها أنها تمنعه... فدخل عليها هذا القائل في الإذن

له بالدخول وذكرها منزلته... وهذا القائل هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر

الصدِّيق رضي الله تعالى عنهم... والذي استأذن هو ذكوان مولى عائشة...»

«كيف تجدينك؟» الخطاب لعائشة... أي كيف تجدين نفسك؟...»

«إِنْ اتَّقَيْتُ» أَي كُنْتُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى...
«وَنَزَلَ عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ» أَشَارَ بِهِ إِلَى قِصَّةِ الْإِفْكِ...
«خِلَافَهُ» أَي وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ بَعْدَهُ مُتَخَالِفِينَ ذَهَابًا
وَأَيَّابًا... أَي وَافَقَ رَجُوعَهُ مَجِيعَهُ...
«نَسِيًا مَنَسِيًا» مَعْنَاهُ لَيْتَنِي لَمْ أَلِكْ شَيْئًا... وَقَرِءْ نَسِيًا مَنَسِيًا.

* * *

أَقُولُ... فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَدْخُلُ عَظِيمٍ إِلَى حَقَائِقِ الشَّخْصِيَّةِ...
وَهَذَا الْمَدْخُلُ هُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ وَهِيَ فِي حَالَةِ الْمَوْتِ:
«وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا»
وَالْإِنْسَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ يَكُونُ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ إِلَى رَبِّهِ... وَتُطْقَقُ يَكُونُ أَقْرَبَ
مَا يَكُونُ إِلَى الصَّدِّيقِ...
فَإِذَا اسْتَشْهَدَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ تَغَالِبُ كُرْبَ الْمَوْتِ... بِمِثْلِ مَا قَالَتْ مَرْيَمُ...
عَلَيْهَا السَّلَامُ...

دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَوْجَتَهَا مِثْلُ مَوْجَةِ مَرْيَمُ...
مَاذَا قَالَتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟...
«... قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا»
وَمَاذَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟
«فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ...
«وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا»
أَنْظُرُ... مَرْيَمُ تَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ نَسِيًا مَنَسِيًا
وعائشة تَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ نَسِيًا مَنَسِيًا
وهذا التشابه لا يكون صدفة... كلا وإنما يأتي لتشابه الموجه... لتشابه
سر التركيب في الاليتين
كانت مريم... صديقة...
وكانت عائشة... صديقة...

فجاء نُطْق عائشة مِثْل نُطْق مريم!!!
وهذا يُفَسِّر لك لُغْزًا آخَرَ...
لماذا تشابهت قصتهما في البلاء؟
مريم يقولون عليها إِفْكًا وبهتانًا!!!
وعائشة يقولون عليها إِفْكًا وبهتانًا!!!
لماذا؟... لأن تشابه الموجة... يؤدي إلى تشابه البلاء...
فإذا كانت مريم صِدِّيقَةً... كان يلاؤها أن يقولوا عنها بهتانًا عظيمًا...
وإذا كانت عائشة صِدِّيقَةً... تحتم كذلك أن تشابه مريم في بلائها...
فيقولوا عنها إِفْكًا عظيمًا!!!
سبحان الله!!!
كم في النواميس مِنْ عَجَب!!!.

عائشة...

تشير إلى الحكمة الإلهية... في ترتيب التنزيل...؟!

«أخبرني يوسف بن مَاهِك... قال:
«إني عند عائشة... أم المؤمنين... رضي الله عنها...
«إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟...
«قالت: ويحك... وما يضرك؟...
«قال: يا أم المؤمنين... أريني مصحفك...
«قالت: لِمَ؟
«قال: لعلِّي أؤلف القرآن عليه... فإنه يقرأ غير مؤلف...
«قالت: وما يضرك أئنه قرأت قبل... إنما نزل أول ما نزل منه سورة من
المفصل... فيها ذكر الجنة والنار...
«حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام...
«ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر... لقالوا لا ندع الخمر أبدا...
«ولو نزل لا تزنوا... لقالوا لا ندع الزنا أبدا...
«لقد نزل بمكة على محمد ﷺ... وإني لبارية العبد...
بل الساعة موعدهم والساعة أذهى وأمر...
«وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده...
«قال: فأخرجت له المصحف...
فأملت عليه آي السورة...».

[أخرجه البخاري]

«عراقي» أي رجل من أهل العراق... ولم يدر اسمه...

«أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ» يحتمل أن يكون سؤاله عن الكم يعني لفافة أو أكثر؟ وعن الكيف يعني أبيض أو غيره؟... وناعماً أو خشناً؟ وعن النوع أنه قطن أو كتان مثلاً...

«وَيَحْكُ» كلمة ترحم...

«وَمَا يَضُرُّكَ» أي أي شيء يضرّك بعد موتك وسقوط التكليف عنك في أي كفن كُفِّت لبطلان حسك بالنعومة والخشونة وغير ذلك...

«قالت: لِمَ؟» لِمَ أريك مصحفى...

«قال: لعلِّي أُؤَلِّفَ القرآنَ عليه» قيل قصة العراقي كانت قبل أن يرسل عثمان المصاحف إلى الآفاق... والظاهر أن هذا العراقي كان ممّن أخذ بقراءة ابن مسعود... وكان ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة لم يوافق على الرجوع عن قراءته ولا على إعدام مصحفه... وكان تأليف مصحف العراقي مغايراً لتأليف مصحف عثمان... فلذلك جاء إلى عائشة وسأل الإملاء من مصحفها...

«آيَةٌ» أي أي القرآن قرأت...

«قَبْلُ» أي قبل قراءة السورة الأخرى...

«منه» أي من القرآن...

«مِنَ الْمُفْصَلِ» شَتَّى مَفْصَلاً لكثرة ما يقع فيها من فصول التسمية بين السور...

وقد اختلف في أول المَفْصَل... فقليل هو سورة ق... وقيل سورة مُحَمَّد...

ﷺ...

وقال النووي: سمي المَفْصَل لقصر سوره وقرب انفصالهن بعضهن من بعض...

«أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ» أي من القرآن من المَفْصَلِ فيها ذكر الجنة والنار...

وأول ما نزل إمّا المَذْثَرُ وإمّا اقْرَأ... ففي كل منهما ذكر الجنة والنار...

«حتى إذا تَابَ» أي رجع...

«نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ» أشارت به إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل...

وأنه أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد... والتبشير للمؤمنين
والمطيعين بالجنة... والإنذار والتخويف للكافرين بالنار...
فلما اطمأنت النفوس على ذلك... أنزلت الأحكام...
ولهذا قالت: ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر إلى آخره...
وذلك لانطباع النفوس بالنفرة عن ترك المألوف...
«لقد نَزَلَ بِمَكَّةَ» إلى آخره... إشارة منها إلى تقوية ما ظهر لها من الحكمة
المذكورة... وهو تقدم سورة القمر وليس فيها شيء من الأحكام... على نزول
سورة البقرة والنساء... مع كثرة اشتغالهما على الأحكام...
«إِلَّا وَأَنَا عِتْدَةٌ» يعني بالمدينة... لأن دخوله عليها إنما كان بعد الهجرة بلا
خلاف...

«فَأَمَلْتُ عَلَيْهِ» أي أملت عائشة على العراقي... من الإملاء...

* * *

أقول... ها هنا يظهر للناس مدى ما كانت عليه أم المؤمنين عائشة رضي
الله عنها... من ذكاء خارق... وإدراك واسع لآفاق الإسلام...
أنظر إلى قولها:
«وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ... لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ...»
«لَقَالُوا: لَا لَدَغِ الْخَمْرَ أَبَدًا»!!!
عقلية ممتازة غاية الامتياز!!!
إنها تفكر في كل أمر من أمور الإسلام... ولا تأخذ الدين استسلامًا بدون
فهم...

كلا... وإنما تتفكر... وتتفكر...
ثم توجه من جاءها التوجيه الرفيع الصحيح!!!

عائشة تقول:
«والله إنني لأظنك...
تُحب موتي»...!؟

«قالت عائشة... رضي الله عنها: وارأساه...
«فقال رسول الله... ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي... فأستغفر لك... وأدعرك... لك...»

«فقالت عائشة: وأتكلية... والله إنني لأظنك تُحب موتي...
«ولو كان ذاك لظلمت آخر يومك مُعرّساً ببغض أزواجك...
«فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه...
«لقد هممتُ أن أُرذث أن أُرسل إلى أبي بكر وأبيه وأعهد أن يقول
القائلون أو يتمني المتمنون...
«ثم قلت: يابى الله ويدفع المؤمنين...
«أو يدفع الله ويأبى المؤمنين».

[أخرجه البخاري]

«ذاك» إشارة إلى ما يستلزم المرض من الموت... أي لو مت وأنا حي وأنا
أستغفر لك...

وفي رواية: لو مت قبلي فكففتك ثم صليت عليك ودفتك...
«وأتكلية» والكل فقدان المرأة ولدها...
وهو كلام كان يجري على لسانهم عند إصابة مصيبة أو خوف مكروه...
«إنني لأظنك تُحب موتي» كأنها أخذت ذلك من قوله لو مت قبلي...
«ولو كان ذاك» وفي رواية غيره «ذلك» باللام وهو إشارة إلى موتها...
«مُعرّساً» من أعرس بأهله إذا بنى بها... وكذلك إذا غشيها...

«بل أنا وأرأساف» معناه دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي...
إذ لا بأس بك وأنت تعيشين بعدي... عرف صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك
بالوحي...

«أو أردت» شك من الراوي...
«وأعهد» أي أوصي بالخلافة له.
«أن يقول القائلون» أي يقول القائلون الخلافة لفلان...

* * *

أقول... هذه الملاحظة المقدسة تنقلها إلى الأمة نقلاً أميناً... عائشة رضي
الله عنها...
فندرك جميعاً أن الله تعالى اختار لنبه صلى الله تعالى عليه وسلم... عائشة
زوجاً...

وخصّها بصفات عُلّيا من الفهم والإدراك والحفظ والأمانة...
لتنقل إلى الأمة الأحوال الشخصية من حياته ﷺ...
فيعمّ لفعها... وتستفيض أخبارها... ويقتبس الفقهاء مما تروي فقهم...
ويعلم المؤمنون والمؤمنات إلى أي مدى كانت حياته ﷺ الخاصة من
السمو والجمال والرحمة والحنان!!

«مَهْلًا يَا عَائِشَةُ...»

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ...

في الأمرِ كُلِّهِ...؟!

«عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ...

«أَنَّ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... زَوْجَ النَّبِيِّ...» قَالَتْ:

«دَخَلَ زَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ... فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ...»

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا...

«فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ...»

قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ...»

«مَهْلًا يَا عَائِشَةُ...»

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ...»

«فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟...»

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ...: قَدْ قُلْتَ وَعَلَيْكُمْ...».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«زَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ» الرَّمْطُ مِنَ الرِّجَالِ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ...

«السَّامُ عَلَيْكُمْ» السَّامُ: الْمَوْتُ...

«مَهْلًا» مَعْنَاهُ تَأَنِّي وَارْفَقِي...

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ:

عَنْ عَائِشَةَ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى

الْعَنْفِ...

«أَوَلَمْ تَسْمَعْ؟» بِهَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ...

«وَعَلَيْكُمْ» وَتَقْدِيرُهُ وَأَقُولُ عَلَيْكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَهُ... وَإِنَّمَا اخْتَارَ هَذِهِ الصِّيغَةَ

ليكون أبعد عن الإيحاش... وأقرب إلى الرفق...

* * *

أقول... في هذا الحديث واضح جدًا صفة سرعة الفهم... التي كانت تتميز بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها... ولقد كانت تعرف ذلك من نفسها... استمع إليها وهي تقول:

«فَفَهِمْتُهَا» ١١٩

أي فهمتها فورًا بمجرد سماعهم... بل وأعجب من هذا... كان جوابها حاضرًا... فقالت: «وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللُّغْتَةُ» ١٢٠

فُورًا فَهَمْتُ مَا قَالُوا ١٢١

وفورًا ردّت عليهم ١٢٢

وفورًا زادتهم فوق ما قالوا «اللُّغْتَةُ» ١٢٣

ليست فقط كانت سريعة الفهم... بل وحاضرة البديهة... بل ومناضلة لأعداء الحق كأعنف ما يكون النضال... غيرة لله... و غضبًا لرسوله ﷺ ١٢٤.

* * *

وفي رواية أخرى للبخاري:

«عن عائشة رضي الله عنها...

«أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ... فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ...»

«فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ... وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ... وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...»

«قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ...»

«عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ...»

«وإِيَّاكَ وَالْعُتْفَ وَالْفُخْشَ...»

«قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟...»

«قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟...»

«رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ...»

«فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ...»

«وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ...»

«فَيَسْتَجَابُ لِي» لأنه بالحق...

«وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ» لأنه بالباطل والظلم...

* * *

أقول... هكذا كانت سريعة الفهم... سريعة الرد... حاضرة البديهة... إذا

انطلقت في غيرتها لله... أسكت أعداء الله!!!

ومن هنا... ومن مثل هذه الصفات العليا... التي كانت مكنونة في

شخصيتها... حتى تفجرها الأحداث...

كانت الحكمة في اختيار عائشة له زوجا في الدنيا والآخرة!!!

«يا عائشة...»

مَتَى عَهْدَتَنِي...

فَحَاشَا...!؟

عَنْ عَائِشَةَ...

«أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ...

«فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ... وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ...»

«فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ... فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ...

«فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ... قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ... حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا... ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي

وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ!...

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يَا عَائِشَةُ...

مَتَى عَهْدَتَنِي فَحَاشَا؟...»

«إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ».

[أخرجه البخاري]

«أَنَّ رَجُلًا» هو عينية بن حصن... وكان يقاله له الأحمق المطاع... فرح صلى الله

تعالى عليه وسلم بإقباله عليه قبل أن يسلم قومه... وجاء حين أقبل على الشرك... وترك

حديثه مع ابن أم مكتوم فأنزل الله عز وجل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ «أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى»...

«بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ» المراد بالعشيرة الجماعة والقبيلة... أي بئس هذا الرجل

منها... وهذا الكلام من أعلام النبوة... لأنه ارتد بعده صلى الله تعالى عليه

وسلم... وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه...

«تَطَلَّقَ» من الطلاقة أي انشرح وانبسط منه... ويقال وجه طلق وطلق أي

مسترسل منبسط غير عبوس...

«مَتَى عَهْدُتَنِي فَحَاشَا» وفي رواية فاحشًا...

«اتِّقَاءَ شَرِّهِ» أي لأجل الاتقاء عن شره...

وفيه مداراة من يتقى فحشيه... وجواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه... ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه...

وهذا الحديث أصل في المداراة... وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق والظلمة وأهل الفساد.

* * *

ما هي الصفة البارزة التي تُستنبط من هذا الحديث... من صفات أم المؤمنين عائشة... رضي الله عنها؟

الجواب... أنها إذا لم تفهم شيئًا على وجهه سارعت إلى السؤال عنه... ومن تسأل؟

ومن تستفهم؟

من رسول الله... صلى الله تعالى عليه وسلم!!!

أصدق من خلق الله!!!

وأعظم من خلق الله!!!

وأعلى من خلق الله!!!

فماذا قال سيدي... سيد الخلق؟

«يا عائشة»

«مَتَى عَهْدُتَنِي فَحَاشَا...؟»

هنالك فهمت عائشة... ما لم تستطع أن تفهم!!!

لتفهم الأمة كلها إلى يوم القيامة من ورائها!!!

عائشة تسأل فاطمة...

سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ...

عن سرِّ البكاء ثم الضحك...!؟

«عن مشروقي...»

«حدَّثتني عائشة... أم المؤمنين... قالت:

«إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ... عِنْدَهُ جَمِيعًا... لَمْ تُفَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ...»

«فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي... لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيُهَا مِنْ مِشْيَةِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...»

«فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ... قَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي...»

«ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ... أَوْ: عَنْ شِمَالِهِ...»

«ثُمَّ سَارَّهَا...»

«فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا...»

«فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ...»

«إِذَا هِيَ تَضْحَكُ...»

«فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ:

خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...»

بِالسَّرِّ مِنْ بَيْنِنَا ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟!؟

«فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكَ؟...»

«قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَقْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... سِرَّهُ...»

«فَلَمَّا ثَوَّقَنِي قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي؟...»

«قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَتَنَعَم...»

«فَأَخْبَرْتَنِي قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّتَنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ... فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ

كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً... وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَرَى
الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ... فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي... فَإِنِّي نَعَمَ الشَّلَفُ أَنَا لَكَ...
«قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ...
«فَلَمَّا رَأَى جَزْعِي سَأَلَنِي الثَّانِيَةَ...
«قَالَ: يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ... أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ
هَذِهِ الْأُمَّةِ...».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«لَمْ تُغَادِرْ» لَمْ تَتْرَكْ...
«رَحَّبَ» أَيِ قَالَ لَهَا مَرْحَبًا...
«أَوْ عَنْ شِمَالِهِ» شَكَّ مِنَ الرَّاوي...
«سَأَلَهَا» أَيِ تَكَلَّمَ مَعَهَا سِرًّا...
«عَزَمْتُ» أَيِ أَقْسَمْتُ...
«جَزْعِي» الْجَزَعُ قَلَّةُ الصَّبْرِ...

* * *

أَقُولُ... مَاذَا نَسْتَبِطُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟
نَلْتَقِطُ قَوْلَهَا: «فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ»؟
فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ مَا يَكْشِفُ لَنَا صِفَةً مِنْ صِفَاتِ عَائِشَةَ... وَهِيَ الْإِهْتِمَامُ
بِالْأُمُورِ مِنْ حَوْلِهَا... وَالْإِلْحَاحُ عَلَى الْإِسْتِفْسَارِ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ لَمْ تَسْتَطِعْ لَهُ
تَفْسِيرًا...

قَالَتْ لِسَيِّدَةِ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ: خُصِّصْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسُّرِّ مِنْ بَيْنِنَا ثُمَّ
أَنْتِ تَبْكِينَ؟

وَاضِحٌ هُنَا أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا السُّرَّ!!!
فَهَلْ وَقَفْتَ عِنْدَ هَذَا الْإِسْتِفْسَارِ؟
فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ... سَأَلْتُهَا عَمَّا سَأَلْتُكَ؟
إِلْحَاحٌ مَرَّةً أُخْرَى... إِنَّهَا تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ!!!

فهل وقفت عند هذا؟
 كلا... «فلما تُوفِّي قُلْتُ لها: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ... لَمَّا
 أَخْبَرْتَنِي؟»
 إنَّ عائشة لم تنس الموضوع... وإنما هي تتابع السؤال مرة ثالثة... بعد
 وفاة النبي ﷺ
 حتَّى أَخْبَرَتْهَا فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِتَفَاصِيلِ الْأُمُورِ
 فما معنى هذا؟
 معناه أن عائشة مؤهلة بالفطرة للإمام بكل شيء يتعلق بأمر هذا الدين...
 وما سوف يكون فيه نفع عام للأُمَّة...
 لاحظ هنا قولها: «فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ»... أي أنها كانت تعلم من
 شخصيتها أنها هي صاحبة هذا المقام وحدها... مقام الإحاطة بتفاصيل
 الأمور...
 أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ؟
 لا واحدة مِنْهُنَّ تَلْتَفَتْ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ... وإنما أَنَا وَحْدِي حَفِيَّةٌ بِهَا!!!
 وَاللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...
 فكما اختار واصطفى المصطفى ﷺ...
 اختار له عائشة زوجًا... لتبلغ عنه ﷺ... كثيرًا من أمور هذا الدين
 الحنيف!!!

عائشة...

تسمع آخر كلمة...

تكلم بها رسول الله... ﷺ...!؟

أخبرني سعيد بن المسيب... وعزوة بن الزبير... في رجال من أهل العلم...

«أن عائشة... رضي الله عنها... قالت:

«كان رسول الله... يقول وهو صحيح:

«لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة... ثم يُخَيَّر...

«فلما نزل به... ورأسه على فخذي...

«غشي عليه ساعة...

«ثم أفاق...

«فأشخص بصره إلى الشف ثم قال:

«اللهم الرفيق الأعلى...

«قلت: إذا لا يختارنا...

«وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح...

«قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها...

«اللهم الرفيق الأعلى».

[أخرجه البخاري]

«في رجال من أهل العلم» أي في جملة طائفة أخرى أخبروه أيضًا به... أو

في حضور طائفة مستمعين له...

«ثم يُخَيَّر» أي بين الموت والانتقال إلى ذلك المقعد... وبين البقاء والحياة

في الدنيا...

«فلَمَّا نَزَلَ بِهِ» أي فلما حضره الموت...
«فَأَشْخَصَ» أي رفع بصره وأشخصه...
وشخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف...
«لا يختارنا» أي حيث اختار الآخرة تعين ذلك... فلا يختارنا بعد ذلك...
«أَلَلَّهَ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ» هو قوله لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ
حتى يرى مَقْعَدَهُ...

* * *

أقول... حسبها شَرْفًا أنها شرفت بذلك المشهد...
وسمعت آخر كلمة تكلم بها رسول الله... ﷺ !!!

عائشة...

لا تُصَدِّقْ أَحَدًا...

إلا بعد التَّشَبُّتِ...!؟

عن عائشة... قالت:

«دَخَلْتُ عَلَى عَجُوزَانِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ... فَقَالَتَا لِي:
«إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ...
فَكَذَّبْنَاهُمَا...»

وَلَمْ أَنْعِمَ أَنْ أَصَدِّقَهُمَا...

فَخَرَجَتَا... وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ... فَقُلْتُ لَهُ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ... إِنَّ عَجُوزَيْنِ... وَذَكَرْتُ لَكَ...»

«فَقَالَ: صَدَقْتَا... إِنَّهُمَا يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا...»

«فَمَا زَأْنُهُ بَعْدَ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.»

[أخرجه البخاري]

«عجوزان» العجوز يطلق على الشيخ والشيخة...

«ولم أنعم» أي لم أحسن في تصديقهما... والحاصل أنها ما صدقتهما...

«تسمعه البهائم» صوت الميت يسمعه كل شيء إلا الإنسان...

* * *

أقول... الجديد في هذا الحديث بالنسبة إلى صفات عائشة الغليا... أنها

كانت لا تصدق شيئا مما تسمع حتى ترجع إلى النبي... ﷺ... فتسأله...

فإذا أخبرها بالحق من الأمر... صدقته واستمسكت به...

فلا سبيل للخرافات إلى عقل عائشة... وإنما هي تستعمل عقلها الذكي

الرفيع المستوى...

ومن هنا كانت دائمة الاستفسار عما لا تفهم من التصرفات...
كما كانت لا تقبل كل ما يُلقى إليها من الناس... وإنما ترجع إلى رسول
الله... ﷺ... فيخبرها بالصحيح مما سمعت...
إنها ذات استعداد عظيم للإحاطة بالحقائق الصافية!!!.

بقاقة...

من روااع الءاءاء...
أأأأها أم المؤمنن...
إلى الأمة...!؟

ءعاء جمئل ١؟

عن عائشة... أن النبى... ؑ كان يقول:
«اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهزم والمغرم والمأثم...»
«اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وفتنة القبر وعذاب القبر...»
«وشر فتنة العنى... وشر فتنة الفقر...»
«ومن شر فتنة المسيح الدجال...»
«اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرء...»
«ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس...»
«وباعد بنيى وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.»
[أخرجه البخارى]

أي الأعمال أحب إلى الله؟

«عن عائشة... رضى الله عنها... أنها قالت:
«سئل النبى ؑ:
«أي الأعمال أحب إلى الله؟...»
«قال: أذومها وإن قل...»

«وقال: اكْلُفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُطِيقُونَ».

[أخرجه البخاري]

«اكْلُفُوا» التكليف الأمر بما يشق عليك...

«ما تُطِيقُونَ» في إشارة إلى بذل المجهود وغاية السعي... والمراد ما تطيقون عليه دائماً ولا تعجزون عنه في المستقبل...

عائشة تسأل سؤالاً جميلاً؟!

«أَنَّ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:

«تُحْشَرُونَ حُقَاقَ عُرَاةٍ عُزْلًا...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ... الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ...؟»

«فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهْتَمَّ لِذَلِكَ».

[أخرجه البخاري]

«أَنْ يُهْتَمَّ» من الاهتمام... وفي رواية مسلم: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعض إلى بعض...

* * *

أقول... لاحظ هنا طبيعة عائشة الأصيلة... ألها لا تسكت على شيء لم

تفهمه حتى تسأل عنه!!

إنها تريد أن تتعلم... وأن تفهم... لأنها سوف تُعَلِّمُ الأجيال!!!

لا نُورِثُ؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...»

«أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ... ﷺ... حِينَ تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...

«أَرَدْنَ أَنْ يَتَعَنَّ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُهُ مِيرَاثَهُنَّ...»

«فَقَالَتْ عَائِشَةُ:
«أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَا تُورَثُ...
«مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً؟»».

[أخرجه البخاري]

أقول... ها هنا تفتن عائشة إلى ما لم تفتن إليه بعض أمهات المؤمنين!!!
إنها عارضت اتجاههن... وأيَّدت رأيها بحديثه صلى الله عليه وسلم!!!

شخصية...

عائشة...

رضي الله عنها...!؟

أُرِيْتُكَ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ مَرَّتَيْنِ!؟

في حديثين متابعين من صحيح البخاري نعلم أن اختيار عائشة زوجاً
لرسول الله... ﷺ كان اختياراً إلهياً...
«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... قَالَتْ:
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ:
«أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ.
«إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ...
«فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ...
«فَاكْشِفُهَا... فَإِذَا هِيَ أَنْتِ...
«فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ.»

[أخرجه البخاري]

«أُرِيْتُكَ» خطاب لعائشة...
«إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكَ» والمراد به جبريل عليه السلام...
«فِي سَرَقَةٍ» أي في قطعة من حرير...
«فَإِذَا هِيَ أَنْتِ» يريد أنه رآها في النوم كما رآها في اليقظة... فكانت هي
المراد بالرؤيا لا غيرها...
«يُمَضِّهِ» أي ينفذه ويكمله...
«فِي رَوَايَةٍ... أُتِيَتْ بِجَارِيَةٍ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ فَكَشَفْتُهَا

فإذا هي أنت...

* * *

«عن عائشة قالت: قال رسول الله... ﷺ:

«أريتك قبل أن أتزوجك مرتين...

«رأيت الملك يحميك في سرقة من حرير...

«فقلت له: اكشف... فكشف...

«فإذا هي أنت...

«فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضيه...

«ثم أريتك يحميك في سرقة من حرير... فقلت: اكشف... فكشف...

«فإذا هي أنت... فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضيه».

[أخرجه البخاري]

زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة!

«عن أبي وائل...

«قام عمار على منبر الكوفة...

«فذكر عائشة... وذكر مسيرها...

«وقال: إنها زوجة نبيكم ﷺ... في الدنيا والآخرة ولكنها مما ابتليتم».

[أخرجه البخاري]

«مما ابتليتم» أي امتحنتم بها...

* * *

«حدثنا أبو مزيم عبد الله بن زياد الأسدي قال:

«لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة...

«بعث علي عمار بن ياسر... وحسن بن علي...

«فقدما علينا الكوفة... فصعد المنبر...

«فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه...

«وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الْحَسَنِ...

»فاجتمعنا إليه...

«فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يَقُولُ: إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ... وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ... لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تَطِيعُونَ أَمْ هِيَ؟»

[أخرجه البخاري]

«وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أراد بذلك عمار رضي الله تعالى عنه أَنَّ الصواب مع علي... وإن صدرت هذه الحركة عن عائشة... فإنها بذلك لم تخرج عن الإسلام... ولا عن كونها زوجة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة...

«وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ» أي ليميز...

ووقع في رواية ابن أبي شيبه: قال عمار: إن أمتنا سارت مسيرها هذا... وإنها والله زوج محمد ﷺ في الدنيا والآخرة... ولكن الله ابتلانا بها... ليعلم إياه نطيع أو إياها؟

ثم إن وقوع الحرب بين الطائفتين كان في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين...

ولما تواتب الفريقان بعد استقرارهم في البصرة...

وقد كان مع علي نحو عشرين ألفاً...

ومع عائشة نحو ثلاثين ألفاً...

وكانت الغلبة لعسكر علي...

* * *

أقول... وإذا اختار الله تعالى لنبيه ﷺ عائشة زوجاً...

دل ذلك على أن هذه الشخصية مكنون فيها امتياز يؤهلها لأداء الدور العظيم... الذي سوف تؤديه في حياة رسول الله ﷺ... وبعد وفاته ﷺ!!! وإليك شيئاً قليلاً من بدائع شخصيتها...

أمّ المؤمنين في مقام التبليغ؟

«قَالَتْ عَائِشَةُ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
«صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ ... شَيْئًا تَرُخَّصُ فِيهِ...
وَتَنْزَعُ عَنْهُ قَوْمٌ...
فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ...
فَحَمِدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ:
«مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَزِعُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ...
فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ...
وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً.»

[أخرجه البخاري]

«صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرُخِّصَ فِيهِ» أي أسهل فيه... مثل الإفطار في بعض الأيام والصوم في بعضها من غير رمضان... ومثل التزوج... وتنزه قوم عنه أي احترزوا عنه بأن سردوا الصوم واختاروا العزوبة... وأشار ابن بطال إلى أن الذي تنزهوا عنه القبلة للصائم... وقال الداودي: التنزه عما رخص فيه الشارع من أعظم الذنوب... لأن هذا يرى نفسه أتقى في ذلك من رسوله... وهذا إلحاد... وكذا قال ابن التين... ولا شك أنه إلحاد إذا اعتقد ذلك... «أعلمهم بالله» إشارة إلى القوة العلمية... «وأشدهم خشية» إلى القوة العملية... أي هم يتوهمون أن رغبتهم عما فعلت أفضل لهم عند الله... وليس كما توهموا إذ أنا أعلمهم بالأفضل وأولاهم بالعمل...

* * *

أقول... وهكذا نقلت إلينا أم المؤمنين عائشة... رضي الله عنها... حديثاً عن النبي ﷺ...

فنقلت إلينا بنقله أصلاً عاماً من أصول الإسلام...
وهو أن التزّه عما رخص فيه الشارع من أعظم الذنوب...
ويُعتبر هذا الحديث ميزاناً يزن به كل مسلم وكل مسلمة عمله بميزان
الشريعة السمحاء!!!

عائشة في مقام الشورى؟!

«عن عائشة... أم المؤمنين...
«أن رسول الله... ﷺ قال في مَرَضِهِ:
«مُرُوا أبا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ...
«قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أبا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ
الْبُكَاءِ... فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ...
«فَقَالَ: مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ...
«فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ:
قولي إِنَّ أبا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ
فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ...
«فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ...
«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ كُنَّ لَأَتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ...
«مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ...
«فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا.»

[أخرجه البخاري]

في المراددة والمراجعة في الأمر وهو مذموم... داخل في معنى التعمق... لأن
التعمق المبالغة في الأمر والتشديد فيه...
«فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ» أي قالت...
«صَوَاحِبُ يُوسُفَ» أي أنتن تشوشن الأمر علي كما أنهن شوشن على يوسف
عليه السلام...

أقول... في هذا الحديث تتلأأ من شخصية عائشة رضي الله عنها صفة
الجرأة في إعلان رأيها...
ثم محاولة تأييد رأيها...
وهذه الصفة دفعتها إلى الإكثار من سؤال النبي ﷺ عما لا تفهم...
وكانت تجد عنده ﷺ الجواب الحق!!!.

حافظتها نادرة؟!

«عن عُرْوَةَ... قال:
«حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ...
«فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ اِتِّزَاعًا... وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ
قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ...
«فَيَتَّقِي نَاسٌ جُهَالًا يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ...
«فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ...
«فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ...
«ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَجَّ بَعْدُ...
«فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَخْتِي... انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ... فَاسْتَبِثْ لِي مِنْهُ الَّذِي
حَدَّثْتَنِي عَنْهُ...
«فَجِئْتُهُ... فَسَأَلْتُهُ... فَحَدَّثَنِي بِهِ كَمَا كُنْتُ مَا حَدَّثْتَنِي...
«فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ... فَأَخْبَرْتُهَا...
«فَعَجِبَتْ... فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ...».

[أخرجه البخاري]

«حَجَّ عَلَيْنَا» أي مارًا علينا...
«عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ» أي ابن العاص...
«أَعْطَاهُمُوهُ» وفي رواية أعطاكموه...

«مع قَبْضِ العلماءِ بعِلْمِهِمْ» أي يقبض العلماء مع علمهم...
«فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ» أي قال عروة حدثت بهذا الحديث عائشة أم المؤمنين...
«بَعْدُ» أي بعد تلك السنة والحجّة...

«فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي» أي فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي... لأن عُرْوَةَ ابنة أسماء أخت عائشة...

«فَاسْتَبَيْتُ لِي مِنْهُ» أي من عبد الله بن عمرو...
«كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي» أي في مرتبه الأولى...
«فَعَجِبْتُ» أي عائشة من جهة أنه ما غير حرقاً منه!!!.

* * *

أقول... مستحيل أن يكون هذا من عائشة إلا إذا كانت ذات حافظة وراء التصور...

إنها تراجع الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو...
فلما أخبرها عُرْوَةَ بما قال...
ووجدته هو هو الحديث بتمام ألفاظه...
عَجِبْتُ... ثم أعطت عبد الله بن عمرو... شهادة يشرف بحملها: «لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو»!!!.
إن الله اختارها لصفات غليا مكنونة في شخصيتها... تظهر منها تباعاً حسب الوقائع!!!

فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ... فَجَذَبْتُهَا... فَعَلَّمْتُهَا؟!

«عَنْ عَائِشَةَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...
«أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ... عَنِ الْخَيْضِ... كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ؟...
«قَالَ: تَأْخُذِينَ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً... فَتَوَضَّئِينَ بِهَا...
«قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟...»

«قال النبي ﷺ: تَوَضَّئِي...»
«قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟...»
«قال النبي ﷺ: تَوَضَّئِينَ بِهَا...»
«قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ... ﷺ...»
«فَجَذَّبْتُهَا إِلَيَّ...»
«فَعَلَّمْتُهَا...».

[أخرجه البخاري]

«أَنَّ امْرَأَةً» هي أسماء بنت شَكْلٍ.
«فِرْصَةٌ» قطعة من القطن أو الخروق تتمسح بها المرأة من الحيض...
«مَمْسُكَةٌ» مطيئة بالمسك...
«فَتَوَضَّئِينَ بِهَا» أي تنظفين وتنظهرين... أي أراد معناها اللغوي...
* * *

أقول... ها هنا صفة جديدة من صفات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها...

صفة سرعة البديهة وسرعة الفهم...
إن المرأة لم تستطع أن تفهم عن رسول الله... ﷺ...
ولكن عائشة فَهِمَتْ!!!
وأتبعت الفهم بالتفهم...
فجذبت المرأة إليها... وَعَلَّمْتُهَا!!!
وهذه الزاوية - وهو ما يتعلق بشؤون النساء - من أهم الزوايا في الفقه الإسلامي...

ولقد أسهمت عائشة فيه إسهامًا كبيرًا...
فَحَدَّثَتْ... وَعَلَّمَتْ...
وَأَفْتَتْ النساء في كثير من أمورهن التي يمنعهن الحياء أن يفضن فيها!!!

دليل عظمة شخصية عائشة ١٩

«... عن عائشة... قالت:

«ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وخيائتي...
«ولشائي في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يثلي...
«ولكني كنت أزوج أن يرى رسول الله ﷺ... في التَّوَمِ رؤيا يبرئني الله بها...
«فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ العشر الآيات».

[أخرجه البخاري]

أين دليل عظمة شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها من هذا الحديث الذي هو طرفاً من قصة الإفك... ساقه الإمام البخاري بتمامه في مواضع من صحيحه ١٩

الدليل هو قولها: «ولشائي في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يثلي» ١٩

كأنها تريد أن تقول: أنا ١٩... أنا الصغيرة ابنة خمس عشرة سنة... غير معقول أن ينزل في براءتي وخيائتي ١١٩

ولشائي في نفسي ١٩

في هذه الفقرة مفتاح رائع من مفاتيح الشخصية الفذة... شخصية عائشة ١١
لشائي في نفسي ١٩

إحساسها في أعماق تركيبها أنها لا شيء يستحق أن يذكر ١١١
فكيف تصوّر أن ينزل في أمرها قرآن... أن يتكلم الله فيّ بأمر يثلي ١١٩
لماذا ١١٩

ولشائي في نفسي... في أعماقي... كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يثلي ١١١

إنها لا ترى نفسها شيئاً ذا بال يستحق أن يتكلم الله فيه... وأن ينزل فيه قرآن ١١١

فماذا إذا كانت ترجو؟
 ولكي كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُرئني الله بها!!!
 هذا أقصى أمانها!!!
 رؤيا؟... أمّا أن ينزل وحي يقرؤه الجميع إلى يوم القيامة... فهذا ما لم
 يخطر ببالها!!!
 والمفتاح الجميل كائن في قولها «وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرُ مِنْ أَنْ
 يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُثَلَّى...»!!!
 في نفسها... في أعماق تفكيرها أنها لا شيء!!!
 وها هنا العظمة التي رفعت عائشة فوق النساء!!!
 بل قد يكون من هنا اختيرت عائشة لتكون زوجا لأعظم بشر على
 الإطلاق... وأعظم رسول مطلقاً!!!
 عليم الله حقيقة المكنون في شخصيتها... وهو التواضع المطلق...
 فاختيرت لتكون زوجة لمن اتصف بأعلى مستوى من التواضع لله...
 لتكون له أنسا ولطفاً... ﷺ!!!
 لقد رفعت عائشة إلى أعلى مقام عند ربها... لأن الله عليم منها صفة
 مكنونة فيها... هو وحده يعلمها...
 هذه الصفة تحدثت عنها عائشة من حيث لا تدري «وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي
 كَانَ أَحَقَرُ»...
 إنها لا ترى لنفسها وجوداً...
 وتلك آية عظمة العظيم... أنه لا يرى لنفسه وجوداً... بل يرى نفسه لا
 شيء!!!
 وكلما كان الإنسان منعدماً أمام نفسه... كلما كان رفيع الدرجة عند
 ربه...
 وأذكر في هذا السياق أثراً جميلاً... مقتضاه أن الله نظر إلى قلوب أهل
 الأرض فوجد أشدها انكساراً لله قلب موسى فاختره... - أو كما قال -

والانكسار هنا هو الانكسار لله... فكان سرّ اختيار موسى... والله أعلم
حيث يجعل رسالته...

كذلكم أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها... ربما كان تواضعها الشديد
حتى لا ترى نفسها شيئاً مذكوراً... أو يستحق أن يُذكر... هو سرّ اختيارها
زوجاً لأحبّ الخلق إلى الله...
والخلق أسرار... لا يعلمها إلا الله!!!

بصيرة نفّاذة إلى حقائق الأمور؟!

«وصفة عليا أخرى... من صفاتها رضي الله عنها...
أنّها كانت تنظر إلى الأمور نظرة نفّاذة إلى الحقائق...
وكان هذا يجعل فهمها لحقائق الدين فهمًا عميقًا محيطًا...
عن عائشة... رضي الله عنها... قالت:
«مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ...
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾».

[أخرجه البخاري]

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ» وجه الاستدلال به أن ما أنزل عام والأمر للوجوب...
فيجب عليه تبليغ كل ما أنزل عليه.

* * *

أنظر إلى الشجاعة النادرة في إعلان حقيقة من كبريات حقائق هذا الدين...
مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ!!!
أسلوب بلغ الغاية من الشجاعة... والغاية من الدفاع عن الدين... والغاية
من الغيرة على رسول الله ﷺ!!!
وهذه البصيرة النفّاذة... هي من أعظم صفات شخصيتها رضي الله تعالى
عنها...

إنها تتحدث عن القضايا الكبرى ولا تشغل نفسها بسفساف الأمور!!!
وإليك أخرى من صفاتها الغلّيا... صفة الشجاعة في إعلان الحقائق...

لو كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

كَاتِمًا شَيْئًا لَكُمْ هَذِهِ؟

«عَنْ أَنَسٍ... قَالَ:

«جَاءَ زَيْنَةُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو...

«فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...»

«قَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... كَاتِمًا شَيْئًا لَكُمْ هَذِهِ...»

«قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَةُ تَفْخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ:

«زَوْجُكُمْ أَهَالِيكُمْ وَزَوْجِي اللَّهِ تَعَالَى مِنْ فَرْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

«وَعَنْ ثَابِتٍ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ تَزَلَّتْ فِي شَأْنِ

زَيْنَبَ وَزَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ...»

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]

«جَاءَ زَيْنَةُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...

«يَشْكُو» أَيِ مِنْ أَخْلَاقِ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ...

وَقَالَ الدَّوْدِيُّ: الَّذِي شَكَاهُ مِنْ زَيْنَتِ وَأَمَّا أَمِيمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَةُ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ... كَانَ مِنْ لِسَانِهَا... فَلَمَّا أَرَادَ طَلَاقَهَا قَالَ لَهُ ﷺ (أَمْسِكْ عَلَيْكَ

زَوْجَكَ)...

«قَالَتْ عَائِشَةُ» مَوْصُولٌ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ وَلَيْسَ بِتَعْلِيقٍ... كَذَا وَقَعَ فِي

الْأَصُولِ...

«لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِمًا شَيْئًا لَكُمْ هَذِهِ» أَيِ

الْآيَةِ وَهِيَ «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَعْلَى أَنْ

تَخْشَاهُ»...

«أَهَالِيكُمْ» الْأَهَالِي جَمْعُ أَهْلٍ... وَأَهْلُ الرَّجُلِ امْرَأَتُهُ وَوَلَدُهُ وَكُلُّ مَنْ فِي عِيَالِهِ

وكذا كل أخ أو أخت أو عم أو ابن عم...
«من فوق سبع سماوات» لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضيفت إلى
فوق سبع سماوات...
«ما الله مُبْدِيهِ» أي مظهره... والذي كان أخفى في نفسه هو علمه بأن زيدًا
سيطلقها ثم يتزوجها... والله أعلم بذلك...

أم المؤمنين... كانت جميلة؟

من رواية البخاري في حديث الإفك:
«فَقُلْتُ لَأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ...
«فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ... هَوَّلِي عَلَيَّ نَفْسِكَ الشَّأْنَ...
«فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً... عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا...
«وَلَهَا ضَرَائِرُ... إِلَّا أَكْثَرَنَ عَلَيْهَا...»^(١).
هذا وصف أم عائشة لابنتها عائشة...
وَضِيئَةٌ؟

أي: «جميلة... حسنة... من الوضاعة وهو الحُسن...
وفي رواية للبخاري نجد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يصرح بأن
عائشة أجمل من حفصة... وقد جاء فيها:
«... فِقَامَ عُمَرُ... فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ... حَتَّى دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَقَالَ لَهَا:
«يَا بَنِيَّةُ... إِنَّكَ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... حَتَّى يَظْلُ يَوْمَهُ غَضْبَانٌ؟...
«فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَاللَّهِ إِنَّا لَتُرَاجِعُهُ...
«فَقُلْتُ: تَعْلَمِينَ أَنِّي أَحَذُّرُكَ عُقُوبَةَ اللَّهِ... وَغَضِبَ رَسُولُهُ ﷺ...
«يَا بَنِيَّةُ... لَا تَغُرِّيكَ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا... حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا...
«يُرِيدُ عَائِشَةُ...».

(١) وفي رواية ابن هشام: «فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن وكثر
الناس عليها».

أي أعجبها حسنها لأجل حب رسول الله ﷺ إياها...
وفي رواية مسلم: وحب رسول الله ﷺ إياها...
وقال الكرماني: «وحب رسول الله ﷺ هو المناسب للروايات الأخر وهي:
(لا تَقْرُوكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ أَوْضَا مِنْكَ... وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...)».

زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ؟

إذا قال ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ... زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ...».
علمنا أَنَّ عائشة كانت كَثْرًا ثَمِينًا مَكْنُونًا... أهناه الله إلى رسول الله...
ﷺ!!!.

وَرِثْتُ صِفَاتِ أَبِيهَا الْعُلْيَا؟

كانت عائشة لا تمسك شيئًا مما جاءها من رزق الله إلا تصدّقت به!!!
من أين لها تلك الصفة العُلْيَا؟
ورثتها من أبيها... أبي بكر...
«وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ...»
«فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ... مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟...»
«قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»!!!.
ولعل هذا كان من أسباب حب رسول الله... لكليهما...
هذه الزهرة... من تلك الشجرة!!!.
عائشة... فيها من صفات أبيها العُلْيَا!!!.

اللَّهُ اخْتَارَهَا فَلْيَنْعَمِ الْاِخْتِيَارُ؟

«عن عائشة أَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِزْفَةٍ حَرِيرٍ عَضْرَاءَ...»
«إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
«إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

فما ظنك باختيار اختاره الله تعالى لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم...
وكيف يكون!!؟

إذا أردت أنت أن تُهدي إلى أحب الناس إليك هدية... فكيف تكون هديتك؟
فكيف بهديته سبحانه إلى أحب الخلق إليه تعالى!!؟
وكم تبلغ من الجمال والكمال والخير والبركة!!؟

إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا؟

كما كان مكنونًا في أبي بكر من الصفات العليا ما لا يعلمه إلا الله...
ولما ظهرت تباعًا عندما فُجِرتْها الأحداث...
كذلك ورثت عائشة من أبيها صفات عليا... ظلت مكنونة حتى أظهرتها
الأحداث...

ومن تلك الصفات صفة العلم...
«ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط... فسألنا عائشة...
«إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»...»

ولعل هذا كذلك كان من أسباب حب النبي ﷺ لكليهما...
«أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟
قال: عائشة...

«قلت: مِنَ الرِّجَالِ؟...»

«قال: أَبُوهَا»...»

فلعلك يا عزيزي تفهم!!!

ما رأيث أحدًا أفصح من عائشة؟

السؤال:

إذا اختار الله تعالى لنبية ﷺ... الذي آتاه جوامع الكلم... وكان أفصح
العرب... إذا اختار الله له زوجة لتنقل عنه إلى الناس كثيرًا مما يحتاجون إليه من

أحكام الشريعة... ما هي الصفة الواجب توافرها في هذه الزوجة؟
الجواب:

أن تكون أفصح الناس... لتستطيع أن تنقل إلى الناس شرائع الإسلام...
وأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم... في لغة جميلة أخاذة جذابة...
سهلة ميسورة...

وكذلك كانت عائشة...

تتبع أحاديثها... وتأمل جمال الأسلوب... الذي يتسلسل في صفاء ونقاء...
تردّد عجبا!!!

تُحَدِّثُ مَثَالًا وَاحِدًا.

«عن عائشة رضي الله عنها...

«لَا يُوَاحِدُكُمُ اللَّهُ بِاللُّغْوِ...»

«قال: قالت:

«أُنزِلَتْ فِي قَوْلِهِ لَا وَاللَّهِ... وَبَلَى وَاللَّهِ...».

[أخرجه البخاري]

هكذا... كلمات معدودات... فسّرت فيها الآية... وذكرت أسباب النزول...

فلا ثثرة... ولا تعمق... ولا أقاويل ولا تهاويل...

ولما مطبوعة على الصدق... والعلم... والفهم...

كل أولئك يترقق من حديثها في غاية الفصاحة... وغاية الإيجاز!!!.

ومن الحتم أن تكون كذلك... لأنها مؤهلة لذلك!!!.

قال: عائشة؟!!!

«عن عمرو بن العاص...

«يا رسول الله... أيّ الناس أحبّ إليك؟...»

«قال: عائشة...

«قال: من الرجال؟...»

«قَالَ: أَبُوهَا» ١١١.

هذا الحديث أصل عام في شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها...
وإنما يُقَرَّبُهُ إلى أفهامنا أن نضيف إليه المعاني التي وردت في حديث آخر...

«ما فضلكم أبو بكر بصلاة أو صيام وإنما بشيء وَقَرَّ في صدره». - أو كما قال-

أي بصفات عليا مكنونة في قلبه...
كذلك عائشة... التي ورثت عن أبيها تلك الصفات...
ما فضلت النساء بكثرة صلاة أو صيام وإنما بشيء وَقَرَّ في صدرها...
بصفات عليا مكنونة في قلبها...
فإذا كان أبو بكر أحبَّ إلى رسول الله ﷺ... فإنما لهذه الصفات...
وإذا كانت عائشة أحبَّ إلى رسول الله ﷺ... فإنما لهذه الصفات العليا...
ولكن كانت مكنونة في قلبها...
كما كانت مكنونة في قلب أبيها...
وكان رسول الله ﷺ... يعلمها من أبي بكر... ويعلمها من ابنته ١١١
تجد ذلك مكنونًا في قوله ﷺ:
«فَضَّلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَّلِ الثَّرِيدَ عَلَى سَائِرِ الطُّعَامِ»
ولعل هذا الفضل الذي تفوقت عائشة به على النساء...
كان شيئًا وَقَرَّ في قلبها... ثم جعل يظهر تباعًا من شخصيتها... تبعًا للدوافع والأحوال ١١١

حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

«أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ...

»فقَالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا مَقْبُوحًا...

»أَتُوذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» ١٢

وذهبت عائشة بهذا الشرف الذي ليس كمثله شرف لأحد من النساء...
لماذا كان يحبها أكثر؟
هل لأنها كانت ذات صفات غليا أكثر؟
هل لأنها كانت أجمل؟
هل لأن الله جعل ذلك الحب في قلبه... وهو شيء لا يملكه؟
هل لأنها كانت أقرب زوجاته إلى صفاته العليا... فهي أحب إليه... لأنها أقرب إلى الله؟
كل أولئك قد يكون...
وكل أولئك قد يكون غيره هو الصحيح...
وإنما لا نملك إلا أن نقول «الله أعلم حيث يجعل رسالته»...
وكذلك الله أعلم حيث يجعل حب الرسول ﷺ... وكيف يكون!!

فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ؟

«وإنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ... كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».
قال النووي: المراد بالفضيلة نفعه والشيع منه... وسهولة مساغته... والالتذاذ به... وتيسر تناوله... وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك...
: وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة...
أقول... وفي هذا إشارة إلى عموم نفعها بالنسبة إلى سائر الأمة إلى يوم القيامة...
فكما أن الثريد طعام ينتفع به جميع الناس... بدون استثناء...
فكذلك علم وفقه عائشة ينتفع به جميع الناس بلا استثناء إلى ما شاء الله...

شديدة الغيرة... من شدة حُبِّها؟!

في الحديث:

«قُلْتُ: وما تَذْكُرُ مِنْ عَجَوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ...»!!!.

وقالوا في شرحه: جرى ذلك من عائشة لصغر سنِّها... وأوَّل شبيبتها!!!.

وأقول: شدة الغيرة... نابعة من شدة حُبِّها لرسول الله... ﷺ...

إنَّها لا تتصوَّر أن يزاحمها في حُبِّه أحد من النساء...

حتى ولو كانت خديجة التي انتقلت إلى الآخرة!!!.

وهذه الصفة كانت تلازمها!!!.

فكانت لا تطيق أن يُثني الرسول ﷺ على خديجة!!!.

ما أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ؟!

«قال رسول الله ﷺ:

«أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ لَا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ... وَإِذَا كُنْتُ

غَضَبِي قُلْتُ لَا وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ...»

«قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ... مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.»

وقالوا في شرحه: «ولهذا قالت: لَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ... فدلَّ على أن قلبها...

وحبِّها كما كان... وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة...».

وأقول: فكيف والحبيب هو رسول الله ﷺ!!!.

فكم تبلغ غيرتها وكيف تكون؟!

عائشة تُلْعَبُ بِاللُّعْبِ؟!

وتقول في حديثها:

«أَنَّهَا كَانَتْ تُلْعَبُ بِالْبَنَاتِ...

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ».

وفي حديث آخر:
«كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فِي بَيْتِهِ وَهُنَّ اللَّعْبُ».
أي أنها كانت تلعب بالعرائس... باللَّعْبِ على هيئة العرائس!!!
وهذا لصغر سنّها... ويدل على أنها كانت شخصية ذات حيوية!

إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ!

«فقال رسول الله... ﷺ... وَتَبَسَّمَ:
«إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ».
وفي هذا دليل على أن عائشة ورثت كثيراً من صفات أبيها العليّا... وهذا هو سرّ امتيازها على سائر الأزواج... رضي الله عنهنّ...
قالوا: وكان ﷺ يسوي بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه...
«وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن...
«وأجمع المسلمون على أن محبتهم لا تكليف فيها...
«ولا يلزمه التسوية فيها...
«لأنه لا قدرة لأحد عليها إلاّ الله سبحانه وتعالى»!!!
وقالوا: وأما قوله ﷺ: «إنها ابنة أبي بكر» فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها...
وحسن نظرها...
وأقول: وفيه إشارة إلى وراثتها لكثير من صفاته العليّا... وحسبك «لو وُزِنَ إيمان أبي بكر وإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر» - أو كما قال -
فماذا وِرِثَتْ عائشة عن أبيها من كريم الصفات؟!
إنه شيء لا يعلمه إلاّ الله!!!

كانت تُصْغِي إلى صوته الشريف!

في الحديث:
«أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ...»

«وهو مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا...»

«وَأَضَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ...».

المشهد ليس كمثله مشهد!!!.

رسول الله ﷺ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ...»

وهو يقول: اللهم اغفر لي...»

وعائشة تُضْغِي إِلَيْهِ... وهو يقول كلماته الأخيرة...»

كيف كان شعورها آنذاك؟!

هل كانت تبكي؟!

أكبر ظنِّي أنها كانت تتفطر بكاءً وحُزناً...»

إِنَّ أَحَبَّ إِنْسَانٍ إِلَيْهَا يَوْشِكُ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى...»

وها هو ﷺ مسندٌ إِلَى صَدْرِهَا... ويقول كلمات...»

لَهَا تُضْغِي وَتُضْغِي إِلَيْ مَا يَقُولُ...»

لعلها كانت تسمع نبض قلبه الشريف... من شدة حُبِّهَا لِلْحَبِيبِ ﷺ!!!

يا عَائِشُ... هَذَا جِبْرِيلُ... يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ؟!

وفي الحديث:

«قال رسول الله ﷺ:

«يا عَائِشُ... هَذَا جِبْرِيلُ... يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...»

«قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ...»

«قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى...».

ما هذا؟!

هذا هو الجوّ الطاهر الزكيّ الراقي المقدّس الذي تتقلّب فيه عائشة عليها

السلام...»

هذا رسول الله... ﷺ...»

وذاك جبريل عليه السلام...
وهي لا ترى جبريل ولكن هو يراها...
ورسول الله ﷺ يُشَرِّها ويخبرها... وهي تردّ سلام جبريل!!!
ما هذا كله؟!!
هذا فضل الله يؤتيه من يشاء!!!
إن عائشة عندما أقرأها جبريل السلام... قد ارتقت درجات ودرجات!!!
عليها السلام!!!.

عاشت بعده قريباً من خمسين سنة؟!

فما معنى هذا؟!!
معناه أن الله اختارها لتبلغ كثيراً من أحكام هذا الدين... أطول مدة ممكنة...
بعد وفاة النبي ﷺ...
باعتبار أنها رضي الله عنها... كانت معه نحو تسع سنين منذ بنى بها بالمدينة
حتى لحق بالرفيق الأعلى...
وكانت ذات استعداد عظيم... دراية ورواية...
فوعت عنه ﷺ كثيراً...
وروّت عنه ﷺ ما وعت...
وأضافت إليه شروحا ممّا فهمت... وما اجتهدت...
فكانت بذلك إماماً عظيماً من أئمة هذا الدين العظيم...
شاركت في تبليغ الكثير من أبواب هذا الدين...
وانفردت من دون الأئمة الأعلام كأمثال ابن عباس... وابن عمر... وأبي
هريرة... بأبواب من الدين... لا سبيل لهم إليها...
ولأنما هو اختصاصها... وهي الاستاذ الأول فيه...
وذلك ما يختصّ بأحكام النساء... حيث كانت هي الزوجة...
وكانت بحكم موقعها ذاك... وحداثة سنّها... ورجاحة عقلها... وسرعة

فَهِمَهَا... مؤهلة لتقوم بهذا الدور الكريم في حياة الأمة الإسلامية العظيمة!!!.

رُبْع الأحكام منقولة عنها؟

قالوا: «وَأَكْثَرُ النَّاسِ الْأَخَذَ عَنْهَا...
«وَنَقَلُوا عَنْهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْآدَابِ شَيْئًا كَثِيرًا...
«حَتَّى قِيلَ إِنَّ رُبْعَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَنْقُولَةٌ عَنْهَا...
رَوَى لَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...
«أَلْفَا حَدِيثًا... وَعَشْرَةَ أَحَادِيثَ^(١)».!!!.

فما معنى هذا؟

معناه أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ عَلَيْهَا السَّلَام... هِيَ أَكْثَرُ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ... نَفْعًا
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ...

لأنها قامت بأعظم دور تقوم به امرأة في تاريخ دين من الأديان...
فهي تنفرد بهذه الخاصية... خاصية أداء دور لم تستطع أي زوجة من أزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقوم به...
وهذا يُفسَّر لنا... لماذا كانت أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟
ربما لعلمه بما أطلعه الله عليه... أنها سوف تقوم بتبليغ الكثير من أحكام هذا
الدين الذي بعثه الله به إلى العالمين...
وأنَّها أَهْلٌ لذلك الدور بما فطرها الله عليه من الصدق والصفاء والإخلاص لله
ولرسوله... كما ورثت عن أبيها!!!
ويُفسَّر لنا كذلك شيئًا من إشارات قوله ﷺ: «وإنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ
كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»...
فإنَّ التي يُنْقَلُ عنها ربع الأحكام الشرعية...
أعظم فَضْلًا من التي يُنْقَلُ عنها بضعة أحاديث!!!

(١) سبق أن ذكرنا أنه روي لها ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث (٢٢١٠) ولا تعارض بين الروايتين.

أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟!

في الحديث:

«أن النبي... ﷺ قال لها:

«أما ترضين... أن تكوني زوجتي... في الدنيا والآخرة».

وقالوا: «وفي هذا فضل عظيم لها»...

وأقول... أمّا فضلها في الدنيا... فقد استبان منذ صارت أحب أزواجه إليه...

وأعظم أمهات المؤمنين نفعا للأمة...

وأما فضلها في الآخرة... أنها تكون زوجة النبي ﷺ... وتُلحق به ﷺ...

فكم تبلغ درجة عائشة يومئذ؟!

لا تعلم نفس ما أُخفي لها من قُرّة أعين!!!

عليها السلام!!!

أشهر نسائه

قالوا:

«عائشة بنت أبي بكر الصديق...»

الصدّيقة بنت الصديق...

أم المؤمنين...

زوج النبي... ﷺ...

وأشهر نسائه...».

وها هنا سؤال عميق... لماذا كانت عائشة أشهر نسائه؟!

الجواب... هو قوله ﷺ: «فُضِّلَ عائشة على النساءِ كفضلِ الشريد على

الطعام»...

أي أن عموم نفعها الأمة كلها... جعل اسمها على لسان كل فرد في الأمة...

كلما ذُكرت الأحكام الشرعية التي لا غنى لمسلم أو مسلمة عنها!!!.

أكابر الصحابة يسألونها؟

وقالوا:

«وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض...»

«وقال عطاء بن أبي رباح:

«كانت عائشة... من أفقه الناس... وأحسن الناس رأيا في العامة...».

أقول... وهذا أيضًا يفسر لك لماذا كان ﷺ يحبها أكثر؟!

لما يعلم أنَّ هناك من الخير المكنون في شخصيتها الشيء الكثير... وسوف يظهر مع الأيام!!!

ما رأيْتُ أحدًا أعلم من عائشة؟

وقال غزوة:

«ما رأيْتُ أحدًا أعلم بفقه... ولا بطب... ولا بشعر... من عائشة»!!!

أقول... وهذا ما تلاحظه أمام عيني ابن اختها أسماء رضي الله عنها... فكيف

بالمكنون وما سوف يكون!!؟

كان عِلْمُها... بَحْرًا ممدودًا؟

وقالوا:

«وروت عن النبي ﷺ... كثيرًا...»

روى عنها عمر بن الخطاب...

وكثير من الصحابة...

ومن التابعين ما لا يُحصى...».

أقول... كانت علومها رضي الله عنها... بَحْرًا ممدودًا...

وكيف لا تكون كذلك... وعندها الاستعداد...

والإمداد على قَدْرِ الاستعداد!!؟

لقد كانت تأخذ رأساً من رسول الله... ﷺ ... وبدون واسطة أحدٍ من الرواة...

نقلت إلى الأمة أعز ما يعني الناس من أمور دينهم...
نقلت إلى الأمة حياة النبي ﷺ ... الخاصة...
وما لم يطَّلع عليه أحد إلا هي... وهي معه ﷺ ... في تهجده... في نومه...
في فراشه... في بيته!!!
وهي التي نقلت إلى الأمة... تفاصيل اللحظات المقدسة من حياته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم...
لحظات المرض الأخير...
ولحظات سكرات الموت...
وآخر كلامه... صلى الله عليه وعلى آله وسلم!!!
أي ثروة هي أعظم!!!
وأي تراث هو أغلى مما نقلت إلينا أم المؤمنين عليها السلام!!!

لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ؟

إذا قال الله تعالى:
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ...﴾
تحثن أن نعلم... وأن نؤمن... وأن نعتقد عن يقين تام...
أن كل واحدة منهن أفضل من كل واحدة من النساء... لما امتازت بشرف
الزوجة لرسول الله ﷺ ... وأمومة المؤمنين!!!
فإن قيل: لماذا فضل الله هؤلاء النساء بالذات؟
جاءه الجواب:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾!!!
والمراد بأهل البيت نساؤه... ﷺ ... المطهرات... للقرائن الدالة على ذلك من
الآيات السابقة واللاحقة... - على قول -

فكيف يكون فضل عائشة... رضي الله عنها... التي هي أحب هؤلاء إليه

ﷺ ١٩

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ؟!

إن الآية الكريمة تُحَرِّم كل زوجة للنبي... ﷺ ... تحريمًا أبديًا...
لأنها أُمٌّ لكلِّ رجل في هذه الأمة...
وعائشة رضي الله عنها... أشهر هؤلاء المطهرات...
وأحبهنَّ إلى رسول الله... ﷺ ...
إنَّ لها منزلة أعظم أُمٍّ... في اعتقاد كل مسلم!!!.

خُيِّرَتْ فَاخْتَارَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!

«قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ...
«إِلَى تَمَامِ الْآيَتَيْنِ...
«فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا اسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟...
«فإِنِّي أريدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ...»!!!.
أقول... مَنْ أَرَادَ التفصيل فليرجع إلى تلك الأبواب من الكتاب...
وإنما الذي نلتقطه هنا في باب شخصية عائشة...
أنها نجحت ثلاث مرَّات في قصة التخيير...
الأولى... أن نساء النبي ﷺ... طلبت كل واحدة منهن مطلبًا دنيويًا إلا عائشة
لم تطلب شيئًا!!!.

الثانية... أَنَّ رسول الله ﷺ... حين أُمِرَ بتخيير نسائه بدأ بها أوَّلًا...
الثالثة... أنها لم تستأمر أبويها... وإنما سارعت إلى الاختيار!!!.
وكل واحدة من هذه الثلاث دليل واضح... على زهد عائشة... وتفوق
الصفات العليا من شخصيتها... وأنها على أعلى مستوى من إيثار الله وَرَسُولَهُ والدار

الآخرة على غرض الدنيا!!!

ثم كانت الرابعة... وهي مسك الختام... أن جميع أمهات المؤمنين فعلن مثل ما فَعَلَتْ... فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة!!!.

وهذا دليل آخر على امتياز شخصيتها...

وأنها سبّاقة إلى كل خير...

وكانت إمامًا... مؤهلة للقيادة!!!

البريئة... المبرأة؟!

«وكان مسروق إذا روى عنها يقول:

«حدّثني الصّديقة بنت الصّديق...»

«البريئة المبرأة...».

وهو يشير إلى قصة الإفك... وما نزل فيها من آيات...

قال المفسرون في سياق تفسير آيات قصة الإفك...

«في هذه الآيات من الدلالة على فضل الصّديقة ما فيها...

ولو قلّبت القرآن كله... وفتشت عمّا أوعد به العصاة...

لم تر الله عزّ وجلّ قد غلظ في شيء تغليظه في الإفك...

وهو دال على فضلها أيضًا...»!!!

عائشة تتحدّث عن شخصيتها؟!

«وكانت - رضي الله تعالى عنها - تتحدّث بنعمة الله تعالى عليها...

بنزول ذلك في شأنها...

فقد أخرج ابن أبي شيبة عنها أنها قالت:

«خلال في... لم تكن في أحد من الناس...

«إلا ما أتى الله تعالى مريم ابنة عمران...

«والله ما أقول هذا... أني أفتخر على صواحباتي...

«قيل: وما هن؟...»

«قالت:

«نزل المَلَك بصورتى...»

«وتزوجني بكَراً... لم يشركه في أحد من الناس...»

«وأناة الرُحي وأنا وإياه في لحاف واحد...»

«كنت من أحب الناس إليه...»

«ونزل في آيات من القرآن... كادت الأُمّة تهلك فيهن...»

«ورأيت جبريل عليه السلام ولم يره أحد من نسائه غيري...»

«وفُيِّض في بيتي... لم يله أحد غير المَلَك وأنا»!!!.

وأخرج ابن مردويه عنها أنها قالت:

«لقد نزل عذري من السماء...»

«ولقد خُلِّقت طيبة عند طيب...»

«ولقد وعدت مغفرة وأجرًا عظيمًا»!!!.

أقول: وماذا يمكن أن يُقال بعد أن تحدّثت عليها السلام عن فضائلها؟!

إن التفكير هنا فيما قالت أعظم أثرًا من القيل والقال!!!.

إلا أن هناك سؤالًا خطيرًا... فما هو؟!

هل من علامات مقام الصّدّيقية... اتهام أصحابه

إفكًا... ثمّ ظهور براءتهم؟!

نأخذ مثالًا في ثلاث شخصيات مشهورات... كانوا صِدّيقين أو

صِدّيقات... يظهر في حياتهن تلك الظاهرة ظهورًا بيّنًا...

يوسف... عليه السلام...

قال تعالى:

«يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ...»...

والإشارة أن يوسف عليه السلام... فوق ما كان في مقام النبوة... إنما مرّ

على مقام الصّدّيقية... فهو نبيّ صديق!!!.

ثم مريم عليها السلام...

قال تعالى:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ...﴾

ثم عائشة رضي الله تعالى عنها... فهي الصّدّيقة بنت الصديق!!!

أولئك الثلاث... يوسف... ثم مريم... ثم عائشة...

مرؤا على مقام الصّدّيقية...

ويلاحظ أن كلّاً منهم أثبتت بآثاره من أعدائه بالشّوء...

ثم بعد ذلك تظهر براءتهم على كلّ من العالم!!!.

أمّا نبيّ الله يوسف عليه السلام... فقصّة تلفيق التهمة له من امرأة العزيز مشهورة مستفيضة...

﴿... قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.﴾ ١٩

وأخيراً وبعد سنين... أظهر الله براءة النّبيّ الكريم على مشهد من الملّك والجميع...

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ.﴾

وهكذا ظهرت براءة النّبيّ العظيم... على كلّ من الناس أجمعين...

ثم ماذا؟... ثم العطاء بعد البلاء... وكان عطاء عظيماً... لأنّ البلاء كان عظيماً...

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.﴾ ١١١

مرّ النّبيّ الكريم يوسف عليه السلام على المحنة... محنة أن يُتهم

بالشوء... ثم تستمر المحنة... وفي النهاية تظهر البراءة... ليعلم العالم كله طهارته وبراءته... ثم يؤتيه الله مُلكاً عظيماً!!!

وفي هذا من جميل الحُكم والآيات ما فيه!!!

ثم ماذا؟!

ثم نأتي إلى قصة الصديقة التي ليس كمثليها صديقة... مريم عليها السلام...

قال تعالى:

﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾!!!

ماذا قال المجرمون؟!

﴿... قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا﴾!!!

ثم ماذا؟!

ثم ظهرت براءة مريم للعالمين إلى يوم القيامة...

ثم ماذا؟!

ثم جعل الله تعالى مريم وابنها عليهما السلام آية للعالمين...

ورَفَعَ مَرْيَمَ فَجَعَلَهَا أَفْضَلَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ... وأشهر نساء العالمين!!!

ثم ماذا؟!

ثم قصة الصديقة بنت الصديق... عائشة عليها السلام...

قال أهل الإفك ما قالوا....

ثم ظهرت براءتها بعد أسابيع...

فَرَأَا يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!!!

ثم ماذا؟!

ثم كان العطاء أن الجميع يتحدثون عن فضلها وطهرها!!!.

وأخيراً... هل هو محض صدقة أن يُتلى هؤلاء الثلاث بالشوء...

باطلاً وإفكاً... ثم تظهر براءة كل واحد منهم... ثم يرفعهم الله رفعا

عظيمًا فوق الجميع ١١٩.

أَمْ أَنَّهُ نَامُوسُ إِلَهِي ثَابِتٌ... أُنَّ كُلُّ مَنْ كَانَ صَدِيقًا أَوْ كَانَتْ صَدِيقَةً...
كُلُّ مَنْ مَرَّ عَلَى مَقَامِ الصَّدِيقَةِ... مِنَ الْحَثْمِ أَنْ يُزْمَى بِالشُّوءِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُجْرِمِينَ... ثُمَّ يُظْهِرُ اللَّهُ بَرَاءَتَهُمْ لِلْجَمِيعِ... لِيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ... وَيُظْهِرُ
لِلنَّاسِ الْمَكُونِ فِي شَخْصِيَّاتِهِمْ مِنْ كَرِيمِ الصِّفَاتِ... وَطَهَارَةِ الْأَخْلَاقِ ١١٩.

الإشارة إلى ذلك بالنسبة إلى يوسف عليه السلام... في حديث:

«إِنَّ الْكَرِيمَ... ابْنَ الْكَرِيمِ... ابْنَ الْكَرِيمِ... ابْنَ الْكَرِيمِ... يَوْسُفُ نَبِيِّ
اللَّهِ... ابْنُ يَعْقُوبَ نَبِيِّ اللَّهِ... ابْنُ إِسْحَاقَ نَبِيِّ اللَّهِ... ابْنُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ...»
وبالنسبة إلى مريم عليها السلام... في قوله:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ﴾...

وبالنسبة إلى عائشة عليها السلام... في قوله تعالى:

﴿... أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

وقول عائشة رضي الله عنها:

«لَقَدْ خُلِقْتُ طَيِّبَةً عِنْدَ طَيِّبٍ...»

«وَلَقَدْ وُعِدْتُ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» ١١١.

وأخيرًا أقول: هي قضية جميلة... إلّا أنها خطيرة... جديرة بالتفكير ١١١.

معه... صلى الله عليه وسلم... إلى آخر لحظة ١٢

وهذا الباب وحده يكفي عائشة فخراً وفضلاً ١١١

أقول... إذا أعطاه الله تعالى تلك الدرجات العلى فكيف تكون ١٢

استأذنه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له...

ومن تلك اللحظة المقدسة وهو ﷺ في بيتها...

تشهده لحظة لحظة...

وتشعر بكل شيء يصدر عنه ﷺ...

ثم كانت لحظة الفراق... وما أدراك ما لحظة الفراق؟ ١١٩.
«قَبَضَهُ اللَّهُ...
«بَيْنَ سَخِرِي وَلَخِرِي...
«وَدُفِنَ فِي بَيْتِي» ١١١.
ما هذا؟ ١٢٠...
هذه درجات ودرجات ودرجات... تُرْفَعُ إِلَيْهَا عَائِشَةُ عَلَيْهَا السَّلَام...
كل لحظة مَرَّتْ عَلَيْهَا آنَ ذَاكَ...
كانت درجة رُفِعَتْ إِلَيْهَا ١١١.
كيف لا... وهو رسول الله ﷺ... ١٢١...
وهي معه ١١١.
وأبواب الآخرة تفتح إلى أقصاها... للحبيب صلى الله تعالى عليه
وسلم ١١١.

وَدُفِنَ فِي بَيْتِي ١١٩

«فَكَّرُ فِي هَذِهِ...
يَقَعُ اخْتِيَارُهُمْ بَعْدَ تَشَاوُرٍ أَنْ يُدْفَنَ حَيْثُ قُبُضَ...
فَيُدْفَنُ فِي حَجَرَةِ عَائِشَةَ ١١١
فما معنى هذا؟ ١٢١
معناه أن هذه الحجرة... التي تضم الجسد الشريف... قد صارت من تلك
اللحظة البقعة التي تهفو إلى زيارتها القلوب ١١١.
فَكَّرُ... مِنْ تِلْكَ اللَّحْظَةِ... وملايين المسلمين والمسلمات... إلى يوم
القيامة...

يتوافدون... يسوقهم الشوق إلى زيارة الحبيب ﷺ...
ويقفون... وعبونهم دامعة... وقلوبهم خاشعة... يموجون:
السلام عليك ورحمة الله وبركاته... يا رسول الله ١١١.

السلام عليك يا نبي الله!!!
لحظات يا لها من لحظات... قد ذاقها الذين سعدوا بزيارة الحبيب
ﷺ!!!
كل ذلك... الذي لا ينقطع من ليل أو نهار... يجري أمام حجرة
عائشة!!!

فأي فضل هذا... وأي عظمة آناها الله تعالى!!؟
لماذا حجرة عائشة بالذات... يختصها الله بذلك!!؟
فكر في هذا... والله يتولى هُذاك!!!

لا تَذِفْنِي مَعَهُمْ!!؟

وأخرى أعلى وأعلى... تؤكد سمو أخلاقها... ورفعة درجاتها... وكريم
صفاتها...

«عن عائشة... رضي الله عنها...
«أُتِيَ أَوْصَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ... رضي الله عنهما...
«لا تَذِفْنِي مَعَهُمْ...»

«وَأَذِفْنِي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَيْعِ...
«لَا أَرْكَبِي بِهِ أَبَدًا»!!!.

أنظر إلى جميل الأخلاق!!!

«لا تَذِفْنِي مَعَهُمْ»!!؟

مع مَنْ!!؟... مع رسول الله ﷺ... ومع صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما!!!

لماذا!!؟...

وهذه أعجب وأعلى...

«لَا أَرْكَبِي بِهِ أَبَدًا»!!!.

سمو عجيب... وراء عقولنا...

إنها إن دُفِنَتْ مع الرسول ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما... اكتسبت شخصيتها عند الناس شهرة... وذكروها بالخير كلما زاروا القبر الشريف... وأثنوا عليها...

وهي لا تريد ذلك... تريد أن تكون نسيًا منسيًا!!!
لا أَرْكِي بِهِ أَبَدًا!!!

لا يُتَشَى عَلَيَّ النَّاسُ بِسَبَبِ دَفْنِي إِلَى جِوَارِهِ ﷺ...
لماذا؟!

لأنها ترى نفسها أَقْلَ من ذلك...
«وَادْفَنْتِي مَعَ صَوَاحِبِي بِالْبَقِيعِ»!!!
هذا هو التواضع الحق... الذي يرفع صاحبه عند الله رفعا عظيما...
سبحان الله... كل أحوالها شريفة... تؤهلها لأن تكون زوجة في الدنيا والآخرة.!!!

* * *

وأخيرا... ماذا أريد أن أقول؟...
أقول: كل ما ورد بهذا الكتاب هي خطوط في عظمة الشخصية...
وإنما كان هذا الباب إشارة لا عبارة!!!

ماذا قال العقاد...

في كتابه الجميل...

«الصديقة بنت الصديق»... ١٢

تزهو المكتبة الإسلامية بالسلسلة الخالدة... للعقري عباس العقاد...
وأعني سلسلة العقریات الإسلامية للكاتب الكبير...
ومنها كتابه الصغير الحجم... الكبير الفائدة «الصديقة بنت الصديق»...
وقد رأيت إتمامًا للفائدة أن اقتبس منه سطورًا رائعات... أثبتها في نهاية
هذا الكتاب... ليزداد جمالًا إلى جمال...
قال في كتابه «الصديقة بنت الصديق»:

عائشة

ولدت عائشة لأبي بكر الصديق من زوجته «أم رومان».
ولا يعرف على التحقيق في أي سنة ولدت السيدة عائشة رضي الله عنها:
ولكن أقرب الأقوال إلى الصدوق وأحراها بالقبول أنها ولدت في السنة الحادية
عشرة أو الثانية عشرة قبل الهجرة، فتكون قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها أو
قاربتها يوم بنى بها الرسول عليه السلام.
وجملة ما يفهم من وصفها على التحقيق أنها كانت بيضاء، فكان عليه السلام
يلقبها بالحمراء، وكانت أقرب إلى الطول، لأنها كانت تعيب القصر، كما مر في
كلامها عن السيدة صفية، وكانت في صباها نحيلة أو أقرب إلى النحول، حتى كان
الذين يحملون هودجها خاليًا يحسبون فيها.
ثم مالت بعد سنوات إلى شيء من السمنة كما جاء في كلامها في حديث آخر:
«... خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم. فقال ﷺ

للناس: تقدموا. فتقدموا. ثم قال: تعالي حتى أسابقك. فسابقته فسكت. حتى إذا حملت اللحم وكنا في سفرة أخرى قال ﷺ للناس: تقدموا. فتقدموا. ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل ﷺ يضحك ويقول: هذه بثلثك». وعلمنا من رواية وقعة الجمل أنها كانت جهورية الصوت، تخطب العسكر من هودجها في ساحة الحرب فيسمع خطابها.

وعلمنا من جملة أوصافها وأخبارها أنها كانت حية الطبع موفورة النشاط كدأب العصبيين من النساء والرجال، وكان أبوها رضي الله عنه من أصحاب هذا المزاج ولا مراة.

والظاهر أنها ورثت عنه كثيرا من خلقه وخلقه على السواء. فقد كان الصديق جميلا حتى جاء في بعض الروايات أنه لقّب بالعتيق لجماله. وكان نحيلًا دقيق التكوين كما هو مشهور، وكانت فيه حدة طبع مع حدة ذكاء، وكان كريما سريعا إلى نجدة المعوزين والضعفاء، وكان صادق المقال لم يؤخذ عليه كذب في الجاهلية ولا في الإسلام. وكان ماضي اللسان قديرا على إفحام من يجترىء عليه، وتشبهه السيدة عائشة في هذه الخلائق شَبَها كان يوحى إلى النبي عليه السلام كلما سمعها تجيب من يساجلها أن يقول: إنها ابنة أبي بكر! إنها ابنة أبي بكر.

وقد راضت حدتها زمنا كما كان أبوها يروض حدته طوال حياته، ولكنها لم تبلغ من ذلك ما بلغه أبوها لمكان الرجل من القدرة والحاجة إلى سياسة الدنيا. ومكان الفتاة من الضعف ومن المحظوة التي تغنيها عن الصرامة في مغالبة النفس ومراس الخطوب في كفاح الحياة.

والمعهود في أخلاق الناس أن الحدة تلازمها سرعة الغضب، كما تلازمها سرعة الصفح والنسيان في معظم الأحيان.

وليس في أخبار السيدة عائشة ما يناقض هذه المشاهدة التي تعم النساء كما تعم الرجال، فليس مما ينقضها أنها رضي الله عنها بقيت على موجدة من مسألة الإفك، طوال حياتها، فلم تنس مقالة أحد من القائلين أو الساعين فيها. إذ ليس أهول على نفس الفتاة خاصة، ولا أوجع لضميرها، من مطعن يهدم سمعتها ويعصف بهنائتها،

وفيقدها الرجل الذي تحبّه والمكانة التي تبوّأتها. وأهل ما يكون ذلك على البريئة العزيرة التي يهولها الأمر على قدر ظلمها فيه وعلى قدر نكبتها بما تفقده من العزّة والسمعة. فلا يقاس على موجدة السيدة عائشة في مسألة الإفك سائر خلائقها ودوافع ضميرها. فليس في غير هذه المسألة ما ينم على شيء يتجاوز الحدّة العارضة إلى الضغينة الباقية.

أما كرم السيدة عائشة فهي فيه إلى النجدة أقرب منها إلى السخاء، وهي فيه على آسال من أبيها العظيم رضي الله عنه، تنقذ من الأسر وتغيث من البلاء، وتعطي من هو في حاجة إلى العون العاجل ما تيسر لها العطاء، وكانت في كرمها على حال سواء في أيام النبي عليه السلام حين لا مال لديها إلا القليل الذي هي أحوج إليه، أو في أيام الفتح التي تيسر لها فيها من المال ما لم يكن قبل بميسور.

كان لعتبة بن أبي المهلب جارية حبشية اسمها بريرة زوّجها على غير رضاها عبداً من عبيد المغيرة فكرهته وأعرضت عنه، وهي أهل لمن هو أصلح وأدب منه. فرحمته السيدة عائشة فاشتريتها وأعتقتها، وخاطبت فيها النبي عليه السلام فقال لها: ملكك نفسك فاختراري؟

وكان زوجها يتعلّق بها ويتبعها حيث سارت وهي معرضة عنه، فتعجب النبي بين أصحابه يوماً من فرط حبه لها وزهداها فيه، وقال لها: اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك! قالت: أتأمرني؟ قال: لا. إنما أنا شافع. فقالت: إذن لا حاجة بي إليه. وما زالت بعد ذلك في خدمة السيدة عائشة تخلص لها وتذكر لها عطفها عليها ولا تنسى لها جميلها.

وقد أعانها على هذا الخلق السمع أنها رزقت القدوة القرية بسيد المواسين للضعفاء ومعلم الجارين لكسر القلوب، فما من شأو بلغته في هذا المعراج الرفيع إلا ارتفع بها رسول الله إلى أعلى منه وأجمل.

وحدثت مولاتها أم ذرة - وهي من الثقات - أن ابن الزبير بعث إلى السيدة عائشة بغرارتين فيهما مال يبلغ مائة ألف درهم، وكانت صائمة، فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس. ثم أمست فقالت: يا جارية هاتي فطري. قالت أم ذرة: أما

استطعت فيما أنفقت تشتري ب درهم لحمًا تفطرين عليه؟ فقالت: لا تعتفيني! لو كنت أذكرتني لفعلت.

وقال ابن سعد عن عروة بن الزبير: رأيت عائشة تصدق بسبعين ألفًا، وأنها لترقع جانب درعها.

وأيسر ما يستفاد من هذه الروايات على اختلاف مكان روايتها من الثقة أنها رضي الله عنها كانت مشهورة بالكرم والإحسان إلى مستحقه.

وقد كانت بنت أبيها في أكثر من خصلة واحدة من هذه الخصال النادرة بين الرجال والنساء، ولكنها كانت أشبه ما تكون به في خصلة الصدق التي بها اشتهر ومن أجلها نعت بالصدِّيق، وغلب هذا النعت عليه حتى أوْشك أن ينسى الناس اسمه الذي دعاه به أبواه. وقد امتحن صدقها في مآزق عسيرة البلاء للنفوس فتمحصت عن معدن كريم وعرق سليم ودلت على أصالة هذا الميراث النفيس من أبيها العظيم. ففي الغاشية التي أطبقت على العالم الإسلامي من جراء الخلاف على الخلافة تطايرت الأحاديث الموضوعة من هنا وهناك، وتعتمد أناس أن يصوغوا من عندهم حديثًا لكل حزب ينصره ويرضيه، ويكتب خصمة ويخزيه. وافتن الوضع في محاكاة الأحاديث النبوية ذلك الافتنان الذي شقي به المحققون للروايات بعد ذلك بسنين، وكانت السيدة عائشة تشترك في خصومات المتخاصمين على الخلافة باختيارها أو تساق إلى المشاركة فيها على كره منها، وكانت هي أول من يُسمع له إذا روت حديثًا يدمغ خصومها ويعزز أنصارها، ولكنها لم تنقل قط في كل ما ثبتت نسبته إليها حديثًا واحدًا تمسه الشبهات من قريب أو بعيد ولا تؤيده الأسانيد الأخرى، ولم تحرف كلمة واحدة إلى غير موقعها طواعية لإغراء تلك النوازع النفسية التي تطيش بالألسنة أو تضلل العقول، وهو امتحان ليس أعتبر منه امتحان في هذا الباب، ولهذا كانوا يروون عنها الأحاديث فيقولون: حدثتنا الصدِّيقة بنت الصدِّيق!

ومن الصفات التي شابها فيها أباهما الذكاء المتوقّد والبديهة الواعية ولم تقصر فيها عن شأوه.

بل لا نحسبها قصرت عن شأو واحد من معاصريها بين الرجال والنساء على السواء في سرعة الفهم وقدرة التحصيل والإحاطة بكل ما يقع في متناول ذهنها. قال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة بن الزبير. فقليل له: ما أرواك! قال: وما روايتي في رواية عائشة! ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

وقد كان عروة بن الزبير أشد الناس حباً لخالته السيدة عائشة وإعظاماً لها وتوقيراً لسيرتها. ولكن الذي روى عنها من الشواهد الشعرية في أخبارها التي نقلت إلينا يدل على صدق ما وصفها به من غزارة الحفظ وحسن الاستشهاد. على أن الفهم والحفظ ملكتان معروفتان للسيدة عائشة كثرت أو قلت الشواهد الشعرية التي وصلت إلينا من أخبارها.

فحسبها أنها قد روت للنبي عليه السلام أكثر من ألفي حديث في مختلف المسائل التي تدخل فيها الأحكام الشرعية والعظات الخلقية والآداب النفسية والأصول التي يرجع إليها في الدين والعبادة.

بل حسبها أن يثبت لها عشر هذا العدد من الأحاديث النبوية ليثبت لها أنها كانت تفهم وتعي وتحسن الحفظ فيما تنقله بحروفه كما تحسن التعبير فيما تحكيه بكلامها، وأنها تحيط في فهمها وحفظها بكل ما أحاطت به الأحاديث من المعارض والمناسبات.

ومع هذا يروي الثقات أنها كانت تحفظ وتفقه وتفسر، ولا يقتصر علمها على وعي الكلمات والعبارات. قال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً فيه. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال مسروق الهمداني: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة.

ومن الأحاديث التي ترفع إلى النبي أنه قال: خذوا شطر دينكم عن هذي الحميراء، وهو حديث لم يثبت بالسند الصحيح، ولكن الحق الذي لا مرأى فيه أن

المسلمين قد عرفوا الكثير من أمر نبيهم وأمر دينهم من أحاديث عائشة عن زوجها المحبوب عليه السلام.

زوج النبي

كانت السيدة خديجة - رضي الله عنها - أول زوجات النبي عليه السلام، وأحبهن إليه، عاش معها زهاء خمس وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها، ولا فكر في الزواج بغيرها في حياتها. مع أنه بنى بها وهو في نحو الخامسة والعشرين وهي في نحو الأربعين، وبقيت معه إلى أن أوفت على الخامسة والستين.

ثم توفيت حوالي السنة العاشرة بعد الدعوة، فلم يعرف عنه أنه حزن على أحد قط أشد من حزنه عليها، ولا أطال الذكرى لأحد قط بعد وفاته كما أطال ذكراها، وسمى عام وفاتها «عام الحزن»، لأن الحزن لم يفارقه طوال أيامه، ولم يفارقه - في الواقع - بقية حياته كلها، وإن سكنت سؤرته مع الأيام كما تسكن كل سورة لاعبة مع ذلك العزم الصادق والقلب الصبور.

وتزوج بالسيدة عائشة بعد وفاة السيدة خديجة بسنوات.

فكان التقابل بين الزوجين من أتم ما تأتي به المصادفة حين تكون المصادفة أحكم من التدبير والتقدير، ولعل هذا التقابل لم يخل كل الخلو من القصد الخفي وإن لم تتجه إليه النية في وضوح.

ويبدو لنا أن النبي عليه السلام كان أحوج إلى هذا التقابل العجيب في حياته الزوجية.

فالفتى اليتيم الذي فجع في حنان الأمومة منذ الطفولة الباكرة لم يكن أنفع له من زوجة كريمة رشيدة كالسيدة خديجة التي أغدقت عليه من حنان الأمومة ما فاته في بواكير الطفولة، وأدركه عطفها وهو يعالج من نوازع الدعوة النبوية ثورة مقيمة مقعدة في سريرة النفس، لا تزال بين الجلاء والغموض وبين الإقدام والإحجام. ولا تزال في هذه الحالة على حاجتها القصوى إلى التثبيت والكلاءة والتشجيع.

أما النبي في الخمسين من عمره فقد كان أنفع له وأبهج لفؤاده أن يغدق حنان

الأبوة على زوجته التي تظفر منه بالحظوة والمودة، وأن يستروح من شبابها وجمالها نعمة تسعده في جهاده ورييغًا يظلمه في وحشة عمره.

كانت خديجة أمًا ترعاه.

ثم كانت عائشة طفلة تنعم بتدليله.

وكانت خديجة تسعده بالعقل والحنكة.

ثم كانت عائشة تسعده بالطرافة والجمال.

وكانت خديجة تصاحبه قبل الدعوة وهو يطلب الأنصار في طوية النفس قبل أن

يطلبهم في عالم النضال والبلاء.

ثم كانت عائشة تصاحبه بعد الدعوة وهو صاحب دين جهر وبهر، فكانت هي

أول سفرائه بالإصهار إلى رجالات العرب ورؤساء العشائر والبيوت.

كان تقابلًا بين الزوجين الفضليين من أعجب ما تأتي به المصادفة، بل من

أعجب ما يأتي به التدبير، وليس هناك تدبير معروف.

تمت الخطبة في شوال سنة عشر من الدعوة قبل الهجرة بثلاث سنوات،

وأصدقها النبي عليه السلام أربعمئة درهم على أشهر الروايات.

وتختلف الأقوال في سن السيدة عائشة يوم زُفَّت إلى النبي عليه السلام في السنة

الثانية للهجرة، فيحسبها بعضهم تسعًا ويرفعها بعضهم فوق ذلك بضع سنوات.

وهو اختلاف لا غرابة فيه بين قوم لم يتعودوا تسجيل الموالييد. إذ قلما يسمع

بإنسان - رجلًا كان أو امرأة - في ذلك العصر إلا ذكر له تاريخان أو ثلاثة لميلاده

أو زواجه أو وفاته، وقد يبلغ الاختلاف بين تاريخ وتاريخ في تراجم المشهورين

فضلاً عن الخاملين عشر سنين.

كانت خطبتها وهي في التاسعة... وكان

زفافها بعد خمس سنوات؟

والأرجح عندنا أن السيدة عائشة كانت لا تقل عند زفافها إلى النبي عليه

السلام عن الثاية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشرة بكثير.

فقد جاء في بعض المواثيق من طبقات ابن سعد أنها خطبت وهي في التاسعة أو السابعة، ولم يتم الزفاف كما هو معلوم إلا بعد فترة بلغت خمس سنوات في أشهر الأقوال.

ويؤيد هذا الترجيح أن السيد خولة اقترحتها على النبي وهي في السن المناسبة للزواج على أقرب التقديرات إلى القبول. إذ لا يعقل أنها تشفق من حالة الوحدة التي دعته إلى اقتراح الزواج على النبي وهي تريد له أن يبقى في تلك الحالة أربع سنوات أو خمس سنوات أخرى.

ويؤيد هذا الترجيح، من غير هذا الجانب، أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها إلى النبي، وأن خطبة النبي كانت في نحو السنة العاشرة للدعوة. فإما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم لأنها بلغت سن الخطبة، وهي قرابة التاسعة أو العاشرة. وبعيد جداً أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين.

وإما أن تكون قد وعدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق أحياناً بين الأسر المتألفة، وحينئذ يكون أبو بكر مسلماً عند ذلك، ويستبعد جداً أن يعد بها فتى على دين الجاهلية قبل أن تتفق الأسرتان على الإسلام.

فإذا كان أبو بكر رضي الله عنه قد وعد بها ذلك الموعد قبل إسلامه، فمعنى ذلك أنها ولدت قبيل الدعوة وكانت تناهز العاشرة يوم جرى حديث زواجها، وخطبها النبي عليه السلام.

ولهذا نرجح أنها كانت بين الثانية عشرة والخامسة عشرة يوم زفت إليه. وأنها هي - رضي الله عنها - كانت تسمع تقديرات سنها ممن كان حولها لأنها لم تقرأها بداهة في وثيقة مكتوبة. فكان يعجبها على سنة الأنوثة المخلدة أن تأخذ بأصغرها، وكانت هي كثيراً ما تدل بالصغر بين أترابها فلا تنسى إذا اقتضى الحديث ذلك أن تقول: وكنت يومئذ جارية حديثة السن. أو كنت يومئذ صغيرة لا أحفظ شيئاً من القرآن. إلى أشباه ذلك من أحاديثها في هذا المعنى.

ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما تقوله المستشرقون على النبي بصدد زواجه

بعائشة في سن الطفولة الباكرة. وكل تقدير غير ذلك فهو تقدير مرجوح.

* * *

وقد ملكت ربة البيت الصغيرة بيتها الجديد من اللحظة الأولى. لأنها كانت تدلّ فيه بمكانة الزوجة المحبوبة عند زوجها العطوف، وبمكانة النبوة الناشئة عند الأبوة الرحيمة، ومكانة ابنة الصديق العزيز التي أضفى عليها المودة والإيثار ما كان بين النبي والصديق من مودة هي أوثق وأبقى من مودة الرحم، لأنها مودة الوفاء والإعجاب والإيمان، أو مودة الحياة وما بعد الحياة.

وقد سجلت لنا السيدة عائشة خطرات نفسها خطرة خطيرة. ووصفت لنا في بيتها الجديد كل صغيرة وكبيرة ظاهرة وخافية. ولكنها لم تذكر لنا قط كلمة واحدة تنم عن وحشة الانتقال من بيت إلى بيت. ومن معيشة إلى معيشة. ومن ظل أبوين إلى ظل رجل غريب عنها لا تعرف عنه إلا ما تعرفه عن النبي كل صبية مسلمة في سنها الباكرة. لأن عطف محمد ﷺ هو العطف الغامر الذي لا يلجئ إلى عطف سواه. وقد أغنى زيداً عن أبيه وأمه فأثر حياة الأسر مع سيده على حياة الحرية مع أبيه وأمه. فأخبر بمثل هذا العطف أن يغني الفتاة التي تأوي إليه، فتلوذ منه بعطف زوج وعطف أب وعطف صديق.

وتركها على سجيتها تلعب بالعرائس في بيت زوجها كما كانت تلعب بهن في بيت أمها وأبيها. وربما جاءها صواحبها الصغار «فينقمعن - كما قالت - من رسول الله. فكان عليه السلام يسير بهن إليها ليلعبن معها».

وقالت جاريتها بريرة تصفها وهي في السنوات الأولى من زواجها: «ما كنت أعيب عليها شيئاً إلا أنها كانت جارية صغيرة أعجن العجين وأمرها أن تحفظه فتنام فتأني الشاة فتأكله».

وكان عليه السلام يتعهد بها بما يسرّها. وإن عجب الصحابة الذين لا يفهمون وقار الدين كما يفهمه ولا تتسع صدورهم لما يتسع له صدره. ودخل عليها أبوها وعندها قيتان تغنيان في يوم منى والنبي عليه السلام مضطجع مسجى في ثوبه، فصاح بها: أعتد رسول الله يصنع هذا؟.. فكشف النبي عن وجهه وقال: دعهن

فإنها أيام عيد.

وكان السودان يلعبون في يوم من أيام العيد بالدق والحرا ب فسألها عليها السلام: تشتهين أن تنظري؟ قالت: نعم: قالت: «فأقامني وراءه خدي على خدّه وهو يقول: دونكم يا بني أرفده - كنية الحبشة - حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم! قال: فاذهبي».

وربما مرّ أبوها رضي الله عنه بالبيت فيسمع صوتًا عاليًا في حضرة النبي عليه السلام، فيدخل غاضبًا يتناولها ليلطمها وينهرها قائلاً: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله. فينهض عليه السلام ليحجزه ويقول لها بعد خروجه: رأيت كيف أنقذتك من الرجل؟.

وفي مرة من هذه المرات خرج أبو بكر مغضبًا ثم عاد فوجدهما قد اصطلحا. فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي: قد فعلنا.

ولم يخفَ هذا العطف الذي لا نظير له بين الأزواج على السيدة عائشة، وهي ما هي في ذكائها وعلمها ببيوت الصحابة وغيرها. وازدادت به علمًا يوم شاركها الزميلات في بيت النبي، وقد شاعت الدواعي السياسية والدينية أن تتعدد زوجاته، وتتعدّد صلات المصاهرات بينه وبين قبائل الجزيرة العربية، فقد عرفت مكانها وهي بين تسع من الزميلات، كما عرفت مكانتها وهي موشكة أن تنفرد في بيت النبوة، وكان عليه السلام يعدل بينها وبين زميلاتها فيما يملك العدل فيه. أما ميل قلبه فكان يستغفر الله فيه قائلاً: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

وشكرت له هذا الإيثار، وفخرت به في معارض حديثها كلما بدا لها معرض للشكر أو للتحدث بنعمة الله عليها.

وهي القائلة بعد وفاة النبي في مزاياها التي اختصت بها دون أترابها: «فضلت على نساء النبي ﷺ بعشرا لم ينكح بكرا قط غيري، ولا امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة،

وكننت أغتسل أنا وهو في إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه دون غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم ينزل وهو مع غيري، وقبض وهو بين سحري ونحري، وفي الليلة التي كان الدور عليّ فيها ودفن في بيتي».

وكان هذا التمييز سرّ البيت النبوي في مبدأ أمره، ثم شاع في الجزيرة العربية حتى كان صاحب الهدية من المسلمين يؤخرها ليعث بها إلى النبي وهو في بيت عائشة.

فوقع التغاير الذي لا محيص منه بين الزوجات، وأرسلن إليه إحداهن أم سلمة، فأعرض عن حديثها ثلاث مرات، فلما أثقلت عليه قال لها: «لا تؤذيني في عائشة. فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة غير عائشة».. يريد بالثوب البيت في بعض التفسيرات، ومن قولهم ثاب إليه يثوب فهو في الثوب الذي لا يزال يرجع إليه. وتوسلن بالسيدة فاطمة رضي الله عنها لما يعلمن من قبول أبيها لكل شفاعة تأتيه منها، فقالت له: «إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ! أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَأُحِبِّي هَذِهِ»... يشير إلى عائشة.

ويسير على الزميلات المتنافسات أن يدركن حب النبي لعائشة، ويلحظن أنها كانت أحبهن جميعاً إليه وأقربهن جميعاً إلى فؤاده. ولكن الذي لم يكن يسيراً عليهن أن يدركنه أو يلحظنه أنها هي، رضي الله عنها، كانت أشدهن حباً له ونفاذاً إلى نفسه واتصالاً بقلبه ولبه. فكلهن كن يحببته ويتنافسن على قربه، ولو كان فيه التنافس على الموت وفراق الدنيا ومن فيها. وحدثهن يوماً عن تلحق به بعد فراقه الدنيا فقال: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا»... فجعل يقسن أيديهن، وما منهن إلا من تتمنى أن تكون هي صاحبة اليد الطولى. ثم ظهر لهن أن المراد بالطول هنا طول اليد بالصدقة والعمل الصالح... فغبطن زميلتهن زينب بنت جحش، لأنها استحققت اللحاق به لعملها بيدها وإكثارها من الصدقات على مستحقيها.

إلا أن الحب الذي يبدو من فطنة عائشة لسرائر النبي أعمق وأقوى.
فما منهن من لصقت بنفسه كما لصقت بها، ومن نفذت إلى معانيه كما نفذت إليها، ومن عاشرتة في روحه وطويته كما عاشرتة بروحها وطويته وفي كلامها من الشواهد على ذلك ما ليس في كلامهن على تيسر الوسائل لهن أن يعرفن مثل ما عرفت وأن ينقلن عنه مثل ما نقلت. وليس أدل على اقتراب الحب من هذا الاقتراب الذي امتازت به عليهن. فكان إيثار النبي لها ضارياً من العدل على هذا الاعتبار. لقد كانت تحبه حب المسلمة لنيبها.

وكانت تحبه حب الزوجة لزوجها والمرأة لرجلها. وكانت تعجب بجماله كما تعجب بأدبه وعظمة قدره.

وكان يسرّها أن تستمع إلى صوته وتصغي إلى ترتيل حديثه كما يسرّها أن تستوضح معناه لأنه - كما كانت تقول لسائليها - لا يسرد كسر دكم هذا ولكنه يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه.

وكانت تغار عليه أشد غيرة عرفتة امرأة على زوجها. وربما خرج من عندها في ليلتها. فإذا هي تتبعه إلى حيث ذهب مخافة أن يلم بيت زميلة من زميلاتهما. ووجدته في ليلة من هذه الليالي قد ذهب إلى المقابر يصلي للشهداء، ويستغفر لهم. فعادت إلى بيتها تقول لنفسها: بأبي أنت وأمي! أنت في حاجة ربك، وأنا في حاجة الدنيا! ولكنها لبثت مكروبة الصدر مما خامرها من خاطرها الأول ومن خطأ ظنها. فلما قفل عليه السلام إليها لحظ ما بها فسألها: ما هذا التّقص يا عائشة! قال: بأبي أنت وأمي! أتيتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستم أن قمت فلبستهما. فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحيباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع.. وخرج مرة أخرى ثم عاد إليها فإذا هي في مثل تلك الحالة: أغرت؟ قالت: وهل مثلي لا يغار على مثلك؟ فقال: لقد جاءك شيطانك!

ولم تنس قط أن تتحلى بما يروقه من مرآها. فكانت تلبس المعصفر والمضرج. وتتحرى ما يعجبه من الطيب والحلية، ودخلت عليه امرأة وهي معصفرة فسألتها عن الحناء، فقالت: شجرة طيبة وماء ظهور وسألتها عن الحفاف فقالت لها: «إن كان

لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتصنعهما أحسن مما هما فافعلي».

* * *

ومن الجائز - أو ربما كان الواقع - أن زميلاتنا أمهات المؤمنين كن يغرن على النبي مثل غيرتها، ويجهدن في رضائه مثل جهدها. ولكنهن - ولا ريب - لم يلغن شأوها في حبها إياه حين نفهم من الحب ذلك الاقتراب بين النفسين بالبداهة والشعور. وليس في أحاديثهن عنه مثل ما في أحاديثها عنه من ذلك الإحساس بالقرب، وذلك النفاذ إلى الطوية. وليست المسألة هنا مسألة الكثرة أو القلة في الأحاديث. فربما كان تحليل الكثرة في أحاديث عائشة عن النبي أنه كان عليه السلام أكثر تحدثاً إليها وارتياحاً إلى مجالستها ومسامرتها. ولكنها مسألة الرفق في الأداء والخبرة بالمعنى والقدرة على الاستيحاء والشعور الباطن بقلة حواجز بين النفسين واتصال الحس بينهما واللقانة.

ومن البديهي أنها لم تبلغ هذه المنزلة في حب النبي وفهمه طفرة واحدة ولا في سنة واحدة أو سنتين. بل لبثت السنوات الأولى من عشرتها له وهي تقترب من الأنس به إلى المعرفة بنفسه وعقله والترقي إلى عظمته ونبله.. حتى أدركت ما يتاح لها أن تدرك من تلك العظمة التي تعلو على هامتها وهامات الرجال من حولها، ولكنها هي - ببداهة المرأة وبداهة الحب الأنثوي - كانت تستقرب ما يبعد على غيرها، وتستعيض ما يفوتها من الفهم الواضح بما يفوتهم من اللقانة الباطنية والوعي المستتر في الإخلاص.

ومضت السنوات الأولى في عشرة النبي وهي تفقه من أحاديثه ما تيسر لها أن تفقه ولا تقرأ كثيراً من القرآن، أو كما قالت في حديث الإفك، كنت «جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن.. والتمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف فصير جميل والله المستعان على ما تصفون».

وقد أمهلها النبي في هذه السنوات رفقا بها وإعداداً لفهمها وعزمها، ولكنه لم يفتأ رويداً رويداً يشركها في العبء الذي ينبغي أن تنهض به زوجة النبي وأم المؤمنين وسفيرته الأولى إلى عالم النساء في عصره وفيما يليه من العصور.

فكانت تحضره إذا بايع النساء أو صلى بهن أو جلسن إليه يسألته في أمور الدين وآداب الزوجية، ويتفق كثيرًا أن يعرض عن الجواب حياءً، فيوكلها بالتفسير والإسهاب حيث يعز الفهم على سائلاته اللواتي يستقصين في السؤال.

سألته أسماء بنت شكل من نساء الأنصار: كيف تكون الطهارة من المحيض؟ فقال لها: «خذِي فرضة ممسكة فتوضئي ثلاثًا»، أو قال تطهري ثلاثًا... فقالت: وكيف أتطهر؟ قال: سبحان الله! تطهري بها، وأعرض بوجهه حياءً. فاجتذبتها السيدة عائشة وكفتها عن سؤاله.

وما زالت رضي الله عنها تعي من سنن النبي في المسائل النسائية وغير النسائية حتى احتاج الرجال أن يسألوها ويرجعوا إليها في كل ما تراجع فيه السنن النبوية من شؤون عامة وخاصة. ومن أعم المسائل التي روجعت فيها أن معاوية كتب إليها لتوصيه وترشده فأرسلت إليه تقول: سلام عليك - أما بعد، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ اللَّهِ يَسْحَطِ النَّاسُ كِفَاةَ اللَّهِ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاءَ النَّاسِ يَسْحَطِ اللَّهُ وَكَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ».

فلم يكن أعجب من سؤال معاوية في تعميمه إلا حسن الاختيار في هذا الجواب وهو ألزم ما يزود به الملوك من وصية وإرشاد.

وقد نهضت السيدة عائشة بأمانة التبليغ والتعليم أحسن نهوض وأوفاه. فما تورعت عن كتمان شيء من الأشياء التي تسأل عنها ولها اتصال بقواعد الدين وأصول التطهير وشروط العبادات ونواقض الصلاة والصيام. فأسلوبها في تبليغ هذه الأحكام هو أسلوب التعليم وأسلوب أم المؤمنين في خطاب بناتها وبنيتها من المسترشدين والمسترشدين. ولم يكن في مقدورها أن تتوخى أسلوبًا غير هذا الأسلوب، ولو عرضت لأخص الأمور التي تسكت عنها النساء، لأنها المرجع الذي لا يغني عنه مرجع في سنن النبي ومأثوراته وأعماله فمن الإخلال بالأمانة النبوية أن تسكت عن سنة مطلوبة يعرضها السكوت للضياع.

ولقد تكون هذه السيدة الفضلى التي أفصحت عن كل فتوى نسوية سئلت عنها وهي ما تأذن لعمها في الرضاع أن يراها إلا بعد مراجعة النبي عليه السلام. فأسلوبها

في تفصيل السنن النبوية والقواعد الشرعية إنما كان فريضة الأمانة وضريبة الوفاء. ولم يكن شيمة الطبع واللسان.

ودامت هذه الحياة الزوجية النادرة زهاء تسع سنين إلى أن توفي النبي عليه السلام.

ومن الحق أن توصف بأنها حياة زوجية سعيدة لأننا لا نعرف بين أزواج الهداة والعظماء من ظفرت بأسعد منها أو كانت أرضى من السيدة عائشة عن حياتها.

بعد النبي

عاشت السيدة عائشة بعد النبي ستاً وأربعين سنة، وتوفيت وهي في نحو السبعين من عمرها، سنة ثمان وخمسين للهجرة.

وقد توفي النبي عليه السلام في بيتها وفي يوم زيارتها، ودفن بالمكان الذي كان ينام فيه.

وقد علم كثير من الناس عند اشتداد المرض به أنه مرض الوفاة، ولكنه كان قد صبحا بعض الصبحو قبيل يوم وفاته حتى استأذنه أبو بكر في الخروج إلى بيته بالسبح، وتفرق المسلمون متفائلين وهم يرجون الخير ويعدون عن خواطرهم نذير الخوف. فلما قبض عليه السلام بعد ذلك روعت عائشة أيما روع، وتعاظمها الخطب أن تملك صبرها وهو يموت بين سحرها ونحرها، فنسيت لهول الساعة ما ينبغي لها أن تستقبل به هذا الوداع الذي لا يتكرر ولا تهونه سابقة وداع مثله: إنها أم المؤمنين التي لبثت السنين بعد السنين تلقنهم ما لقنها من سداد التجمل ووقار الحزن في الملمات... إذا هي تنسى كل ذلك ساعة فقدته، وإذا هي امرأة والهة بين النساء تلتدم وتضرب وجهها: قالت: «... وجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة» قلت: خيَّرت فاخترت، والذي بعثك بالحق. وقبض بين سحري ونحري ودولتي ولم أظلم أحداً. فمن سفيهي وحداثة سني أنه ﷺ قبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي».

ولم تشهد دفنه عليه السلام بعد وفاته بيومين، لأن المسلمين كان قد بلغ من تنافسهم في حبه أن يتولى كل فريق منهم مراسم دفنه على ما تعود في بلده وبين أهله، وكان أهل مكة يسوّون قاع القبر وأهل المدينة يقوّسونه. فبعث العباس بن عبد المطلب رجلين يدعو أحدهما أبا عبيدة بن الجراح، ويدعو الآخر أبا طلحة، وأولهما يضرح كأهل مكة، والآخر يضرح كأهل المدينة. فعاد صاحب أبي طلحة به، ولم يعد صاحب أبي عبيدة. فحفر اللحد على طريقة أهل المدينة، وتولى القائمون على الجثمان الكريم دفنه بعد انقطاع المودعين عند هزيع من الليل. قالت عائشة وفاطمة رضي الله عنهما: «ما علمنا بدفنه ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل».

وما برحت منذ تلك اللحظة تلازم البقعة الخالدة ولا تفارقها إلا للعمرة أو الحج أو لزيارة قريبة، وقلما كانت تزور.

واتخذت سكنها في الحجرة المجاورة لقبره، وهي لا تحسب أنها قد فارقت منه غير مشهد جثمانه. فقد كانت تزوره زيارة الأحياء. ودفن أبوها إلى جواره بعد سنوات، فكانت تزورهما كذلك زيارة الأحياء. فلما دفن معهما عمر جعلت بعدها تنتقب وتلبس ملابس الحجاب، وهي تزور أولئك الأصدقاء المتجاورين، كأنهم بقيد الحياة.

وكانت في أوائل العقد الثالث على أكبر تقدير عند وفاته عليه السلام، فعاشت في صحبته زهاء عشر سنين، وعاشت في ذكراه خمسين سنة، وحسبنا من شعور الناس بجلال تلك الذكرى في نفسها أن أحدا لم يخطر له خاطره عن السيدة عائشة تجيز التفكير في حياة زوجية أخرى، كأنه خاطر حرمة قداسة تلك الذكرى وهيبة ذلك الوفاء، فضلاً عن الحكم بتحريمه في سورة الأحزاب على سبيل التشريع.

ولم تكن حياة السيدة عائشة فارغة في خلال تلك السنين الطوال من لدن فارقتها زوجها العظيم، وهي تجاوز العشرين، إلى أن فارقت الدنيا وهي تقارب السبعين. لأنها في حدة نفسها، ورفعة مكانها، لا تقبل الفراغ. فما هو إلا أن هدأت ثائرة الفتنة بعد وفاة النبي عليه السلام، وتوفّر المسلمون على تحصيل مراجع الدين حتى

كانت هي المرجع الأول فيما حفظ عندها من آي القرآن وما حفظته من السنن والأحاديث، وحتى كان بيتها مثابة الزوار من أبنائها وبناتها، يدعونها يا أمه! ومنهم من هي في سن بناته الصغيرات، ويا له من دعاء محبب إلى الأسماع!

وكانت إذا فرغت من تلقين الأحاديث وجواب السائلين تأوي إلى الصلاة والتسبيح في جوار الضريح. أو تعمل في مهنة البيت ذلك العمل الذي كان النبي عليه السلام يسرها بمساعدتها فيه.

ومن أهم الأشياء التي ينبغي أن تلاحظ في حياة السيدة عائشة بعد النبي عليه السلام أنها قضت خلافة أبي بكر وعمر وهي لا تشعر بأن مكانها في عهد النبي قد تغير، أو بأن أمراً من أمور السياسة العامة يدعوها إلى التعرض له راضية أو ساخطة. حتى كانت خلافة عثمان فتغيرت هذه الحال، وكان لتغييرها دلالة كبيرة وأثر كبير. ففي عهد أبي بكر كانت أمور السياسة العامة تجري على أحكام الدين، وتركز منه ومن أصحابه إلى سند ركين، وكان الخليفة أباهاً وهو أول من يدعوها بأمر المؤمنين.

وفي عهد عمر كانت أمور السياسة العامة تضطرب أو تسكن، ولكنها في كلتا الحالتين لا تنشعب ولا تؤذن بالصداع. وكان عُمرُ أَهْيَبَ خليفة عرفه الإسلام، وأحب خليفة إلى عائشة رضي الله عنها. سرت صداقة الأبرين أبي بكر وعمر إلى بينهما، فكانت عائشة وحفصة أصدق صديقتين تتفقان وتتكاشقان كلما وقع الخصام في بيت النبي عليه السلام، وحفظت له أجمل الشكر لموقفه من حديث الإفك حين شاوره النبي فقال له: إن الله هو الذي زوجكها، وأنه سبحانه وتعالى لم يدلس بها عليك. وتم هذا الشكر حين ولي الخلافة فرعى لها المكانة الأولى بين المسلمين، وخص بيت النبي بالحصة العليا من الحفاوة والعطاء.

فمضى العهدان - عهد أبي بكر وعمر - وليس في الحياة الخاصة ولا في الحياة العامة ما يشعرها بتغيير أو ينزع بها إلى نوازع السياسة، وما تعرض منها أو جنح إلى التحزيب والتأليب.

ثم تغيرت الأمور في عهد عثمان.

ولولا هذا التغيير لما عرف للسيدة عائشة نصيب من السياسة العامة بعد موت النبي، وهو الموقف الذي تحوّلت بها الأحوال إليه بعد اجتناب السياسة العامة قرابة عشرين سنة، على غير سابقة له في سيرتها الأولى.

مشك...

الختم...؟

ومن كتاب «عائشة - مُعلِّمة الرجال والأجيال» لمؤلفه محمد علي قطب...
نختار هذه السطور...

يا حُمَيِّراء؟

وفي سنن النسائي حديثان يدلان على أن رسول الله ﷺ كان يناديها بيا «حُمَيِّراء»... والحمراء في لغة أهل الحجاز هي البيضاء الشقراء... وهذا نادر فيهم.

خُطِبْتَ في سن التاسعة؟

ويحدثنا المؤرخون أنها - رضي الله عنها - كان في طفولتها كثيرة اللعب دائبة الحركة... وقد بلغت سن التاسعة - حين خطبها رسول الله ﷺ ولها أتراب وصواحب تلعب معهن، كما أن لها أرجوحة تلعب عليها.

مهبط الوحي؟

ثم أسكنها ﷺ حُجرة ملاصقة لمسجده الشريف، لها مصراع واحد من «عُزْعَر» - أو ساج.
وعُرفت هذه الحجرة بـ «مهبط الوحي» لكثرة الوحي الذي نزل على النبي ﷺ فيها.

أَوَّلُ حُبِّ كان في الإسلام؟

وقال أنس بن مالك:

أَوَّلُ حُبِّ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لـ «عائشة» - رضي الله عنها.
كما عَرَفَ لَهَا هَذِهِ الْمَكَانَةَ مِنْ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ، فَكَانَ
مَشْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْهَا قَالَ: (حَدَّثَنِي الصُّدِيقَةُ بِنْتُ الصُّدِّيقِ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ،
الْمُبَرَّاةُ مِنَ السَّمَاءِ).

السَّيِّدَةُ «عَائِشَةُ»... وَالْمَرْأَةُ؟!

كَانَ لِلْسَّيِّدَةِ «عَائِشَةَ» - رضي الله عنها - دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي نُصْرَةِ حَقُوقِ الْمَرْأَةِ،
وَدِفَاعِهَا عَنْ إِنْسَانِيَّتِهَا، حَتَّى غَدَتْ زَعِيمَةَ الْآخِذِينَ بِنَاصِرِ الْمَرْأَةِ وَالْمُدَافِعِينَ عَنْهَا،
وَالِئِهَا وَخِذَهَا تَطَلَّعَتْ أَبْصَارُ الْمُسْتَظْهِعَاتِ وَالْمُسْتَظْهِدَاتِ لَمَّا لَهَا مِنْ مَكَانَةٍ كَثُرَى
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...

وَكَمْ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي مُحْجَرَتِهَا بِسَبَبِ شَكَايَاتِهَا وَقَضَايَاهُ ١١.
قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :-

[كَانَ النَّاسُ... وَالرَّجُلُ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ مَا شَاءَ أَنْ يُطَلِّقَهَا، وَهِيَ امْرَأَتُهُ إِذَا
أَرْتَجَعَهَا وَهِيَ فِي الْعِدَّةِ، وَإِنْ طَلَّقَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ، حَتَّى قَالَ رَجُلٌ لَامِرَأَتِهِ: وَاللَّهِ لَا
أُطَلِّقُكَ لَتَبِينِ مَتًى، وَلَا آوِيكَ أَبَدًا، قَالَتْ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُطَلِّقُكَ فَكُلَّمَا
هَمَمْتُ عِدَّتِكَ أَنْ تُنْقِضِي رَاجِعْتُكَ، فَذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى «عَائِشَةَ»
فَأَخْبَرْتُهَا، فَسَكَتَتْ «عَائِشَةُ» حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ
ﷺ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

قَالَتْ «عَائِشَةُ»:

- فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ الطَّلَاقَ مُسْتَقْبَلًا، مَنْ كَانَ طَلَّقَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ طَلَّقَ.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَيْضًا قَوْلُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

- تَبَارَكَ الَّذِي وَسَّعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ...، إِنِّي لَا أَسْمَعُ كَلَامَ «خَوْلَةَ بِنْتِ
ثَغْلَبَةَ»، وَيَخْفَى عَلَيَّ بِغَضَّةٍ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ
تَقُولُ:

يا رسول الله... أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وآنقَطَعَ ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك.

فما برحت حتى نزل «جبرائيل» بهذه الآيات:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.

وهذه زوجة «ثابت بن قيس» ضربها زوجها فكسرت بفضها، فأثت رسول الله ﷺ وهو في حجرة السيدة «عائشة»، فأشكته إليه، فدعا النبي ﷺ «ثابتًا» فقال:

— «خُذْ بَعْضَ مَا لَهَا وَفَارِقْهَا»...

وهذه فتاة تدخل أيضًا على السيدة «عائشة» قائلة:

إن أبي زوجني من ابن أخيه ليزق بي خسيسته، وأنا كارهة، فقالت لها «عائشة»:

— اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ...

فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت:

— يا رسول الله، قد أجرت ما صنع أبي، ولكن أزدت أن أعلم، اللئساء من الأمر شيء؟

وظلت السيدة «عائشة» - رضي الله عنها - بعد وفاة النبي ﷺ زعيمة المدافعين عن المرأة، تُنكر على كل من يتكلم بشيء ينال من كرامة المرأة، وتغضب منه.

[دخل عليها رجلان فقالا: إن «أبا هُرَيْرَةَ» يحدث أن النبي ﷺ كان يقول:

[لَمَّا الطَّيْرَةُ فِي الْمَرْأَةِ، وَالِدَابَّةُ، وَالذَّار]

فطارت شقة منها في السماء، وشقة منها في الأرض، وقالت:

— والذي أنزل القرآن على «أبي القاسم» ما هكذا كان يقول، ولكن كان نبي الله ﷺ يقول:

- [كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: الطَّيْرَةُ فِي الْمَرَأَةِ وَالِدَابَّةُ وَالذَّارُ].
ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

وكما كانت - رضي الله عنها - شديدة الدفاع عن المرأة، كانت في
نفس الوقت شديدة الإنكار على اللواتي يخالفن بعض أحكام الشريعة، فقد
واجهت نساء «حِمْص» عندما دَخَلْنَ عليها قاتلة:

- [لَعَلَّكُنَّ مِنَ اللَّوَاتِي يَدْخُلْنَ الْحَقَامَاتِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
[أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا
وَبَيْنَ اللَّهِ].

وحينما رَأَتْ تَغْيُرًا فِي مَلَابِسِ بَعْضِ النِّسَاءِ، بَعْدَ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنْكَرَتْ ذَلِكَ
وَقَالَتْ:

- [لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى مَا أَخَذَتْ النِّسَاءُ لَمَتَّعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا
مَنَعَتْ نِسَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ].

ولقد كانت - رضي الله عنها - شديدة الحرص على أن تكون ثياب
المرأة ساترة لها عن الرجال الأجانب، فإذا ما رَأَتْ عَلَى إِخْدَاهُنَّ ثَوْبًا رَقِيقًا
زَجَرَتْهَا، وَبَادَرَتْ إِلَى تَمْزِيقِهِ،

كما فَعَلَتْ مَعَ «حَفْصَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»...

أَخْرَجَ «ابْنُ سَعْدٍ» فِي طَبَقَاتِهِ:

- [أَنَّ «حَفْصَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» دَخَلَتْ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى «حَفْصَةَ»
خِمَارَ رَقِيقٍ، فَشَقَّقَتْهُ «عَائِشَةُ» عَلَيْهَا، وَكَسَتْهَا خِمَارًا كَثِيفًا].

وَرَوَى عَنْهَا:

- [يَرْحَمُ اللَّهُ النِّسَاءَ الْمَهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ، لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ أَكْثَفَ مُرُوطِهِنَّ فَأَخْتَمَزْنَ بِهَا].

وكانت تقول:

- [لَمَّا الْخِمَارُ مَا وَارَى الشَّعْرَ وَالْبَشَرَ].

مناقبتها

زُهدُها:

وصف «أبو نعيم» في «الخليّة» السيّدة «عائشة» - رضي الله عنها - فقال:
- (كانت للدنيا قالية، وعن سرورها لاهية، وعلى فقد أليفها باكية).
ولقد أَحَبَّت وعشقت الحياة التي عاشتها مع رسول الله ﷺ، على أسمى ما
يكونُ من الزُّهد، وعلى أشد ما يكون الشُّطْف، وأطاعت بكل أمانةٍ وصِدْقٍ وصِيّة
رسول الله ﷺ:

- [إذا أَرَدْتَ اللّهُوَ بي فيكفيك من الدُّنيا كزادِ الراكب، وإياك ومجالسة
الأغنياء، ولا تَسْتَخْلِقِ ثَوْبًا حتى ترقعِهِ].

قال «عروة بن الزبير»:

- فما كَانَتْ «عائشة» تَسْتَجِدُّ ثَوْبًا حتى تَرَقَعَ ثوبها وتُنْكسه.

عبادتها:

ولقد تأثرت السيّدة - رضي الله عنها - بعبادة النبي ﷺ، ومنهجها فيها، إذ كانت
ألصق الناس برسول الله ﷺ، وأكثرهم اطلاعاً على عبادته، وقد نقلت أحاديث كثيرة
رويت عنها ضُورة كاملةً لمنهجيتها - عليه السلام - في خصوصيّة عبادته.

وأبرز سمةً في تلك العبادة هي المداومة دون انقطاع، سُئِلَتْ - رضي الله عنها -
عن عبادته «عليه الصلاة والسلام» فقالت:

- [كان عَمَلُهُ دِيْمَةً، وَأَيْكُمْ يَسْتَطِيعُ ما كان رسول الله ﷺ يستطيع،
وكان آل محمد - ﷺ - إذا عَمَلُوا عَمَلًا أَتَبَّهُوا].

وكانت صلاة اللّيل أحبّ النوافل إلى السيّدة «عائشة» - رضي الله عنها -،
وكانت لا تَدَعُها وتَنصَحُ بالمداومة عليها.

أَخْرَجَ الإمام «أحمد» عن «عبدالله بن قيس» قال:

- [قالت لي «عائشة»: لا تَدَعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان لا
يَدَعُهُ، وكان إذا مَرَضَ أَوْ كَسِلَ صَلَّى قَاعِدًا].

وكانت تُطيل الصلاة...

فقد أخرج «أحمد» - أيضًا - عن «عبدالله بن أبي موسى» فقال:
- [أرسلني «مدرّك» - أو ابن مدرّك - إلى «عائشة» أسألها عن أشياء.
قال: فأتيتها، فإذا هي تُصَلِّي الضُّحَى، فَقُلْتُ: أَقْعُد حَتَّى تَفْرَغَ، فقالوا:
هَيْهَاتَ!!].

وكانت كثيرة الدُّعاء والتضرُّع في صلاة النافلة، خاصّة إذا مَرَّتْ بِآيَةِ وَعِيدٍ؛
كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لِّلّٰهِ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾.

فقد سَمِعْتُ تَكَرَّرَ وَتَبَكَى بَعْدَ قَرَأَتِهَا لَهَا:

- [مَنْ عَلَيَّ وَفِينِي عَذَابَ السَّمُومِ].

وكانت تَشْرُدُ الصُّومَ،

أخرج «ابن سعد» عن «القاسم»: [أنها كانت تَصُومُ الذَّهْرَ، وَتَحْمِلُ الصُّومَ فِي
أَيَّامِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ مَهْمَا بَلَغَ مِنْهَا الْجُهدُ وَالتَّعَبُ].

وأخرج «أحمد» في مُسْنَدِهِ: [أن «عبد الرحمن بن أبي بكر» دَخَلَ عَلَى
«عائشة» يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَالْمَاءُ يُرَشُّ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا «عبد الرحمن»:
أَفْطِرِي، فَقَالَتْ: أَفْطِرُ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
- إِنْ صَوْمَ يَوْمَ عَرَفَةَ يُكَفِّرَ الْعَامَ الَّذِي قَبْلَهُ].

وسألت السيِّدة «عائشة» - رضي الله عنها - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

- [تَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ... أَفَلَا تُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَفْضَلُ الْجِهَادِ
حُجٌّ مَبْرُورٌ].

وعليه، فإن السيِّدة - رضي الله عنها - قد حَجَّتْ واعتَمَرَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، فِي
حَيَاتِهِ ﷺ - مَعَهُ -، وَبَعْدَ لِحُوقِهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى.

تَصَدَّقْهَا:

لقد قيل: (إِنَّ الزُّهْدَ يَشْتَدُّ عِنْدَ مَنْ خُلِيَ الْقَلْبُ بِمَا خَلَتْ مِنْهُ الْيَدُ).
و«عائشة» - رضي الله عنها - كانت خَالِيَةَ الْقَلْبِ عَمَّا فِي يَدِهَا، فَضَلًّا عَمَّا
خَلَتْ مِنْهُ يَدِهَا، وَقَدْ بَلَغَتْ بِهَذَا أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ.

ولم يكن ليشتقِر في يدها درهم ولا دينار!!!
أهدى لها «معاوية» ثياباً وورقاً وأشياء تُوضَع في اسطوانها، فلما خرجت «عائشة»
نظرت إليه فبكّت، ثم قالت:

- [لكنّ رسول الله ﷺ لم يكن يجد هذا!!].
ثم فرّقته ولم يبق منه شيء.

وكثيراً ما رُئيت - رضي الله عنها - تزقّع ثوبها،
قال «عروة»:

- [لقد رأيت «عائشة» - رضي الله عنها - تقسم سبعين ألفاً، وإنّها لتزقّع
جَنِبَ دِرْعِها، فإذا قيل لها: أليس قد أوسع الله عليك؟! قالت: إنّه لا جديد
لِمَنْ لا خَلْقَ له].

وكانت - رضي الله عنها - تتصدّق بالمال وهي صائمة وتنسى نفسها،
ولا تُمسك شيئاً لإفطارها...
قال «عروة»:

- [بَعَثَ «معاوية» إلى «عائشة» - رضي الله عنها - بمائة ألف، فوالله ما
غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فرّقتها، قالت مؤلاًة لها: لو اشتريت لنا من
هذه الدراهم بديزهم لخمّاً، فقالت: لو قلّت قَبْلَ أَنْ أَفَرِّقَها لَفَعَلْتُ].
شِدَّةَ وَرَعِها:

ما من شك في أن السيّدة «عائشة» - رضي الله عنها - بما هيأ الله لها من البيعة
الصالحة والنشأة الطيبة، كانت على مقام رفيع في المعرفة والخشية والوَرَع.
ولقد اتّصفت - رضي الله عنها - بِصِفَةِ الوَرَع في جميع مراحل حياتها، وها
هي في حياة النبي ﷺ تُمنع عنّها من الرضاعة من الدُّخول عليها حتى يأتي النبي
ﷺ، فيقول لها:

- [فَلْيَلِجْ عَلَيْكَ عَمُوك]

ومع ذلك تستفسر قائلة: إِنَّمَا أَرْضَعْتَنِي الْمَرْأَةَ وَلَمْ يُرَضِّعْنِي الرَّجُلُ!!! فيعود
رسول الله ﷺ ليؤكد لها:

- [إِنَّهُ عَمَّكَ فَلْيَلِجْ عَلَيْكَ].
ولما [طلب منها النبي ﷺ] أن تمتد يدها من حُجْرَتِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ
لِتَأْكُلَ الْخُمْرَةَ، قَالَتْ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ ﷺ:
- [إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ].
ومن صُورَ وَرَعَهَا - رضي الله عنها - أَنَّهَا مَنَعَتْ إِدْخَالَ جَارِيَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَيْهَا
قَائِلَةً:
- [لَا تُدْخِلْنِي عَلَى إِلَّا أَنْ تَقْطَعُوا جُلُجْلَهَا (أَجْرَاسَهَا)، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ:
- (لَا تُدْخِلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ)].
ومن وَرَعَهَا - أَيْضًا - أَنَّهَا مَا كَانَتْ تَنْسَى أَنْ تُوصِي النِّسَاءَ قَائِلَةً:
- [مُرُونِ أَزْوَاجَكُمْ أَنْ يَسْتَطِيعُوا بِالْمَاءِ فَلِإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ].
وَرَأَتْ أَحَاَهَا «عَبْدَ الرَّحْمَنِ» يَتَوَضَّأُ، فَكَأَنَّهُ أَشْرَعَ لِيُذْرِكَ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ عَلَى «سَعْدِ
ابْنِ أَبِي وَقَاصٍ» - رضي الله عنه -، فَقَالَتْ لَهُ:
- يَا «عَبْدَ الرَّحْمَنِ» أَشْبَغَ الْوَضُوءَ، فَلِإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
- [وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ].
ومن أَتْرَزَ صُورَ وَرَعَهَا - رضي الله عنها - مَا رَوَّثَهُ عَنْ نَفْسِهَا بِقَوْلِهَا:
- [كُنْتُ أَدْخُلُ الْبَيْتَ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبِي - رضي الله
عنه - وَاضِعَةً ثَوْبِي، وَأَقُولُ، إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ «عُمَرُ» - رضي
الله عنه -، وَاللَّهُ مَا دَخَلْتُ إِلَّا مَشْدُودَةً عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ «عُمَرُ» - رضي
الله عنه -].

مُعَلِّمَةُ الرِّجَالِ وَالْأَجْيَالِ!!!

عَلَّمُهَا:

قال «الحاكم» في «المستدرک»: إن رُبَّ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ نُقِلَتْ عَنْهَا.

وليس في هذا القول، أو هذه الشهادة، أية مبالغة، على الرغم من اتساع الحكم وشموله.

فقد كان العلم من أبرز صفات السيدة «عائشة» - رضي الله عنها - إذ بلغ علمها ذروة الإحاطة والتضج في مختلف ما اتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه.

وكان أكابر الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا أشكل عليهم الأمر في قضية من القضايا يشتفتونها فيجدون علمه عندها، قال «أبو موسى الأشعري»: - (ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً).

وقال «مشروق بن الأنجدع»:

- (رأيت مَشِيخة أصحاب «محمد» - ﷺ - يسألونها عن الفرائض).
وحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور، يكتبون إلى أصحاب رسول الله ﷺ في الحجاز، ويسألونهم عن حكم الله فيه، فكان هؤلاء إذ فاتهم علم شيء، رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه مثل «عبدالله بن عمر» و«أبي هريرة» و«ابن عباس»، وكان مقام السيدة «عائشة» بين هؤلاء مقام الأستاذ من تلاميذه، فكان «عمر بن الخطاب» يحيل عليها كل ما يتعلق بأحكام النساء، أو بأحوال النبي ﷺ البيئية، لا يضارعهما في هذا الاختصاص أحد على الإطلاق.
قال «الزهري»:

- (لو جمع علم «عائشة» إلى علم جميع النساء لكان علم «عائشة» أفضل).
وقد يصل أحياناً إلى سَمْع «عائشة» عن بعض علماء الصحابة روايات وأحكام على غير وجهها، فتصحح لهم ما أخطأوا فيه، أو تبين لهم ما خفي عليهم، حتى اشتهر ذلك عنها، فصار من شك في رواية أتى «عائشة» سائلاً، وإذا كان بعيداً كتب إليها يسألها.

أخرج «البيهقي» عن «الزهري» أنه قال:

- [أول من كشف الغمى عن الناس وبين لهم السنة في ذلك «عائشة» -

رضي الله عنها -].

ومن ذلك، رجوع «أبي هريرة» عما كان يرويه عن «الفضل بن عباس»: أن من أذركه الفجر وهو جنب فلا يصم؛ فلما سئلت «عائشة» و«أم سلمة» قالت: - [كان النبي ﷺ يصبغ جنباً من غير حلم ثم يصوم] ولما أخبر «أبو هريرة» قال: هما أعلم، ثم رد ما كان يقول في ذلك.

ولقد ألف الإمام «بدر الدين الزركشي» كتاباً ذكر فيه كُـلَّ المسائل التي قيل إن «عائشة» - رضي الله عنها - استدركتها على الصحابة، وسماه:

(الإجابة لإيراد ما استدركته «عائشة» على الصحابة).

كما كتب العلامة «جلال الدين السيوطي» كتاباً آخر في نفس الموضوع وسماه: (عين الإصابة في استدراك «عائشة» على الصحابة).

وهو مختصر لـ (الإجابة) وتضويب ليغض ما ورد فيه.

مُعَلِّمَةُ الْعُلَمَاء

انتشر علم السيدة «عائشة» - رضي الله عنها - في الأمصار والأقطار، وتناقله الناس في كل مكان، فَيَمَّتْهَا طُلابُ العِلْمِ والمعرفة وأتَّجَهِوا قِبَلَ الحُجْرَةِ المباركة التي أَضْهِتْ أَوَّلَ مدارس الإسلام - بَعْدَ مَسْجِدِهِ «عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» في عَهْدِهِ - وأعظمها أثراً في تاريخ الفكر الإسلامي، ولقد تَخَرَّجَ من هذه المدرسة (الجامعة) كبار علماء التابعين وساداتهم، فكانت «عائشة» - رضي الله عنها - بحق: [مُعَلِّمَةُ العلماء ومؤدبة الأدباء].

وكانت السيدة - رضي الله عنها - تَحْتَجِبُ عن تلاميذها غير المحارم، ورؤُما نَكَّهَتْهُم بِتَصْفِيْقِهَا من وراء الحجاب.

قال «مسروق»: (سَمِعْتُ تَصْفِيْقَهَا بِيَدَيْهَا من وراء الحجاب)

ولقد أثبتت في التعليم والتلقين الأساليب والطرق التربوية الرفيعة، مُقْتَدِيَةً برَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

أَوَّلُ تلك المبادئ هي التَأَنِّي في الكلام، لِيَتِمَّكَنَ المستمع من الاستيعاب، ولقد

كَانَتْ تُثَكِّرُ عَلَى مَنْ تَسْمَعُهُ يُسْرِعَ فِي كَلَامِهِ.

قال «عزوة»: قالت «عائشة»:

- [ألا يُعجبك أبو فلان (تعني أبا هريرة) جاء فجلس إلى جانب حُجْرَتِي يحدث عن رسول الله ﷺ، يسمعي ذلك، وكُنْتُ أُسَبِّحُ (أُصَلِّي) فقام قبل أن أقضي سبحتي، لو أذركه لرددت عليه، إن رسول الله ﷺ لم يكن يشرح الحديث كسرديكم].

وكانت - رضي الله عنها - تلجأ إلى الأسلوب العلمي التطبيقي، فكثيراً ما كانت تعلم تلاميذها وتلميذاتها الأحكام الشرعية العملية فتؤديها بنفسها أمامهم.

من ذلك عليهما «سالم سيلان» كيفية الوضوء، قال في وصف ذلك:

- [أرثني «عائشة» كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ، فتَمَضَّمَتْ وَأَسْتَنْثَرَتْ ثَلَاثًا، وَغَسَلَتْ وَجْهَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَتْ يَدَهَا الْيُمْنَى ثَلَاثًا وَالْيُسْرَى ثَلَاثًا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا فِي مَقْدَمِ رَأْسِهَا ثُمَّ مَسَحَتْ مَسْحَةً وَاحِدَةً إِلَى مُؤَخَّرِهِ، ثُمَّ أَمَرَتْ يَدَيْهَا بِأُذُنَيْهَا، ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى الْخَدَيْنِ،

قال «سالم»:

- كُنْتُ آتِيهَا مُكَاتِبًا مَا تَخْتَفِي مِنِّي، فَتَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيَّ وَتَتَحَدَّثُ مَعِي، حَتَّى جِئْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقُلْتُ: ادْعِي لِي بِالْبُرْكَهْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: أَعْتَقَنِي اللَّهُ، قَالَتْ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَأَزْخَتِ الْحِجَابَ دُونِي، فَلَمْ أَرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ].

ولم تكن - رضي الله عنها - لتخرج في إجابة السائلين المستفتين عن أي مسألة من مسائل الدين، حتى ولو كانت تتصل بشؤون الإنسان الخاصة، تقديرًا منها لمسؤوليتها عن بيان مثل هذه الأحكام التي لم يطلع عليها أحد سوى نساء النبي ﷺ.

وكانت - أحيانًا - تشجع المستفتين الذين يشتغيون من السؤال عن مثل هذه الأمور والقضايا...

قال «عبد الله بن شهاب الخولاني»:

- [كُنْتُ نَازِلًا عَلَى «عَائِشَةَ» فَأَحْتَلَمْتُ فِي ثَوْبِي، فَغَمَسْتُهُمَا فِي الْمَاءِ، فَرَأَيْتِي جَارِيَةً لِـ «عَائِشَةَ» فَأَخْبَرْتُهَا، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ «عَائِشَةَ» فَقَالَتْ:
- مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ بِثَوْبَيْكَ؟ قُلْتُ: رَأَيْتُ مَا يَرَى النَّائِمُ فِي مَنْامِهِ،
قَالَتْ: هَلْ رَأَيْتَ فِيهِمَا شَيْئًا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: فَلَوْ رَأَيْتَ شَيْئًا غَسَلْتَهُ، لَقَدْ
رَأَيْتَنِي وَإِنِّي لَأُحْكُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَابَسًا يَظْفُرِي].

المفسرة

لقد تهيأ للسيدة «عائشة» - رضي الله عنها - من الأسباب ما جعلها علماً شامخاً من أعلام التفسير، فمنذ طفولتها المبكرة، ونعومة أظافرها كانت تسمع تلاوة أبيها «الضديق» - رضي الله عنه - للقرآن الكريم، وكانت تلاوته مؤثرة، يكي إذا قرأ ويكي سامعه أيضاً، ولقد ضاق به القرشيون ذرعاً، فلقي منهم أذى كبيراً وكثيراً في هذا السبيل.

قالت - رضي الله عنها -:

- [لقد نزل بمكة علي «محمد» - ﷺ -، وإني لجارية ألعب -: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمُ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرٌ﴾؛ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده].

ثم انتقلت إلى بيت النبوة،

وفيه شهدت كثيراً من أسباب نزول الوحي، ولقد سميت لحجرتها: (مهبط الوحي).

لذلك وصفت أخواله «ﷺ» حين نزول الوحي عليه:

- [ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البُزْد فيفصم عنه، وإن جبينه ليَتَقَصَّدُ عَرَقًا].

وكثيراً ما كانت تسأل رسول الله ﷺ عن معاني الآيات والمراد منها، فكان عليه الصلاة والسلام يبين لها ذلك؛ وبهذا تلقت التفسير من فم النبي ﷺ.
قالت - رضي الله عنها -:

- [سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَلَهُمَّ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ
وَيَسْرِقُونَ؟

قال: لا يا «بِنت الصَّدِيقِ» ولكنهم الذين يصومون وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ،
وهم يخافون أن لا يُقبل منهم ﴿أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا
سَابِقُونَ﴾].
وقالت أيضًا:

- [سألت رسول الله ﷺ عن قوله - عَزَّ وَجَلَّ -:
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ فَايْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ
يا رسول الله؟ فقال: على الصراط].
أضيف إلى ما تقدم قوتها في اللغة، وفصاحتها وبيانها وبلاغتها، كمادة أساسية
للتفسير.

وكانت تحرص على أن يكون التفسير منسجمًا مع أصول الإسلام في كلياته
وعقائده.

قال «عروة بن الزبير» يسأل «عائشة» عن قول الله تعالى:
﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا...﴾
قُلْتُ: أَكُذِّبُوا أَمْ كُذِّبُوا؟ قالت «عائشة»: كُذِّبُوا...، قُلْتُ: فَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَن
قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ، قالت: أَجَلْ، لَعَنَ رَبِّي لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ، فَقُلْتُ
لَهَا: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا؟ قالت: معاذ الله لم تكن الرُّسُلُ تظن ذلك برَبِّهَا،
قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ الْآيَةُ؟ قالت: هُمُ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ،
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النِّصْرَ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْ
كَذِبِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ
عِنْدَ ذَلِكَ].

كما كانت تحرص - رضي الله عنها - على إظهار اتفاق آيات القرآن فيما بينها
في تساوقي وأنسجام، إذ تردُّ الآيات إلى آيات أخرى، وتُفسَّر القرآن بالقرآن.

سألها «عروة» - رضي الله عنه - عن قول الله تعالى:
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا
ثَلَاثَ وَرُبَاعٍ﴾.

فقلت:

- يابن أخوتي، هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه
مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها فيعطيهامثل
ما يعطيها غيره، فتُهو أن ينكحوهن إلا أن يُقسطوا لهنَّ وَيَتْلَوْا بهنَّ أعلى
شئتهنَّ (عادتهن في المهور)، وأمرُوا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء
سواهنَّ.

ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآيات فيهنَّ، وأنزل الله عزَّ
وَجَلَّ:

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ
فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ...﴾.
قالت: والذي ذكره الله تعالى أنه يُثلى عليكم في الكتاب، الآية الأولى التي قال
الله فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ﴾، قالت «عائشة»: وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وتَرْغَبُونَ أَنْ
تَنْكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن اليتيمة التي تكون في حجره حين تكون قليلة
المال والجمال، فتُهو أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا
بالقسط من أجل رغبتهنَّ عنهنَّ].

المحدثة

هذه الصفة العلمية هي أبرز صفات السيدة «عائشة» - رضي الله عنها -، وهي
تعدُّ من كبار حفاظ السنة من الصحابة، ولقد اعتبرها المحققون في المرتبة الخامسة
في حفظ الحديث وروايته بقدر «أبي هريرة» و«ابن عمر» و«أنس بن مالك» و«أبْنِ
عباس» - رضي الله عنهم -.

لكن السيدة «عائشة» تمتاز عنهم بأن معظم الأحاديث التي روّتها، قد تلقّتها مباشرة من النبي ﷺ، أو غيرها فقد روى بعضهم عن بعض، وقل أن روت السيدة عن غير رسول الله ﷺ، فهي تعد بحق أكثر الصحابة تلقياً عن النبي ﷺ...، وبهذا انفردت برواية أحاديث لم يزوها غيرها.

هذه الميزة تُبين لنا فضلها في نقل السنة النبوية ونشرها بين الناس، سابقاً ولاحقاً، ولولاها - رضي الله عنها - لضاع قسم كبير من سنة النبي ﷺ، خصوصاً سنته الفعلية في بيته ﷺ.

ولقد كانت حُجرتها التي تضم قبره الشريف - عليه الصلاة والسلام - مدرسة الحديث الأولى، يقصدها طلاب العلم من كل مكان، ولا تضيّن على أحدٍ بالرواية والضبط والتوجيه.

وكانت - رضي الله عنها - ترى وجوب المحافظة على ألفاظ الحديث، ولا تُجيز روايته بالمعنى، سواء منها أو من غيرها، وتتحري الدقة في ذلك. وعرف لحفاظ السنة من الصحابة حرص السيدة على ضبط ألفاظ الحديث، لذلك كان بعضهم يأتي إليها ويُسَمِعُها بعض الأحاديث ليؤكد لها قوة ضبطه وحفظه.

[ولقد كان «أبو هريرة» - رضي الله عنه -، وهو من هو أكثر حفظاً للسنة، يأتي إلى مكان قريب من حُجرتها فيحدث ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة].

وكان الحُفاظ الرواة إذا اختلفوا في شيء اختلفوا إليها، وأخذوا رأيها، [قيل لـ «ابن عمر: إن «أبا هريرة» يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من تبع الجنابة فله قيراط من الأجر). فقال «ابن عمر»: أكثر علينا «أبو هريرة».

فبعث إلى «عائشة» فسألها فصَدَّقَتْ «أبا هريرة»؛ فقال «ابن عمر»: لقد قرأنا في قرارات كثيرة].

والشواهد على ذلك كثيرة وعديدة.

الفقيه... المجتهد

تُعَدُّ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، السَّيِّدَةُ «عائشة» - رضي الله عنها - من كبار علماء الصحابة المتفقيين المفتين، ولقد ذكرنا آنفاً أن كبار الصحابة وشيوخهم كانوا يسألونها فتجيبهم ويستفتونها فتفتيهم.

ولقد ذكر «القاسم بن محمد بن أبي بكر» - ابن أخيها وأحد تلامذتها الثَّجَاء أنها استقلتْ بالفتوى زمن «أبي بكر» و«عمر» و«عثمان» - رضي الله عنهم - إلى أن توفيت - رحمها الله -.

لم تكتف - رضي الله عنها - بما عَرَفَتْ عن النبي ﷺ وأحواله، بل اجتهدت في استنباط الأحكام للوقائع المستجدة، التي لم تجد لها حكماً في كتاب الله تعالى وشئته نبيه - عليه السلام -.

قال «أبو سلمة بن عبد الرحمن»:

- [ما رأيْتُ أحداً أعلمَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَفْقَهَ فِي رَأْيِ إِنْ أَحْتِجَ إِلَيْهِ، وَلَا أَعْلَمَ بِآيَةٍ لَيْمَ نَزَلَتْ، وَلَا فَرِيضَةٍ، مِنْ «عائشة».

ولم تكن - رضي الله عنها - رغم فقهها واجتهادها، لتسبق الأحداث، أو تفتريضاها، بل لا تُعْطِي رَأْيَا أَوْ حُكْمًا إِلَّا فِيمَا هُوَ وَاقِعٌ.

[دَخَلَ عَلَيْهَا «سعد بن هشام» فقال:

إني أريد أن أسألك عن التَّبَلِّ، فما تَرين؟

قالت: فلا تفعل!! أما سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ فلا تَبَلَّلْ.

وقال «ابن أبي مليكة»:

[كانت «عائشة» إذا سُئِلَتْ عن الْمُثْعَةِ قالت:

يَنْبِي وَيَنْبِيهِمْ كِتَابُ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ].

أَدَبُ السَّيِّدَةِ «عَائِشَةَ»

قال «معاوية بن أبي سفيان»:

- [وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَتْلَغَ مِنْ «عَائِشَةَ»، لَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ]

وقال «الأحنف بن قيس»:

- [سَمِعْتُ خُطْبَةَ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» وَ«عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» وَ«عُثْمَانَ بْنَ

عُفَّانَ» وَ«عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالْخُلَفَاءَ هَلُمَّ جَزَاءً، إِلَى

يَوْمِي هَذَا، فَمَا سَمِعْتُ الْكَلَامَ مِنْ فِيمَ مَخْلُوقٍ أَفْخَمَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ فِي فِي

«عَائِشَةَ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -].

وقال «موسى بن طلحة»:

- [مَا زَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ «عَائِشَةَ»].

وكان «الشَّعْبِيُّ» يَذْكُرُهَا، فَيَتَعَجَّبُ مِنْ فِقْههَا وَعِلْمِهَا، ثُمَّ يَقُولُ:

- مَا ظَنُّكُمْ بِأَدَبِ النَّبِيِّ ﷺ !!!

تم

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

الفهرس

٧	مقدمة
٩	هذه... أم المؤمنين... عائشة... رضي الله عنها؟
	فضائل أم المؤمنين... عائشة رضي الله عنها... من صحيح
١٧	الإمام مسلم؟
	فضل عائشة... رضي الله تعالى عنها... من صحيح...
٣٠	الإمام البخاري؟
٣٨	الخطوط العريضة... من حياة أم المؤمنين... عائشة؟
٤١	تزوج النبي... ﷺ... عائشة... رضي الله عنها؟
٤٩	يا لساء النبي... لَسْتُ كَأَحَدٍ... مِّنَ النِّسَاءِ؟
٦١	وأزواجه... أمهاتهم؟
	ماذا قالت... أم المؤمنين عائشة... عندما خيرها...
٦٦	رسول الله... ﷺ...؟
	﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ... وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ...
٧٧	مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾؟
٨٢	عائشة... وحديث... الإفك؟
٩٢	رواية... الإمام البخاري... في حديث الإفك؟
١١٢	الآيات... التي نزلت... في براءة... عائشة؟
١٢٥	مع... الرفيق... الأعلى؟
١٣٩	عندما قال ﷺ... «بل أنا والله... يا عائشة... وأرأساه»؟

عائشة تقول... «قَبَضَهُ اللَّهُ... بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي...

- وَدُفِنَ فِي بَيْتِي ١٩..... ١٤٤
- عائشة... في خلافة أبيها... أبي بكر الصديق ١٩..... ١٥٤
- عائشة... في خلافة... عُمر ١٩..... ١٥٨
- عائشة... في خلافة... عثمان ١٩..... ١٦١
- عائشة... في خلافة... علي ١٩..... ١٦٤
- معركة... الجمل ١٩..... ١٧١
- أمير المؤمنين علي... يكرم... أم المؤمنين عائشة ١٩..... ١٨٩
- عائشة... في عهد... معاوية ١٩..... ١٩٨
- عائشة... تنصح معاوية... ألا يَقْتُل... حُجْرًا... وأصحابه ١٩..... ٢٠٠
- معاوية يأخذ البيعة... لابنه يزيد... وموقف عائشة... من معاوية ١٩..... ٢١٢
- وفاة... أم المؤمنين... عائشة... عليها السلام ١٩..... ٢٢٠
- كانت... من أكبر... فقهاء الصحابة ١٩..... ٢٢١
- من علامات... عبقرية... عائشة ١٩..... ٢٢٥
- من هذه... يا عائشة ١٩..... ٢٢٨
- عائشة تُصَلِّي... صلاة الكسوف... خلف رسول الله... ﷺ ١٩..... ٢٣٢
- عائشة... كانت لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ... إلا راجعت فيه ١٩..... ٢٣٩
- رسول الله صلى الله عليه وسلم... يقول لعائشة رضي الله عنها...
- «إِنَّكُمْ صَوَاحِبُ يُوسُفَ... مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» ١٩..... ٢٤٢
- كان يكون... في مهنة... أهله ١٩..... ٢٤٨
- خَفِصَةُ تقول... لعائشة: «مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا» ١٩..... ٢٥٠
- أم المؤمنين عائشة... تتحدث عن مَرَض... رسول الله... ﷺ...
- بالتفصيل ١٩..... ٢٥٢
- عائشة تسأل... رسول الله صلى الله عليه وسلم... عن الالتفات
- في الصلاة ١٩..... ٢٥٧

- عائشة تقول: «فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ... خَدَّيْ عَلَى خَدِّهِ» ١٩..... ٢٥٩
- عائشة تقول: «لَإِنْ كُنْتُ يَقْظَى... تَحَدَّثَ مَعِيَ» ١٩..... ٢٦٤
- يا عائشة... إِنْ عَيْتِي تَتَأَمَّانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي ١٩..... ٢٦٦
- عندما كَشَفَ أَبُو بَكْرٍ... عَنْ وَجْهِهِ ﷺ... ثُمَّ قَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ...
- ثُمَّ بَكَى ١٩..... ٢٦٩
- عائشة... تُصَحِّحُ رَوَايَةَ... رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ... ﷺ ١٩..... ٢٧٢
- كأنت... عائشة... مِنْ أَجُودِ النَّاسِ ١٩..... ٢٧٥
- عائشة تقول: «طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ... بِأَطْيَبِ مَا أُجِدُّ» ١٩..... ٢٧٧
- عائشة... تَطُوفُ بِالْبَيْتِ... وَتَجَاوِرُ بِمَكَّةَ ١٩..... ٢٨٠
- عُبْرِيَّةُ عائشة... فِي تَفْسِيرِ وَتَأْوِيلِ... آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ١٩..... ٢٨٣
- أَفْعَلِي... كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ... غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ...
- حَتَّى تَطْهُرِي ١٩..... ٢٨٨
- عائشة تقول: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ... ﷺ...
- كَمَا اسْتَأْذَنْتَهُ سَوْدَةُ ١٩..... ٢٩٠
- عائشة تقول: لَيْسَ كَمَا قَالَ... ابْنُ عَبَّاسٍ ١٩..... ٢٩٣
- يا أُمَّاهُ... يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ... أَلَا تَسْمَعِينَ ١٩..... ٢٩٦
- فَدَخَلَ عَلَيَّ... النَّبِيُّ ﷺ... وَأَنَا أَبْكِي ١٩..... ٢٩٩
- عائشة تقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَلَا تَغْزُو مَعَكُمْ ١٩..... ٣٠٢
- ثُمَّ ضَحِكَتْ ١٩..... ٣٠٥
- عائشة... تَفْعَلُ الشَّيْءَ... وَهَنْ يُقْلِدْنَهَا ١٩..... ٣٠٨
- عائشة تقول: «يَا رَسُولَ اللَّهِ... مَاذَا أَذْبَحْتُ» ١٩..... ٣١١
- مِنْ بَدَائِعِ فِقْههَا... فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ١٩..... ٣١٤
- عائشة... تُفَسِّرُ آيَةً... مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ١٩..... ٣١٦
- عائشة... تَدْفَعُهَا الْغِيْرَةُ... إِلَى تَحْطِيمِ الْقَضْعَةِ ١٩..... ٣٢٠
- عُمَرُ يَقُولُ لِحَفْصَةَ... «لَا يَغْرُوكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ...

هي أَوْضاً مِنْكَ... وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...

- يُرِيدُ عَائِشَةَ؟ ٣٢٣
- عائشة... محبوبة العبيد... مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ؟ ٣٢٧
- غَزْوَةُ بَنِ الزُّبَيْرِ... يَقُولُ لِحَالَتِهِ... «يَا خَالَه... مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ»؟ ٣٢٩
- فاطمة... بنت رسول الله... صلى الله عليه وسلم... تُوَدِّي رسالة...
- مِنْ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؟ ٣٣٢
- عائشة... تشارك... فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ؟ ٣٣٧
- عائشة... تَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ... كَانَ أَشَدَّ مِنْ
- يَوْمِ أُحُدٍ»؟ ٣٤٠
- يَا عَائِشُ... هَذَا جَبْرِيلُ... يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ؟ ٣٤٣
- كَانَتْ... لَا تُفْسِكُ شَيْئًا... مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ؟ ٣٤٥
- أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟... قَالَ: عَائِشَةُ؟ ٣٤٩
- لَمَازًا... خَرَّتْ عَائِشَةُ... مَغْشِيًا عَلَيْهَا؟ ٣٥١
- عائشة... تَرَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ... وَهُوَ يَقْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ؟ ٣٥٤
- أَعْظَمَ لِحَظَاتِ... حَيَاةِ... عَائِشَةَ؟ ٣٥٦
- وَدِدْتُ... أَنِّي كُنْتُ... نِسَاءً مَنِيئًا؟ ٣٦٥
- عائشة... تُشِيرُ إِلَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ... فِي تَرْتِيبِ التَّزْوِيلِ؟ ٣٦٨
- عائشة تقول: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي»؟ ٣٧١
- مَهَلًا يَا عَائِشَةُ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ... فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ؟ ٣٧٣
- يَا عَائِشَةُ... مَتَى عَهْدَتَنِي... فَحَاشَا؟ ٣٧٦
- عائشة تسأل فاطمة... سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ... عَنْ سِرِّ الْبِكَاءِ
- ثُمَّ الضَّحْكَ؟ ٣٧٨
- عائشة... تَسْمَعُ آخِرَ كَلِمَةٍ... تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ٣٨١
- عائشة... لَا تُصَدِّقُ أَحَدًا... إِلَّا بَعْدَ التَّحَقُّقِ؟ ٣٨٣
- بَاقَةٌ... مِنْ رَوَائِعِ الْحَدِيثِ... تُقَدِّمُهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ... إِلَى الْأُمَّةِ؟ ٣٨٥

شخصية عائشة رضي الله عنها

- ٣٨٨..... أَرَيْتَكَ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ مَرَّتَيْنِ ۱؟
 ٣٨٩..... زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۱؟
 ٣٩١..... أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَقَامِ التَّبْلِغِ ۱؟
 ٣٩٢..... عَائِشَةُ فِي مَقَامِ الشُّرَى ۱؟
 ٣٩٣..... حَافِظَتُهَا نَادِرَةٌ ۱؟
 ٣٩٤..... فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ... فَجَدَّبْتُهَا... فَعَلَّمْتُهَا ۱؟
 ٣٩٦..... دَلِيلُ عَظَمَةِ شَخْصِيَّةِ عَائِشَةَ ۱؟
 ٣٩٨..... بَصِيرَةٌ تَقَادُزُ إِلَى حَقَائِقِ الْأُمُورِ ۱؟
 ٣٩٩..... لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... كَاتِمًا شَيْئًا... لَكُنَّ هَذِهِ ۱؟
 ٤٠٠..... أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ... كَانَتْ جَمِيلَةً ۱؟
 ٤٠١..... زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ ۱؟
 ٤٠١..... وَرِثْتُ صِفَاتِ أَبِيهَا الْغُلِيَا ۱؟
 ٤٠١..... اللَّهُ اخْتَارَهَا فَلَنِعْمَ الْاِخْتِيَارُ ۱؟
 ٤٠٢..... إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا ۱؟
 ٤٠٢..... مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ ۱؟
 ٤٠٣..... قَالَ: عَائِشَةُ ۱؟
 ٤٠٤..... حَبِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ۱؟
 ٤٠٥..... فَضَّلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ۱؟
 ٤٠٦..... شَدِيدَةُ الْغِيَرَةِ... مِنْ شِدَّةِ حُبِّهَا ۱؟
 ٤٠٦..... مَا أَهْجَرَ إِلَّا اسْمَكَ ۱؟
 ٤٠٦..... عَائِشَةُ تَلْعَبُ بِاللُّغَبِ ۱؟
 ٤٠٧..... إِلَها ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ ۱؟
 ٤٠٧..... كَانَتْ تُضْطَعِي إِلَى صَوْتِهِ الشَّرِيفِ ۱؟
 ٤٠٨..... يَا عَائِشُ... هَذَا جَبْرِيلُ... يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ۱؟

٤٠٩.....	عاشت بعده قريباً من خمسين سنة؟
٤١٠.....	زُنع الأحكام منقولة عنها؟
٤١١.....	أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟
٤١١.....	أشهر نساءه؟
٤١٢.....	أكابر الصحابة يسألونها؟
٤١٢.....	ما رأيت أحداً أعلم من عائشة؟
٤١٢.....	كان علمها... بخراً ممدوداً؟
٤١٣.....	لَشَنَّ كَأَخِي مِنَ النِّسَاءِ؟
٤١٤.....	وأزواجه أمهاتهم؟
٤١٤.....	خُيِّرَتْ فَاخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟
٤١٥.....	البريئة... المبرأة؟
٤١٥.....	عائشة تتحدث عن شخصيتها؟
	هل من علامات مقام الصديقية... اتهام أصحابه إفكاً...
٤١٦.....	ثم ظهور براءتهم؟
٤١٩.....	معه... إلى آخر لحظة؟
٤٢٠.....	وَدُفِنَ فِي بَيْتِي؟
٤٢١.....	لَا تُدْفِنِي مَعَهُمْ؟
٤٢٣.....	ماذا قال العقاد... في كتابه الجميل... «الصديقة بنت الصديق»؟
٤٤١.....	مشك... الختام؟
٤٥٨.....	فهرس

ماذا في هذا الكتاب !!

«عن عمرو بن العاص: يا رسول الله... أي الناس أحب إليك؟... قال:
عائشة... قال: من الرجال؟... قال: أبوها...»
«عن أنس... أن رسول الله ﷺ قال:
فَاضِلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ...»
«وقال رسول الله ﷺ: يا غَائِشُ... هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ...
قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ...»
«وعن عائشة... أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...»
«وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: تُوَفِّيَ النَّبِيَّ ﷺ... فِي بَيْتِي... وَفِي
يَوْمِي... وَتَيْنِ سَخِرِي وَنَخِرِي...»
[الشجر: الرنة - والشجر: موضع القلادة من الصدر].
فيه حياة أم المؤمنين... وزوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة...
عائشة... عليها السلام...»



To: www.al-mostafa.com